الجمهُوريةُ الجزائريةُ الدّيمقراطيّة الشّعبيةُ
وزارةُ التعليمِ العاليِّ و البحثِ العلميِّ

جامعةُ أبي بكر بلقايد - تلمسان
كليةُ الآدابِ و اللُّغاتِ
قسمُ اللغةِ العربيّةِ و آدابِها

أطروحةٌ مقدّمةٌ لنيلِ شهادةِ الدُّكتورَاه

التَّرجمَةُ و التّلَقّي

تحليلُ الفِعْـلِ التُّرجُمـيِّ في ضوءِ نظريّةِ القراءةِ

إعداد الطالب:
كاملين جيلالي

إشراف الأستاذ:
أ.د رمضان كريب

السنة الجامعية:2018/2017

المقدّمة:

إنما كانت الترجمة لأنّ البشر لا يتكلّمون لغة واحدة، و لعلّ الترجمة نشاط بشري قديم قدم الإنسان نفسه، و قد زاولها الناس مذ استيقنوا باختلاف ألسنتهم، و بقطع النظر عما إذا كان اختلاف الألسن عقابا إلهيا كما تزعم أسطورة بابل، أو كان آية من آيات الله كما هي الحال في المخيال الإسلامي، فإن العلّة من وراء الترجمة أنّ البشر لمّا كانوا يتكلّمون لغات مختلفة قامت الحاجة مسيسةً إلى ان يتواصلوا و يفهم بعضهم بعضا، و لا يكون ذلك إلا إذا تلقّى بعضهم عن بعض، فكانت الترجمة هي الوسيلة المثلى لتحقيق هذا التلقّي، و لا مشاحّة أنه بوساطة الترجمة يتجسّد فعل التلقّي، فكأنّما غرض الترجمة النهائي هو أن يتلقى الناس من لغات مختلفة عن بعضهم من أجل أن يفهم بعضهم بعضا.

و من الناحية الإجرائية تنطوي الترجمة على فعليْن للتلقّي؛ الأول يقوم به المترجمُ نفسه من حيثُ هو قارئ للنص الأصلي، و مسكون في آنٍ معا بهاجس الكتابة، و الثاني يقوم به قارئ النص الناتج عن الترجمة و كلاهما يخاطب نصّا، في صيرورة تشبهُ متواليةً دلالية منتِجة، و لأنّ النص من حيثُ هو بنية لسانية يمثّلُ متوالية من الوحدات التعبيرية الهاجعة، ينبغي على القارئ أنْ يستحثّها ويفعّلها.

إنّ الترجمة مشدودةٌ إلى فعل التلقّي من طرفيْها؛ منْ مبدئها الذي هو القراءة، إذْ إنّ الترجمة تبدأ بالقراءة، و القراءة هي أولى خطواتها، و هي بذاك أولى مراحل التلقّي، إلى منتهاها الذي هو الكتابة و هي الصياغة النهائية للنص المترجم و التي يقوم بها المترجم بناءً على التلقي الأول و استشرافا لحالة التلقّي التي تتراءى له في أفق النص الناتج مع القارئ المستهدف، وهي المسافة المصطلح عليها في عُرف نظرية التلقّي بأفق انتظار القارئ.

و استطرادا على التصوّر ذاته، فإنّ المترجمَ ينهضُ بدوريْن اثنيْن ووظيفتيْن في الفعل الترجمي؛ فهو قارئ أوّل و متلقٍّ في اتجاه المؤلف و النص الأصلي، و هو مؤلّفٌ ثانٍ ومُرسلٌ في اتجاه القارئ المستهدف متلقّي النتاج الترجمي، و هما وظيفتان و إنْ بدَتا متمايزتيْن، من حيثُ إنّ كلاًّ منهما نشاط قائمٌ برأسه له أصوله و قواعده، غير أنهما متداخلتان و متمازجتان يصعب الفصل الحاسم بين حدودهما أثناء الترجمة.

و إذا كان فعل التلقّي على هذه الخطورة و الأهمية في علاقته بالفعل الترجمي، أليس حريا أن يتشكّل سؤال مركزي، هو نفسه إشكالية هذا البحث، و يقوم على إظهار الصلة الحقيقية و العملية بين الترجمة و التلقي.

لا شك أنّ هذه الصلة قد تبدو بادي الرأي باهتة أو لا تعدو أن تكون تحصيل حاصل، لأنه لا يمكن تصوّر فعل ترجمي من دون استحضار فعل التلقي، أي إن كل ترجمة هي

في الأساس عمل موجّه لأجل متلقٍّ ما، و من أجل نقل رسالة ما، و هو رأي سليم ابتداءً، غير أن هذا البحث يكتسي حس الإشكالية من جهة أنّه يؤسس لهذه العلاقة على نحو علمي و فنّي، يروم من ذلك اسكناه دقائقها، و التعريف بحدودها و تفكيك جزئياتها عبر تحليل التعريفات و النظريات، في محاولة إثبات أنّه لا يكاد يخلو تعريف للترجمة سواء ألُغويّا كان أم اصطلاحيا، و لا تخلو نظرية من نظريات الترجمة، من الإشارة تصريحا أو تلميحا إلى فعل التلقي كواحد من أهم محدّدات الفعل الترجمي، وهو يمثّل بالنسبة للترجمة نقطة ارتكاز، و تجدر الإشارة إلى أنّ التلقّي الذي نرصده في البحث على الأقل، هو التلقي بمفهومه العام، المُرسَل و المطلق، من حيث هو إجراءٌ يقترن بكلِّ رسالة يبثّها مُرسلٌ مهما كانت مادتها و أدواتها و قنواتها، و ليس التلقي في مستوياته الجمالية والشاعرية، فذلك مبحثٌ آخر.

إن التلقي الذي يسعى البحث إلى إضاءة جوانبه، هو التلقي بمفهومه التقني الإجرائي البحت، من حيث هو مرحلة من مراحل الفعل الترجمي، أو حلقة في المسار الترجمي، وليس المقصود ربط التلقي بتقييم الترجمات و نقدها، و لا عرض الجوانب الأدبية القائمة على دراسة النصوص المترجمة و تلقّيها فيما بين اللغات، في ما يشبه الدراسة الأدبية التي تتخذ من نظرية القراءة و نظرية التقبّل مطية و ميدانا.

لقد انبجست فكرة البحث على مراحل و تبلورت انطلاقا من خبرتي المتواضعة في تدريس الترجمة؛ فمن خلال معافستي لميدان الترجمة و ممارستها و التعاطي المتواصل مع تعريفاتها و نظرياتها، بدا لي أن ثمة مكوّنا رئيسا في الترجمة، من حيث هي مفهوم نظري أو بما هي ممارسة و نشاط في اللغة، لم ينل حظه من الدّرس و البيان، ذلك هو فعل التلقّي، و إذا استثنينا بعض النظريات التي أعلت من شأن التلقي، فإن كثيرا من النظريات و التعريفات لم توله العناية الكافية على الرّغم من كونه موجودا بالقوّة في محدداتها و إجراءاتها.

من أجل ذلك أخذتُ على نفسي عناء البحث، و تجشمت الخوض في هذا الميدان أعيد التنقيب فيه، و أتولّج تضاعيفه، فقد وقفت على حدّ علمي على قناعة أنّ الدّراسات ذات الصلة بالفعل الترجمي، مما طالته يدي و نهد إليه علمي، لم تفرد لهذا المكوّن الجوهري مباحث مستقلّة، بل قد عدّت التلقي امتدادا طبيعيا للفعل الترجمي، فبقي على أهميته منزويا في ظلّ الفعل الترجمي، ويسير في ركابه، و لم يعاملْ على انّه مبحث مستقل بذاته و قائم برأسه.

لقد توسلت المنهج الاستقصائي و الإحصائي أحيانا في جمع المقولات و التعريفات، و التحليلي الوصفي لدراسة ما اجتمع عندي من المعارف و الإشارات ذات الصلّة، كلّ ذلك من أجل الخلوص إلى جملة من النتائج و الأحكام.

و قد وزّعتُ البحث من الناحية المنهجية على ثلاثة فصول؛ فأما الفصل الأول فقد بدا حريا بي قبل الخوض في سرد التعريفات التي وضعها أصحابها لمقاربة مفهوم الترجمة إنْ في الفضاء العربي أو في الفضاء الغربي، أنْ أستعرض بعض الدلالات اللغوية للفظ "الترجمة" في القواميس العربية و الأعجمية على سبيل الاستئناس بالمعنى اللغوي ليكون مطيّة إلى إدراك الدلالة الفنية و الإجرائية للترجمة، و آثرت في ذلك –تفاديا للإطناب – في اقتفاء معاني المادة التي أروم، أن أستغني ببعض المعاجم مماّ عدّهُ أربابُ فنِّ المعجمية حجّةً و مرجعاً في بابه، و شهدوا له بالإصابة والإحاطة، و انتهيتُ فيه بعد استقراء المفهوم اللغوي إلى أن مفهوم الترجمة يدور حول معنييْن اثنين في الغالب: الأول تفسير الكلام أي شرحه داخل اللسان الواحد أو من لسان إلى آخر، والثاني هو نقل الكلام من لسان إلى آخر، و ليس المعنى المعجمي هو الذي كان يعنيني بالأساس، و إنما السعي إلى استلالِ معنى خبيءٍ و إيحاءٍ خفيٍّ يمتّ بصلة وثيقة إلى موضوع البحث القائم على ثنائية الترجمة والتلقّي، حتى تبيّن لي أنه يكاد لا يخلو شرحٌ معجميٌّ للفعل "ترجم" في اللغة العربية أو في سواها من اللغات، كما لا يخلو تعريف اصطلاحي لمفهوم الترجمة من حيث هي فعلٌ و إنجازٌ لغوي، منْ مكوّنٍ جوهريّ و محدِّدٍ مركزيٍّ يتمثّل في مفهوم " التلقّي"، و حيثما تُوَلِّ وجهك في الفعل الترجمي تجِدْ نهاياتِه و أطرافَهُ القاصيةَ عند فعل " التلقّي".

و لم أغادر الفصل الأوّل حتى عرجتُ إلى سؤال يأبى إلا أن يطلّ برأسه و يطفوَ إلى السطحِ كلما أُثيرَ الحديث عن الترجمة عند العرب، و الذي ينمّ عن مفارقة عجيبة، هو كيف أنّ العرب قد بلغوا شأوا عظيما في الترجمة على امتداد عقود إن لم تكن قرونا، وترجموا من المعارف و العلوم ما لم يترجمه غيرهم من الأمم و كانوا رادةً في الترجمة، وقد شهد لهم العدو قبل الصديق بالسبق و الإجادة، بيْد أنّ كلّ ذلك الرصيد الثري منَ الممارسة الترجمية والخبرة العريضة، لم يُرافقْه اهتمام بالتنظير للترجمة إلا لِماماً، و لمْ تتمخّضْ عنه نظرية عربية شاملة و متكاملة، فظاهرة غياب التنظير مع امتلاك الخبرة العريضة و الممارسة الترجمية الطويلة، لهي بحقٍّ ظاهرةٌ محيّرة، و بخاصّة إذا استحضرنا أنّ حضارات أخرى لم تملك عشر معشار الرصيد العربي في الترجمة، و لا مؤسسة نظامية مثل بيت الحكمة، قد شهدت مع ذلك تنظيرًا ترجميا غزيرا.

و أما الفصل الثاني، فقد أفردتُه لاستعراض نظريات الترجمة و سردها و توصيفها، لا لمجرد التوصيف و إنما لبيان صلة التلقي بنظرية الترجمة من جهة، و الوقوف عند

فعل التلقّي بوصفه مكوّنا و محدّدا رئيسا في النظرية، و عالجتُ فيه أسباب الولوج إلى أشهر نظريات الترجمة، والجَوَسَان خلال تضاعيفها من أجل استقصاء موقع التلقّي ومكانته في التنظير للترجمة، و استكناه طبيعة العلاقة بين الترجمة و التلقّي من داخل النظرية.

و قد بدأت بالنظريات التي عرفت في الدراسات الترجمية بنظريات ما قبل اللسانيات، أو ما قبل العلمية، فالنظريات اللسانية، ثم النظريات الثقافية، مرورا بالنظرية التأويلية الفرنسية، إلى النظرية الوظيفية في شقيها، نظرية أنواع النصوص ونظرية سكوبوس، وذلك بتحليل مكونات النظرية و الإشارة إلى جذورها المعرفية، ثم الولوج إلى تحليل جانبها الإجرائي في الفعل الترجمي، و البحث في ثناياها عن مؤشرات التلقي.

و أما الفصل الثالث، فهو ينزع منزعا تطبيقيا و عمليا، و إن لم يكن محض تطبيق، ذلك أنه يقوم على تخليل الفعل الترجمي ذاته من منظور التلقّي، و قد ركّزتُ فيه على عمل المترجم في حد ذاته من حيث هو متلقٍّ أول، و توسعتُ في تحليل تقنيات الترجمة و أساليبها استنادا إلى ما وضعه فيناي و داربلني في الأسلوبية المقارنة، و لكنني حاولت قراءة هذه التقنيات لا من جهة كونها إجراءاتٍ تقنيةَ، و إنما بما تحمله من وظيفة لخدمة التلقي في لغة الوصول.

ثمّ خلصتُ إلى خاتمة ضمنتُها جملة من نتائج البحث، مما تسنى لي استنتاجه، ولستُ أدّعي أنني قد أحطتُ بالموضوع و أشبعته بحثا، و لكنّ حسبي أنني قد فتحتُ، فيما أزعم، منفذا إلى إعادة النظر في مفهوم التلقي في صلته بالترجمة، و إعادة قراءته والتنظير له بما يتواءم و المكانة التي يتربع عليها بوصفه مكوّنا عضويا من مكوّنات الفعل الترجمي، و واحدا من الأعمدة التي تنبني عليها الترجمة.

و إني في كلّ ذلك أقرّ بقلة ذات اليد من المرجع المعين، و أعترف بما اعتور البحث من عوار و قصور، و تلك سمة العمل البشري، و لكنّي أكيل الشكر الجزيل و الفضل العميم، وأرفع كل عبارات الثناء إلى الأستاذ المشرف، الذي رافقني طيلة البحث و يسّر لي السبيل و ذلل الصعاب و غمرني بجميل صبره و دماثة خلقه و لين جانبه وطيب معشره، الأستاذ الدكتور رمضان كريب، و الشكر موصول لكلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل ممن لهم علي فيه يدُ بيضاء، و الله أسأل التوفيق و السداد و الهدى والرشاد.

الفصل الأوّل

موقع التلقّي في تعريفات الترجمة

استهلال:

" إنّما كانت الترجمةُ، لأنّ البشر يتكلمون لغاتٍ مختلفةً."[1]

إنّ المترجمَ وهو يترجمُ، إنّما هو في الواقع يقارب بين نظاميْن لغوييْن؛ أحدهما ثابتٌ وماثلٌ في ذهنه وهو الذي ينطلقُ منه، أماّ الثاني فمُحتمَلٌ و رجراجٌ، إذْ ما يزال بعدُ قابلا للتشكُّلِ و التكييف و هو الذي يسعى إلى بلوغه، فالمُنْطلقُ معلومٌ لدى المترجم لأنّه يملِكُهُ و هو تحتَ يدِه، لكنّ المستقرّ ما يزالُ فجّاً طريّا، وهو الذي يتمثّلُهُ ويبلورُ معالمَهُ في ذهنه.

يبدأ المترجم أوّلاً باستقراء النص الأصلي و تقييم محتواه الفكري و الجمالي و العاطفي ويتبيّنُ السّماتِ الأسلوبيةَ و ينظر في التراكيب و يتأمّلُ الأشباهَ والنظائرَ، و قد لا يلبثُ أحيانا أنْ يبلُغ مُناهُ ويصلَ إلى مبتغاهُ، حين يتملّكه شعورٌ بأنّ ثمّة انسيابا في نقل الرسالة، و أنّ مجرّد قراءة متن النصّ الأصلي تستدعي النصّ المستهدفَ استدعاءً وتستحضره استحضارا، فليس على المترجم إذْ ذاك سوى أن يوازن ويراجع و يقارب، ثمّ ينظُرُ إن كان نسيَ شيئا من نص الانطلاق، فإذا العملُ الترجميُّ قد تمّ.

إنّ الترجمة مشدودةٌ إلى فعل التلقّي من طرفيْها؛ منْ مبدئها الذي هو القراءة، إذْ إنّ الترجمة تبدأ بالقراءة، و القراءة هي أولى خطواتها ، و هي بذاك أولى مراحل التلقّي، إلى منتهاها الذي هو الكتابة و هي الصياغة النهائية للنص المترجم و التي يقوم بها المترجم بناءً على التلقي الأول و استشرافا لحالة التلقّي التي تتراءى له في أفق النص الناتج مع القارئ المستهدف، وهي المسافة المصطلح عليها في عُرف نظرية التلقّي بأفق انتظار القارئ.

و من الناحية الإجرائية أيضا تنطوي الترجمة على فعليْن للتلقّي؛ الأول يقوم به المترجمُ نفسه من حيثُ هو قارئ للنص الأصلي، و مسكون في آنٍ معا بهاجس الكتابة، و

---

1 - Steiner, George. *After Babel: Aspects of Language and Translation. New* York & London: Oxford University Press, 1975.p. 49 **النص الأصلي** *"Translation exists because men speak different languages". VOIR AUSSI:* **Steiner**, *Après Babel, Une poétique du dire et de la traduction,* Paris : Albin Michel, Traduit de l'anglais par Lucienne Lotringer et Pierre-Emmanuel Dauzat , 1998, P.58 **النص الأصلي** : *« C'est parce que les hommes parlent des langues différentes que la traduction existe »*

الثاني يقوم به قارئ النص الناتج عن الترجمة و كلاهما يخاطب نصّا و "النص آلةٌ كسولة تتطلّبُ من القارئ بذل جهد تعاضديّ جبار لكي يملأ فراغات ما لمْ يُقَلْ وما قيل"[1] في صيرورة تشبهُ متواليةً دلالية منتِجة، و لأنّ النص من حيثُ هو بنية لسانية يمثّلُ متوالية من الوحدات التعبيرية الهاجعة، ينبغي على القارئ أنْ يستحثّها ويفعّلها.

و المترجم قارئ مثالي بالنظر إلى كاتب النص الأصلي، كما أنّ متلقي النص المترجم هو قارئ محتمل بل و مقصود بالنظر إلى المترجم، و إن يكُ ثمَّةَ فرقٌ فلعلّه أنْ يكون أنَّ المترجمَ لمْ يكنِ ابتداءً من القرّاء المحتملين لدى الكاتب الأصلي، بينما كان متلقي النص الناتج قارئا محتملا لدى المترجم ابتداءً، أي منذ شروعه في الترجمة، و منْ ثمَّ يقع التلقي في مسار الفعل الترجمي، و الحالة هذه، في موضعيْن، و لا مُشاحّةَ أنّ التلقي الأوّل قد يُلقي بظلاله على التلقي الثاني، فيكون المتلقي الثاني تحت رحمة المترجم، وليس المترجم واحدا من أقدر القرّاء على فكّ رموز النص الأصلي فحسب، و إنما هو من أقدرهم على إعادة بناء المعنى و بعثه في منظومة أخرى من العلامات و القيم الجمالية، " والمترجم هنا قارئ أول و مؤلّفٌ ثانٍ." [2]

و في الخطاطة التالية بعض إيضاح و إجمال لما تقدّم، لاسيما ما اصطلحنا عليه بمواقع التلقي في مسار الفعل الترجمي:

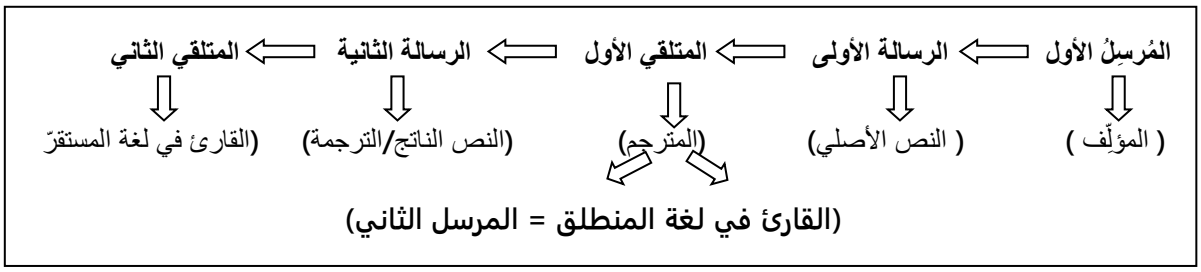

و كما يتبيّن من قراءتنا للخطاطة، فإنّ المترجم يضطلع بدور المتلقي الأول على أنّه في الآن عينه، ينقُلُ الرسالة إلى متلقٍّ آخر بعده هو القارئ في لغة المستقر، فهو مسكون بهاجسيْن: هاجس القراءة وهاجس الكتابة، من أجل ذلك تواترت العبارة الشهيرة عند كثير من منظري الترجمة من أنّ المترجم يخدم سيّديْن، بعد أنْ كان الفيلسوف الألماني *فرانز روزنزفايغ* ***Franz Rosenzweig*** *(1886-1929)* أول من صاغ هذه العبارة و استعملها:

« traduire signifie servir deux maitres à la fois »

1 - أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي 1996، ص.28.

2 - حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، دار قباء، القاهرة 2000، ص.81.

" فالمترجم في ترجمته يسعى في خدمة المؤلف والعمل و اللغة الأجنبية، و هذا هو السيد الأوّل، كما يسعى في خدمة جمهور المتلقين في اللغة المنقول إليها، و هذا هو السيد الثاني، وهنا بالضبط يَكْمُنُ ما يُمْكِنُ أنْ نصطلحَ على تسميته مأساة المترجم." [1] – ترجمتنا -

لقد كان سؤال الأمانة و الخيانة منذ البدء واحدا من الأسئلة المركزية في الترجمة، حتى قيل: « ***traduttore traditore*** » : المترجم خائنٌ أو الترجمة خيانة، غير أنّ الوقت قد حان في نظري لأنْ نتساءل عن مدى وجاهة اعتبار هذا القول الفلورنسي المأثور معيارا حاسما ونهائيا في الحكم على الترجمة.

و في السياق نفسه، و استطرادا على التصوّر ذاته، فإنّ المترجمَ ينهضُ بدوريْن اثنيْن ووظيفتيْن في الفعل الترجمي؛ فهو قارئ أوّل و متلقٍّ في اتجاه المؤلف و النص الأصلي، و هو مؤلّفٌ ثانٍ و مُرسلٌ في اتجاه القارئ المستهدف متلقّي النتاج الترجمي، و هما وظيفتان و إنْ بدَتا متمايزتيْن، من حيثُ إنّ كلاًّ منهما نشاط قائمٌ برأسه له أصوله و قواعده، غير أنهما متداخلتان و متمازجتان يصعب الفصل الحاسم بين حدودهما أثناء الترجمة على نحوٍ ما تبيّنه الخطاطة التالية:

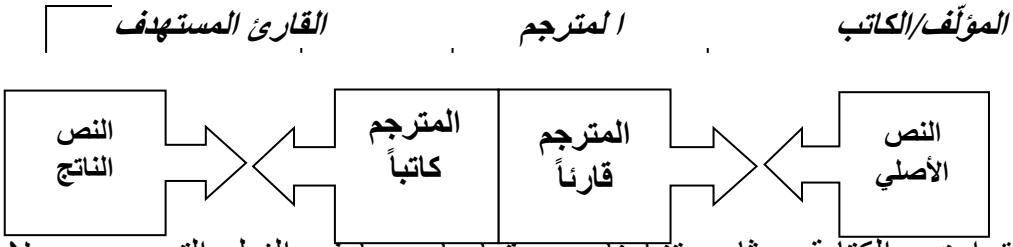

فالقراءة و الكتابة حدثان متزامنان و متماهيان معا في الفعل الترجمي، و لا يمكن تصوّر أنّ القراءة حدث يسبق الكتابة و لا الكتابة تلي القراءة بمعنى أنّها تتلوها وتأتي بعدها كحدث مستقل و مرحلة تالية منفصلة، و إنما هما حدثان يدوران معا و يتوالجان في فلك الفعل الترجمي، والترجمة من حيث هي عملٌ تفسيري و تأويلي تقترب كثيرا من الهرمونيطيقا الأدبية، إذْ تقوم أولا على القراءة و الفهم ثمّ التأويل، لتنتهيَ إلى الكتابة، وما الكتابةُ بهاجس الترجمةِ سوى تجسيدٍ لمُخْرَجَات التأويل في شكل نصٍّ جديد يتم بناؤه في اللغة المستهدفة.

1 - BERMAN, Antoine, *l'epreuve de l'etranger, culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard,1984, P.15 ***النص الأصلي***: **« *Traduire, écrivait Franz Rosenzweig, c'est servir deux maîtres.» Telle est la métaphore ancillaire. Il s'agit de servir l'œuvre, l'auteur, la langue étrangère (premier maître), et de servir le public et la langue propre (second maître). Ici apparaît ce qu'on peut appeler le drame du traducteur.* »**

و من هنا قد تنبثق إشكاليات شتّى؛ فإذا كان القارئ النهائي غير قادر على الإفضاء إلى النص الأصلي إلا بوساطة المترجم فهل إنَّ تلقِّيَهُ يقوم بناءً على سلطة الترجمة، أي سلطة المترجم من حيث هو قارئ و كاتب ، و هل ذلك يعني أن المترجم يمارس على نحوٍ من الأنحاء نوعا من الوصاية القرائية على المتلقي، حتى يبدو تلقّي النص المترجم كأنه قراءة القراءة، ثمَّ إلى أيّ مدى يكون هذا التلقي معادلا ومكافئا لتلقيه في حال ما إذا افترضنا جدلاً أنه قادرٌ على التعامل مع النص الأصلي رأسا...؟

تلكم إشكاليات لا تحسم بمجرد توصيف فعل التلقي وتحليله وحده بمَعزِلٍ عن الأَسْيِقة السوسيوثقافية التي تُحيقُ به، بل هي معضلة الترجمة و مسألة متعلقة أساساً بفلسفة الترجمة وأصولها و بقضايا و تفريعات كثيرة ذات صلة بالفعل الترجمي، من أجل ذلك سنفرد لها عمّا قليل سجالا مستقلا في مبحث لاحق.

المبحث الأول: التلقّي في ضوء التعريف العربي للترجمة.

لا شك أن عددا غيرَ يسيرٍ من المنظّرين و الممارسين في حقل الترجمة يُجمع على تعذّر وضع تعريف جامع مانع للترجمة، و إنّ غاية ما وُضع لأجل ذلك، إنما هو توصيف أو تحليل للفعل الترجمي على نحو ما، وليس تعريفا بالمفهوم المنهجي الدقيق، و لعلّ في ذلك إيماءً واضحاً إلى أن الترجمة فعلٌ ينطوي على درجة كبيرة من التشعّب و التعقيد.

و لا يختلف اثنان حول قناعة مفادها أنّه من العسير استجلاء محددات الترجمة في ظل التوصيفات الكثيرة والمتنوعة التي يطرحها المنظرون على اختلاف مشاربهم و تعدد الزوايا التي ينظرون منها إلى الترجمة، وإنّ نظرةً عجلى إلى مجموع النصوص التي أُنشئتْ حول تعريف الترجمة لَتَشي بأنّ الترجمة من حيث هي نظريةٌ و إجراءٌ و مادّةٌ تعانق كثيرا من الحقول المعرفية، و تنهلُ من ينابيعَ متنوعة؛ كالأدب واللسانيات و علم الاجتماع و الاتصال والفلسفة... و حتى العلوم التجريبية، فهي ميدان متعدد التخصصات (*multidisciplinaire*)، و من ههنا باتت الترجمة عصيةً على الحَدِّ و التعريف.

و أرى حريّاً بالدراسة قبل الخوض في سرد التعريفات التي وضعها أصحابها لمقاربة مفهوم الترجمة إنْ في الفضاء العربي أو في الفضاء الغربي، أنْ نستعرض بعض الدلالات اللغوية للفظ "الترجمة" في القواميس العربية و الأعجمية على سبيل الاستئناس بالمعنى اللغوي ليكون مطيّة إلى إدراك الدلالة الفنية و الإجرائية للترجمة.

المطلب الأوّل: التعريف اللغوي للترجمة.

لقد آثرت – تفاديا للإطناب – في اقتفاء معاني المادة التي أروم، أن أستغني ببعض المعاجم مماّ عدّهُ أربابُ فنِّ المعجمية حجّةً و مرجعاً في بابه، و شهدوا له بالإصابة والإحاطة.

ورد في اللسان أنّ :" التَّرجُمان والتُرجمان- بفتح التاء وضمها- المفسر لِلِّسان، وفي حديث هرقل: قال لترجمانه.. والترجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والترجمان: المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه"[1]

و قد ذكر صاحب "التاج" أنّ: "الترجمان المفسر لِلِّسان وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسَّر كلامه بلسان آخر، وقيل: نقله من لغة إلى أخرى."[2] وفي "محيط" الفيروزآبادي: "الترجمان: المفسر لِلِّسان، وقد ترجمه وعنه."[3]

وفي "المعجم الوسيط": "ترجم الكلام: بَيَّنه ووضحه، وترجم كلام غيره، وعنه، نقله إلى لغة أخرى"،[4] وشبيهٌ به ما جاء في "الصحاح"[5]: "يقال: ترجم كلامه إذا فسَّره بلسان آخر، والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى." وفي "متن اللغة": "ترجم كلامه: بَيَّنه وأوضحه، وترجم الكتاب وترجم عنه: فسَّر بلسان آخر، والترجمان: الناقل الكلام من لغة لأخرى والمفسر للسان."[6]

و مشهورٌ في السيَر أنّ ابن عباس – رضي الله عنهما – كانَ يُدعَى " ترجمان القرآن" على سبيل الثناء و الامتداح، و ليس يشكُّ أحدٌ أن هذه الصفة ليستْ تعني سوى أنه كان يفسِّر القرآن للناس ويشرحه، و لا يذهبُ الوهمُ قطعاً أنه كان يترجم القرآن من العربية إلى لغة غيرِها، و في الخَبَرِ عند البخاري:[7] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ» قَالُوا: رَبِيعَةُ .....الحديث.

---

[1] - ابن منظور- لسان العرب، 426/2، دار صادر، بيروت، 1970.
[2] - الزبيدي. تاج العروس 2/ 211.
[3] - الفيروزآبادي- القاموس المحيط، 114/4.
[4] - مجمع اللغة العربية في القاهرة- المعجم الوسيط 1/ 83.
[5] - الجوهري، الصحاح ج. 5
[6] - الشيخ أحمد رضا. معجم متن اللغة- 391/1.
[7] - لبخاري - 3 / كتاب العلم / باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ويخبروا من وراءهم / حديث رقم 87

و في الحديث النبوي الشريف: "وأما العَيْلةُ، فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم لَيَقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرْجُمان يترجم له."[1]

و أنشد الشاعر العباسي عوف بن محلِّم الخزاعي في حضرة عبد الله بن طاهر بن الحسين بعد أن ثقل سمعه:

إنّ الثمانين و بُلِّغْتَها *** قدْ أحَوَجَتْ سمعي إلى **تَرْجُمان**[2].

و قد ورد أيضا عند المتنبي في قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة:

ملاعبُ جِنّةٍ لو سار فيها *** سليمانٌ لسارَ **بتَرْجُمانِ**[3]

و إذا استقرينا ما تقدّم من إشارات في المفهوم اللغوي للترجمة يستبين أن الترجمة تدور حول معنييْن اثنين في الغالب: الأول تفسير الكلام أي شرحه داخل اللسان الواحد أو من لسان إلى آخر، و الثاني هو نقل الكلام من لسان إلى آخر، و المترجم من ثمّ " مفسّرٌ" أو " ناقل"، على أنه في كل الأحوال " وسيط"، و معنى الوساطة هذا يتجلى في الحديث النبوي الشريف، " ليس بينه و بينه حجابٌ و لا ترجمان".

و إذا كان "التفسير" و "النقل" هما المعنييْن الأصلييْن اللذيْن تمدّنا بهما معاجم العربية، من جهة أن "التفسير" هو الدلالة النظرية العامة للترجمة، و "النقل" هو الدلالة العملية و الإجرائية، فإنه لدى التوسع في استقصاء المفهوم فإنّ معاجم العربية قديمها و حديثها تدور، في الغالب الأعم، عند تعريفها للترجمة حول معانٍ أربعة:

1 - الترجمة تعني التفسير و التبيان والتوضيح، فترجَمَ الكلامَ، إذا فسّره و بيّنه و وضّحه.

2 - الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، كأنْ ينقل المترجمُ خطابا من العربية إلى لغة سواها.

3 – و قد تعني الترجمةُ التحويلَ و التصييرَ, كأنْ يقال : لا عبرةَ بالإيمان حتى يُتَرجَمَ إلى عمل صالح، أي حتى يحوّلَ و يُصَيَّرَ.

[1] - البخاري. كتاب الزكاة. باب الصدقة قبل الرد، 3/ 281.
[2] - الثعالبي أبو منصور، فقه اللغة و أسرار العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، ص. 441.
[3] - ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت 1983، ص. 541.

4 – و تعني الترجمة أيضا تدوينَ سيرة عَلَمٍ من الأعلام و التأريخَ لحياته، و قد نشأ من ذلك فنٌّ من الكتابة قائمٌ برأسه عُرفَ في تاريخ الآداب بفن السير و التراجم.

و لو أننا ذهبنا ننقّبُ في المعاجم العربية جميعها، قديمِها و حديثِها فإننا لا محالةَ واجدون تعريفاتٍ أخرى كثيرةً، غير أنّ فيما أوردناهُ غُنيَةً لنا عما سواه، ذلك أنه مهما يكنْ من تعريفٍ لمادة " ترجم" في العربية فإنه يؤول على نحو من الأنحاء إلى واحدٍ من هذه الأربعة المعاني التي أسلفنا القيل فيها.

و أرى قمينا بي أنْ أُشيرَ قبل أنْ أُغادرَ المفهوم اللغوي، إلى أنّ الفقهاء قد أجازوا ترجمة القرآن و احتجوا لذلك بجواز تفسيره، فكأنّما قاسوا الترجمة على التفسير، فإذا جاز تفسيره داخل اللسان الواحد لمن لا يفهمه، جاز من باب أولى ترجمته لمن لا يعرف العربية، و هم بتعليلهم ذاك قد جعلوا التفسير و الترجمة صنويْن و رديفيْن.

المطلب الثاني: التلقّي في ضوء التعريف اللغوي للترجمة.

و لعلّ الذي يعنينا من كلّ ما تقدّم و ما كان على نحوه و دار في فلكه ممّا لم نوردْهُ تحاشياً للاستطراد و الإطناب، ليس المعنى المعجمي لجذر مادة " ترجم" و لا حتى المدلول الاصطلاحي لمفهوم الترجمة بعامّة، بقدر ما نروم من خلال ذلك استلالَ معنى خبيءٍ و إيحاءٍ خفيّ يمتّ بصلة وثيقة إلى موضوع البحث القائم على ثنائية الترجمة والتلقّي.

إنّهُ يكاد لا يخلو شرحٌ معجميٌّ للفعل "ترجم" في اللغة العربية أو في سواها من اللغات، كما لا يخلو تعريف اصطلاحي لمفهوم الترجمة من حيث هي فعلٌ و إنجازٌ لغوي، منْ مكوّنٍ جوهريّ و محدِّدٍ مركزيٍّ يتمثّل في مفهوم " التلقّي"، فالترجمة بما هي نقلٌ تقوم على بناء الجسور بين الحضارات والإنجازات البشرية، و هي منْ ثمّ "تلقٍّ" للمعارف و العلوم، و الترجمة الأدبية بوجه خاصّ تهدف إلى التلقي بمضمونه الجمالي، و حيثما تُوَلِّ وجهك في الفعل الترجمي تجِدْ نهاياتِه و أطرافَهُ القاصيةَ عند فعل " التلقّي".

فلوْ رجعنا على سبيل الاستدلال إلى ما تقدّم من حدودٍ لمادة "ترجم" في معاجم العربية، وجدنا في اللسان و التاج و المحيط أنّ " الترجمان هو المفسّر للسان"، فوجودُ المفسِّر – بكسر السين – و هو الترجمان، يقتضي بالضرورة وجودَ المفسَّر له – بفتحها – و هو المتلقّي.

و في المعجم الوسيط و الصحاح و كذلك متن اللغة، ورد أنّ " ترجمَ الكلامَ، إذا بيَّنهُ ووضّحهُ وفسّره"، وكلّ ذلك إنّما يقتضي متلقياً، يُبيَّنُ و يُوَضَّحُ و يُفَسَّرُ له.

و قدْ تقدّم أيضا ما وردَ في الخبر منْ أنّ ابن عباس رضي الله عنه كان يُدعى ترجمان القرآن، وتلكَ صفةٌ لا تعني سوى أنّه كان يفسر القرآن للناس و يشرحه، و قريبٌ منه ما رواه أَبُو جَمْرَةَ في الحديث سالف الذكر حين قال: " كنتُ أترجم بين ابن عباس و بين الناس"، والنّاس هنا هم عموم المتلقّين، سواءٌ داخل اللغة الواحدة أو منْ لغةٍ إلى أخرى.

و مثلُه ما ورد في الحديث المتقدّم: " ثم لَيَقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرْجُمان يترجم له"، أيْ أنّ العبد هو المتلقّي الذي يتلقّى من حضرة المولى العزيز كِفاحاً، ولا يحتاج إلى ترجمان يتلقّى عنه، و فيه إيماءٌ إلى أنّ وجود المترجم يقتضي بالضرورة وجود المتلقّي.

و الشاعر العباسي عندما قال : قدْ أحَوَجَتْ سمعي إلى تَرْجُمان، إنما عنى أنّه لمّا بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا، ضعُف سمعُه حتى احتاج معه إلى ترجمان، و إن كان الترجمان هنا لا يعني بالضرورة منْ ينقل الكلام من لغة إلى أخرى، و إنما مع ضعف السمع يغدو المرء غيرَ قادرٍ على تَبَيُّنِ معاني الأصوات والكلمات، فيكون منْ يُسمّعُه الكلامَ و ينقلُه إلى سمْعِه واضحاً في حُكْمِ الترجمان لأنّه يُخرِجُ له الكلامَ من الغموض و الخفاء إلى الوضوح و السَّواء، فهو لا يتلقّى المعنى ابتداءً حتّى يكون المسمِّعُ له هو الترجمان الذي يتلقى عنه، فيحصل له بذلك الفهم والاستجابة.

و في بيت المتنبّي: "...لو سار فيها، سليمان لَسار بترجمان"، إشارةٌ أخرى إلى فعل التلقّي الذي يُلازم فعلَ الترجمة ملازمةَ الظلّ للشخوص، ذلك أنّ النبيّ سليمانَ عليه السلام نفسَه، و قدْ أوتي ملكا و علما وعلّمه الله منطق الحيوان،﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾[1]، وهو الذي فَهِمَ تحذيرَ النملةِ لأخواتها منهُ ومنْ جنودِه ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا**﴾[2]، و مع ذلك كلِّه لو أنّه سار في تلك المرابع، على حدّ تصوير المتنبي و تخييله، لاحْتاج إلى ترجمان يبيّنُ ويوضّح و يفسّر له، و قد كان المتنبي أشار قُبَيْلَ هذا المعنى إلى معنىً آخرَ طريفٍ ذي صلةٍ به في قوله:

و لكنَّ الفتى العربيَّ فيها *** **غريبُ** الوجهِ و اليدِ و اللسانِ[3]

يُريدُ أنّ الفتى العربيَّ، و يقصدُ نفسه، في هذه الملاعب، غريبُ الوجه و اليد، أي لا يعرفهُ أحدٌ و لا يملكُ شيئا، و أما غريب اللسان فلأنه لا يفهم لغة أهل هذه البلاد و لا يفهمون لغته، فلا يكون التواصلُ و التلقي إلا من طريق الترجمة.

[1] - سورة النمل، آية 16.
[2] - نفسها، آية 19.
[3] - ديوان المتنبي، ص 541

فالترجمة ترتبط ارتباطا عضويّا بالتلقّي، و ما منْ فعلٍ ترجمي إلا و هو مسكون بهاجس التلقّي، حتى إنّ كثيرا من منظري الترجمة يحكم على جودة الترجمة بالنظر إلى قدرتها على "الانفهام" أي على نحوٍ ما الوصول إلى المتلقي، فالتلقّي ليس مجرّد شرط و ركن في الترجمة، بل هو أحد أهم المكوّنات العضوية للفعل الترجمي.

يقعُ التلقّي إذاً في قلب الفعل الترجمي، ذلك أنّ الترجمة تقوم أوّل ما تقوم على التفسير والتأويل، فكلّ فعل ترجمي هو فعل تفسيري و تأويلي، و إذا نظرنا أيضا إلى الترجمة من جهة كونها قراءة، فإنّ ذلك أيضا يستدعي مقولة التلقي لأنّ كلّ قراءة هي تأويلٌ.

بل و يمكن أن نذهبَ إلى أبعدَ منْ ذلك؛ إلى الزعم بأنّ الترجمة إنما هي تجسيد و تحقيق لفعل التلقّي، على الأقلّ في مستويين: الأول أنّ المترجم هو في ذات الوقت قارئ على نحو ما، و من ثمّ يَصْدُقُ في حقّه ما يصدقُ في حقّ أي متلقٍّ من آليات الاستجابة و التقبّل، و الثاني أنّ الترجمة قادرة بشحنتها التأويلية على توجيه الاستجابة و التلقّي إزاء منتوجها.

و النصّ الناتج عن الترجمة هو في الحقيقة ناتجٌ عن التأويل، و هو منتهى عملية القراءة، فالقراءة تُنتجُ المعنى، و تصلُ إلى ذروتها و تبلغ منتهاها حينما تفضي إلى تأويل يتناسل منه النص المترجَم، وذلك منْ منطلق أنّ النص "آلة كسولة" *machine paresseuse* كما تصفه بعضُ نظريات التلقّي، و" شرط القراءة وعلة وجودها أن تختلف عن النص الذي تقرأه، وأن تكشف فيه ما لا يكشفه بذاته أو لم ينكشف فيه من قبل، وأما القراءة التي تقول ما يريد المؤلف قوله، فلا مبرر لها أصلاً، لأن الأصل أولى منها، ويغني عنها." [1]

كما أنّه في كلّ عملية قراءة، يخضع القارئ إلى مجموعة من الخبرات و التراكمات المعرفية التي تتحكم في فعل القراءة و توجّه إنتاجه للمعنى، وذلك سواء مع المترجم و هو المتلقّي الأول، أو مع "المستهلك" – مستهلك النتاج الترجمي- بوصفه المتلقي الثاني في مسار هجرة النص، إذْ إنّ القارئ "لا يواجه النص معزولاً ووحيداً، بل يواجهه من خلال الأنظمة النصية المترسبة في لا وعيه ومن خلال ذكرياته القرائية."[2]

المطلب الثالث: التلقي في ضوء المفهوم العربي للترجمة.

[1] - علي حرب، نقد النص ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء ط 4، 2005، ص.20.

[2] - جان ستار وبسكي، نحو جمالية للتلقي، ترجمة: محمد العمري، دراسات سال، فاس عدد: 1992/6، ص.18.

لا مراء أنّ كثيرا من المؤرخين و العلماء المنصفين قد شهدوا و أقرّوا بأن العرب كانوا من أكثر الأمم ممارسة للترجمة، و تاريخ المعرفة ينطق بذلك، بل و اعترفت طائفة من علماء الغرب أنّ أوربا إنما رأت النور فيما يسمونه عصر الأنوار أو التنوير حينما عكفت تنهل من العلوم و المعارف التي كان نقلها العرب من أمم و لغات أخرى لاسيما الترجمات العربية من علوم اليونان، حتىّ بلغ منهم التأثر بالنهضة العربية أنْ كان منهم من استنسخ بعض التجارب المعرفية العربية استنساخا.

كان العرب عموما على اتّصال بالأمم والحضارات التي كانت متاخمة لهم في السلم أو في الحرب، كالمناذرة في العراق مع الفرس الساسانيين، والغساسنة في الشام مع الروم البيزنطيين... ولم ينقطع اتّصال العرب بهذه الأمم، فكان من البدهي أن تكون قد قامت بينهم تبادلات تجارية وعلاقات سياسية واجتماعية، وذلك كلّه يقتضي وجود لغة تفاهم تقوم بها شؤونهم و مصالحهم، و لعلّ الترجمة كانت هي الحلّ الأمثل لتحقيق التواصل و التفاهم وإنْ في أضيق الحدود آنئذٍ.

و تخبر الروايات الصحيحة أنّه في صدر الإسلام كان النبي – صلى الله عليه و سلّم- يحثُّ بعض صحابته على تعلّم لغات أخرى، فقد ورد عن زيد بن ثابت أنّه قال:" أمرني رسول الله – صلى الله عليه و سلم – أن أتعلّم له كتاب اليهود، قال: إني والله ما آمنُ يهود على كتاب، فما مرّ بي نصف شهرٍ حتى تعلّمتُه له، فلمّا تعلمتُه، كان إذا كتب إلى يهود كتبْتُ إليهم، و إذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم"[1]، و روى الترمذي في صحيحه عن زيد بن ثابت أنّه قال: " أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أتعلّم السريانية"[2]، و لعلّ ما يُستفادُ من الحديثين الشريفيْن أنّ زيدا رضي الله عنه – وربما غيره من الصحابة - كان يتعلّم الألسن بما يخدم به الدعوة، و يترجم الكتب التي ترد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من الملوك .

ثمّ توسعت الترجمة أو ما كان يُدعى "التعريب" خلال القرن الأول الهجري في ظل الحكم الأموي لِمَا عُرِفَ عن بعض خلفاء بني أميّة من ولعٍ بالعلم و المعرفة ، فقد " كان خالد بن يزيد الأول (ت ٨٥ هـ / ٧٠٥ م) عالماً وأديباً ومن أول المحبين لعلوم اليونان حيث أمر بترجمة الكتب في علم الهيئة والطب والكيمياء"[3]، و قد ذكر صاحبُ الفهرست أنّ خالدا كان أول من تُرجِم له كتبُ الطب والنجوم وكتب الكيمياء[4] ، و قد أثنى عليه

[1]- الإمام الحافظ : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزري السجستاني، سنن أبي داود، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، الطبعة 1، 1952، ج2. باب العلم، ص. 182.

[2] - صحيح الترمذي ، بشرح الإمام أبي بكر العربي المالكي، 1934، ج. 10 ، ص. 182.

[3] - بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، الطبعة3 ، دار المعارف، مصر، ص.69.

[4]- ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست ، مكتبة خياط، بيروت، 1964، ص. 511.

الجاحظ بقوله" و كان خالدٌ بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا، و فصيحا جامعا، و جيّد الرأي كثير الأدب، و كان أوّلَ من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء."[1]

غير أن حركة النقل و الترجمة في العصر الأموي لم تكنْ لتتعدّى المحاولات الفردية القائمة على بعض الجهود الخاصّة، فكان مجالها محدودا و رقعتها ضيقةً، ولمْ تعُدْ بفائدة كبيرة على الثقافة العربية، ناهيك منْ أنّ الولاة الأمويين كانوا ينظرون إلى الترجمة بنوع من الريبة خشية أن تُقحِمَ إلى العقول العربية من الأفكار و المذاهب ما يشوّش على الناس عقائدهم و يزرع الشبهات و الأضاليل، فكان أنْ توجَّسَ المترجمون خيفةً، و أحجموا عن ترجمة بعض الكتب من اليونانية الفارسية و السريانية و الهندية و بخاصّة تلك التي تتصل بعلوم المنطق والفلسفة، و قد أومأ الجاحظ إلى ذلك حين ذكر "أنّ من بين الأشياء التي تُخفى بعناية عن عيون الناس إلى جانب الشرابِ المكروه، الكتابَ المتّهمَ."[2]

و في توجّس خلفاء بني أميّة من الترجمة أنْ تكون مُلقاةً على عواهنها، و في إحجام بعض المترجمين أيضا عن ترجمة بعض الفنون بأعيانها من اليونان و سواهم، دليلٌ عملي و تاريخي على مكانة المتلقّي و موقعه المركزي في الفعل الترجمي، لأنّ توجس هؤلاء و إحجامَ أولئك إنما كان لاعتبار الأثر غير المرغوب الذي قد تحدثه بعض العلوم و الفلسفات اليونانية على المتلقي العربي المسلم وعقيدته، لِما كانت تنطوي عليه منْ شطحاتٍ و تهويمات لا تنسجم مع ما كان قد استقرّ في المِخْيال العربي.

و مهما يكنْ من الأمر فإنّ هذه المرحلة على تلكّئها و انحسار الفعل الترجمي فيها، فإنها قد وضعتْ اللبنات الأولى لتأسيس نشاط ترجمي سيلقى فيما بعدُ من التوسع و النجاح و الدّعم ما يرتقي به إلى أن يصير مفتاح النهضة العلمية العربية، والسرّ الخبيء وراء الإقلاع الحضاري، إذْ وَشْكانَ ما سطع نجم الترجمة وبلغتْ أوج ازدهارها و عطائها مع خلفاء بني العباس الذين عنوا عناية شديدة منذ بواكير عهدهم بنقل العلوم، و لم يدّخروا التماسا لذلك وسعا من جهد أو مال، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور كما يذكر المسعودي"أوّل خليفة قرّب المنجمين و عمل بأحكام النجوم...و هو أوّل خليفة تُرجمت له الكتبُ من اللغات الأعجمية إلى العربية".[3]

و لقد " كان المنصور أوّل منْ عُني عناية فائقة بنقل الكتب القديمة و لكنّه اقتصر منها على العلوم الطبيعية و الطب و النجوم و الهندسة."[4]

---

[1]- الجاحظ، أبو عثمان ، البيان والتبيين، تح: حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر،ج.1، ص. 314.

[2] - الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعرفة، القاهرة، ط. 5 ، ص.87.

[3] - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة 5، بيروت، 1973، ج.4، ص.241.

[4] - الغنيمي، عبد الفتاح مقلد ، الحضارة الإسلامية و تحدّيات القرن الحادي و العشرين، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، الطبعة1، ص. 31.

ثم جاء من بعده هارون الرشيد و كان شديد الاهتمام بالعلوم و ترجمتها، ولقد تُرجمَتْ في عهده أشهر الكتب العلمية كمثل كتاب الأصول في الهندسة و العدد لإقليدس[1]، وأنشأ أوّل مصنع للورق ببغداد، و تطوّرت في عهده العلوم تطوّرا كبيرا.

ثمّ تولى الخلافةَ منْ بعده ابنُه المأمون ، فاقتدى بوالده الرشيد، بل كان أشدّ ولعا بالعلوم من والده و أحرص على الترجمة و استقدام المترجمين والمصنّفات منه، حتى لقد بلغ به شغفه العلميّ أنْ كان يعاهد ملوك الروم على الصلح لقاءَ أنْ يدفعوا إليه بالكتب، "فكان أحد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث، أن ينزل للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية، وكان من بين ذخائرها الثمينة، كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بتعريبه وسماه: المجسطي."[2]

و منْ أمارات النهوض العلمي و كثرة الاشتغال بالترجمة ما عرِف "بدار الحكمة" و "بيت الحكمة" التي اختُلف فيمن كان أوّل من شيدها، فبعضهم ينسبُها إلى المنصور و بعضهم إلى هارون الرشيد، غير أن الشهادات المتواترة ترجح نسبة تشييدها إلى المأمون، إذْ يذكر المستشرق البريطاني *أوليري دي لاسي* أن المأمون " أنشأ مدرسة سماها بيت الحكمة وجعلها معهداً تعد فيها الترجمات لكتب علماء اليونان لتداولها بين العرب"[3]، وقد أيد هذا الرأي مؤرخون غربيون وعرب كثيرون.

و قد وسّع المأمون بذلك من دائرة الترجمة[4]، و ضمّت بيت الحكمة بين جنباتها مترجمين مرموقين أضحوا أقطابا في التّرجمة، كان من أشهرهم حنين بن اسحق، وابنه اسحق بن حنين بن اسحق، وثابت ابن قرة، و يوحنا بن البطريق، و أبو بشر متى بن يونس، و يحيى بن عدي، وغيرهم كثيرٌ ممّن عُرفَ عنهم إتقانهم السريانية و إحاطتهم بالعلوم التي كانوا يترجمون فيها، فكانت بحقٍّ مؤسسة علمية عتيدة، بل يصحّ أن يقال عنها إنها كانت" أول جامعة في التاريخ"[5]، فقد كانت أول مؤسسة ترجمية منظمة تتبنى المنهج العلمي.

و لم تكن بيت الحكمة هي المدرسة الوحيدة التي حملت على عاتقها عبء نقل علوم الأمم و معارفها، بل ظهرت مدارس أخرى كثيرة في البلاد الإسلامية أو البلاد التي فتحها المسلمون، كان من أشهرها و أكثرها تأثيرا مدرسة طليطلة التي قامت بالأندلس في القرن الثاني عشر للميلاد، و كان لها اليدُ الطّولى في دفع عجلة الترجمة.

---

[1] - علي اسحق عبد اللطيف، ابن الهيثم عالم الهندسة الرياضية، منشورات الجامعة الأردنية، 1993 الأردن، ص.26.

[2] - ابن النديم، الفهرست، ص.339. *المجسطي: معناه الترتيب الكبير في علم الفلك، وكان المرجع لهم في الفلك عند المسلمين، وعند الأوربيين في قرونهم الوسطى.*

[3] - أوليري، دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص.100.

[4] - الرفاعي، أحمد فريد، عصر المأمون، دار الكتب العلمية، القاهرة ط2، 1927، ص.351.

[5] - غنيمة، محمد عبد الرحيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة، تيطوان،المغرب 1953، ص.52.

وفي هذه الدُّورِ العلميّةِ تُرجمتْ مصنّفاتٌ لا تعدّ و لا تحصى و مؤلفاتٌ في شتى العلوم كالفلك و الفلسفة والمنطق، والطب والكيمياء والسياسة و المنطق و الآداب و النجوم و سواها، ومن لغات شتى كالفارسيّة والهنديّة واليونانيّة، وكانت الترجمة إمّا أنْ تكون رأساً من إحدى هذه اللغات أو تكون بوساطة السّريانيّة أحيانا، و بذلك "نال المترجمون والعلماء حظوة في بلاطات الخلفاء وفي قصور الأمراء والأعيان ما بعدها حظوة و كان الخلفاء يقربونهم و يجزلون لهم العطاء."[1]

و لم يكن الاهتمام بالترجمة و الاشتغال بنقل المعرفة حكرا على الخلفاء وحدهم، بل تعدّاه إلى الوزراء و الأعيان، كما كان الشأن مع وزراء الرشيد البرامكة، بل و شارك فيه حتى بعض الأفراد والعائلات ممن كانت لهم شهرة علمية مثل أبناء موسى بن شاكر الذين جدّوا في طلب العلوم القديمة و بذلوا فيها النفائس بغية نقلها إلى العربية[2]، وقد أنفقوا ريع أملاكهم الضخم في الترجمة و جمع الكتب[3]، وعائلة جبريل بن بختيشوع وعائلة الفضل بن نوبخت، وغيرهم.

و في خضمّ هذا المدّ الترجمي الهائل الذي عرفه العرب، قامتْ نهضة لا مثيل لها في تاريخ الأمم و أفرزت الترجمة من جرّاء تراكم الفعل الترجمي تحوّلا من النقل إلى الإبداع، فعجّت الحضارة العربية الإسلامية بالعلماء و المصنّفين في شتى المعارف و الفنون، وغصّت بالتراجمة حتّى ليَصْلُحُ أن يُقالَ إنّ نهضة العرب العلمية وما صاحبها من زخم معرفيّ هادر إنما كان من إفرازات الترجمة، ويعود أساسا إلى اهتمامهم بنقل المعرفة، و ربّما صحّ بما لا يدعُ مجالا للشك أن نؤسس لقاعدة ثابتة من استقراء تاريخ الترجمة، أنّ الشأن دائما أنّه ما ازدهر النشاط الترجمي في أمّة و اشتدّ الاهتمام به و استُحثّتْ إليه الهمم و شُحذتْ فيه العزائمُ ، إلاّ كان ذلك أدعى لنهضتها العلمية و رقيّها الحضاري، و إلى مثل هذا يُشيرُ جابر عصفور في حديثه عن ترجمة البستاني لإلياذة هوميروس، إذ يذهب إلى أنّه "لا يكتمل تاريخ أي ثقافة إلا بتاريخ الترجمة، و لا يعلو قدر أي ثقافة إلا بعلو قدر الترجمة فيها...وقد تعلّمنا من الأمم المتقدّمة أن الترجمة أصلٌ من أصول التقدّم"[4]، و إن كان أحرى به أن يُضيف، اعترافا بالفضل، أنّ العرب المسلمين، و تاريخ المعرفة الإنسانية شاهدٌ، هم منْ علّم البشرية جمعاء أنّ الترجمة أسٌّ في الرقي و التقدّم، مِنْ قَبْل أنْ نتعلم ذلك ممن دعاهم " الأمم المتقدّمة".

---

[1] - عبد الرحمن بدر الدين : قنسرين أو عش النسور ، مجلة التراث العربي ، العدد ،98 جمادى الأولى 1426ه / حزيران 2005 ، السنة الخامسة والعشرون ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ص.16.

[2] - توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء، مصر،1988، ط1، ص. 402.

[3] - زيغريدهونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبة، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت – لبنان، 1964، ص. 379.

[4] - جابر عصفور، في محبّة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، ط 1،2009 ، ص .118.

و ليس هذا العَرْضُ التاريخي في الواقع مقصودا لذاته، فضلا عن أنّه مقتضبٌ، وإلاّ فإنّ الحديث عن حركة الترجمة عند العرب في نشأتها و تطوّرها و زخمها و إنجازاتها، رو كثرة المترجمين، و حجم المصنّفات التي نُقلت من العربية أو إليها، في الأعصر المتعاقبة لاسيما العصر العباسي، لَهُوَ حديثٌ من الضخامة بحيث يستغرق المجلّدات الطوال، ولا نبالغ إن قلنا بأن ذلك العصر كان ثورة ترجمية فعليّةً قلّما شهد التاريخ لها مثيلا، كما أنّ المجال هنا ليس مجالا للتأريخ ولا للنحيب و العويل على مجد تليد، وإنما حسبنا منْ هذا العرضِ البرهانُ على أنّ النشاط الترجمي في الحضارة العربية الإسلامية لم يكن حدثا طارئا أو عرضا عابرا، و إنما كان عنصرا مركوزا في عمق التجربة المعرفية العربية، ومكوّنا متغلغلا في صلب البنية الأيديولوجية و السياسية للمجتمع، مما جعل منه دعامة متينة لإحداث نقلة علمية، و إنجاز وثبة حضارية، ليس في الفضاء العربي فحسب، بل قد كان أيضا بشهادات المنصفين، ركنا ركينا في بناء الحضارة الغربية، و لا نتنكّبُ جادّة الصواب إذا قلنا إن التراث الإنساني في جانب غير يسير منه قد أقيم على صرح الترجمات التي أنجزها العرب في عصور الازدهار.

و لكن السؤال الذي يأبى إلا أن يطلّ برأسه و يطفوَ إلى السطحِ كلما أُثيرَ الحديث عن الترجمة عند العرب، و الذي ينمّ عن مفارقة عجيبة، هو كيف أنّ العرب قد بلغوا شأوا عظيما في الترجمة على امتداد عقود إن لم تكن قرونا، و ترجموا من المعارف و العلوم ما لم يترجمه غيرهم من الأمم و كانوا رادةً في الترجمة، و قد شهد لهم العدو قبل الصديق بالسبق و الإجادة، بيْد أنّ كلّ ذلك الرصيد الثري منَ الممارسة الترجمية والخبرة العريضة، لم يُرافقْه اهتمام بالتنظير للترجمة إلا لِماماً، و لمْ تتمخّضْ عنه نظرية عربية شاملة و متكاملة، فظاهرة غياب التنظير مع امتلاك الخبرة العريضة و الممارسة الترجمية الطويلة، لهي بحقٍّ ظاهرةٌ محيّرة، و بخاصّة إذا استحضرنا أنّ حضارات أخرى لم تملك عشر معشار الرصيد العربي في الترجمة، و لا مؤسسة نظامية مثل بيت الحكمة، قد شهدت مع ذلك تنظيرًا ترجميا غزيرا.

الفرع الأوّل: التلقّي في ضوء مفهوم الجاحظ للترجمة.

و من تلك الشذرات و النُّتف المبثوثةِ في بطون بعض كتب الآداب و التاريخ، حديثُ الجاحظ عن الترجمة في الحيوان[1]، وهي إشارة لا نبالغ إذا قلنا إنها من أهمّ و أنفس ما قيل عن الترجمة في التراث العربي على الإطلاق، بل لعلّها أن تكون أقدمَ نظرية في الترجمة، و إنّ ما ذكره الجاحظ في الترجمة ما انفك يتردد في الأوساط الترجمية العربية إلى يوم الناس هذا، بل نكاد لا نجد، لدى التمحيص و التحقيق، في الكتابات العربية القديمة مَنْ

[1] - الجاحظ كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات مصطفى البابي الحلبي، مصر 1965 ، ط 2.

كَتَبَ في الترجمة من الأدباء والشعراء واللغويين وحتى المترجمين أنفسهم، ولا نعثرُ على رأيٍ عربيّ المَحْتِدِ و الأَرُومَةِ أصيلٍ إلاّ ما ذكره الجاحظ، ممّا يشي بأنّ الجاحظ هو الصّوتُ العربيُّ اليتيم الذي تكلّم في الترجمة، و القلمُ العربي الفرد الذي خطَّ مَخايِلَ التنظير في الترجمة.

الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري، ولد في البصرة عام159هـ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، وتوفي بها عام255 هـ في خلافة المهتدي بالله، فعاصر خلفاء بني العباس، وعايش الثقافة العربية الإسلامية حينما كانت في أوج ازدهارها و ذروة عطائها.

لقد نالت الترجمة لشيوعها في النشاط الفكري العربي الإسلامي، قسطا من اهتمام الجاحظ، و هو الرجل الموسوعي، فخصّها بحديث يذكر فيه بعض خصائص الترجمة وحدودها وأنواعها وشروط المترجم، وغير ذلك من القضايا ذات الصلة بالفعل الترجمي، وسجّل في ذلك، بثقابه ذهنه المعهودة و لطافة إشارته، جملة تأمّلات هي بمثابة بنودٍ أساسية لنظرية الترجمة عند العرب، غير أننا سنعرض بالتفصيل لرأي الجاحظ في مبحثٍ لاحقٍ عند الحديث عن نظريات الترجمة، و لكننا سنكتفي في هذا الموضع بالتنقيب بين ثنايا كلام الجاحظ لاستخلاص ما يصلح أن يكون تعريفا للترجمة، مادام المقامُ مقامَ مدارسة التعريفات و موقع المتلقي منها، لأنّ الجاحظ في هذا النص لم يعرّف الترجمة تعريفا اصطلاحيا مباشرا و لكنّه ضمّن كلامَه إشاراتٍ و عبارات قد تساعد في بناء تصوّر عن مفهوم الجاحظ للترجمة، و موقع المتلقّي من ذلك المفهوم.

لم يكن الجاحظ مترجما والشائع في تاريخه أنه لم يحسن لغةً غير العربية، و إنما كان قارئا نهما ومدمنا للمصنّفات المترجمة، ولعلّ تأملاته في الترجمة قد رشَحَتْ عنده انطلاقا من إجالة النظر و إطالة الفكر فيما كان يقع تحت يده من ترجمات حَسَنِها و رَدِيِّها، ولم تكن تلك التأمّلات نتاج معافسة للترجمة و مكابدة لصعوباتها و تجشما لعقباتها الكأداء.

يستهلّ الجاحظ نصّه الشهير[1] في الترجمة، بالحديث عن صعوبة ترجمة الشعر، فبعد أنْ بيّن أنّ الشعر عند العرب "حديث الميلاد، صغير السنّ"، وأنّه إذا استظهرناه غاية الاستظهار فهو لا يتجاوز مائتي عام، و بعد أنْ جعل "فضيلة الشعر مقصورة على العرب و على من تكلّم لسانهم، يقولُ:

[1] - الجاحظ، كتاب الحيوان، مرجع مذكور، ص. 74 .

"و الشعر لا يُستطاعُ أن يُترجم، ولا يجوز عليه النقل؛ ومتى حُوّل تقطَّعَ نظمُه، وبَطَلَ وزنُه، وذهب حُسنُه، وسَقَطَ موضِعُ التعجُّب، لا كالكلام المنثور، و الكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور الذي تحوَّل من موزون الشعر."[1]

يُقِرُّ الجاحظ هنا بالخلل الذي يعتري بنية الشعر العربي حين يُنقل إلى لغات أخرى، من الجليّ أنه يقيم بذلك اعتبارا كبيرا لقضية التلقّي، من جهة أن الشعر إذا نُقل و ترجم إلى لسان غير عربي و متلقٍّ غير عربي فإنه يفقد كثيرا من مزاياه التي تقيم أوده، ولا يكون الشعر شعرا إلا بها، فلا يجدُ المتلقي بعد ذلك فيه حسنا، و لا يحسُّ له لذّة و لا يأسره منه جمال كالذي كان له و هو في أصل لغته، إذ "يتقطع وزنه، و يسقط موضع التعجّب منه" بفعل الترجمة، فيكون الكلام المنثور ابتداءً حينئذٍ أوقع في النفس و أحسن حالا و أدعى للتقبّل من الكلام المنثور الذي نشأ عن ترجمة الشعر، و المعيار الذي يمكن استنباطه من حكم الجاحظ على ترجمة الشعر هو فساد عملية التلقّي، و غياب التفاعل الجمالي و تفاوت استجابة المتلقّي بين أنْ يُقرأ الشعر في لغته التي خرج منها، و أنْ يُقرأ في لغةٍ نُقِل إليها.

و لعلّ موقفه هذا من نقل الشعر، و ربّما اعتداده بالشعر العربي على وجه الخصوص، قد دفعا به إلى الإعراض عن أشعار الأمم الأخرى، فتراه "يضربُ صفحا عن كل ما ورَدَ من شواهد شعرية في كتاب أرسطو، حتى وإن نقل النص نقلا حرفيا من كتاب أرسطو، يتجاهل الشاهد الشعري، كما يتجاهل اسمَ الشاعر"[2]، وكان يلتمسُ لها بديلا في أشعارِ العرب وفي حكمهم و أمثالهم، و ذلك ما يعتقده في مثل قوله: "و قلَّ معنىً سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلاَّ ونحن قد وجدناه أو قريباً منه في شعر العرب والأعراب."[3]

لمْ يكن توجّس الجاحظ من ترجمة الشعر، بل و القول باستحالتها بداعٍ من طبيعة الشعر ذاته من حيث إنّه عصيٌّ عن الترجمة من لسان إلى لسان، بقدر ما كان ذلك بداعي أن ترجمة الشعر إفساد له و إخراج له عن وجوهه ممّا ينتفي معه وجه المصلحة من الترجمة، و لا يجني المتلقي فلا يصلُ إليه الأثر الجمالي المرجوّ و لا الإيحاءات البيانية و لا إيقاعات النظم، لأنّ المضامين و المعاني في نظره ليست هي مدار التجربة الشعرية، " ولو حُوّلتْ حِكمة العرب؛ لبَطَل ذلك المُعجز الذي هو الوزن؛ مع أنهم لو حوَّلوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكرْه العَجَمُ في كتبهم"[4]، قوام الشعر هو التصوير و الوزن و

[1] - الجاحظ، كتاب الحيوان، سابق، ص. 75.
[2] - وديعة طه النجم، منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان، نصوص ودراسة، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط1، 1985، ص.84 – 85 .
[3] - الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص. 268.
[4] - نفسه، ج. 1 ، ص. 75.

الإيقاع، أما المعاني " فهي مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ... وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء, وفي صحة الطبع وجودة السبك، وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير."[1]

ويرى الجاحظ أنّه ليس في وسع المترجم أن ينقل المعاني الدقيقة للنص الأصلي نقلا أمينا إلا إذا كانت معرفته تضاهي معرفة مؤلف النص الأصلي، وما لم يكنْ ذلك حاصلا فإنّ المترجم لا محالة قاصرٌ عن أداء المعاني و الوفاء للنص الأصلي، فهو يرى " أنّ التَّرْجُمانَ لا يُؤدّي أبداً ما قال الحكيمُ، على خصائص معانيه، و حقائق مذاهبه... ولا يقدرُ أنْ يوفّيَها حقوقها و يؤديَ الأمانة فيها .. و كيف يقدرُ على أدائها و تسليم معانيها، و الإخبار عنها على حقها و صدقها، إلا أنْ يكون في العلم بمعانيها و استعمال تصاريفها و تأويلات مخارجها مثل مؤلّف الكتاب و واضعه"[2].

و لعلّ الجاحظ يومئ بقوله هذا إلى ضرورة التخصص في الترجمة، فلا يترجم الطبَّ مثلا إلا من كان طبيبا و لا القانون إلا من كان رجل قانون، وهو بذلك لا يرمي إلى نفي الفعل الترجمي بالكلية، و إنما يضع شروطا صارمة ، فلا يكفي أنْ يكون للمترجم بعض إلمام بالحقل الذي يترجم فيه و العلم الذي ينقله من طريق القراءات و الاستشارات فقط، و إنما ينبغي أن يكون هو نفسه مختصّا في هذا المجال أو ذاك، و ربّما تأثّر الجاحظ بطبيعة الترجمة في عصره، حين كان التراجمة كلُّهم من العلماء والأطبّاء.

كما نلمح في نهاية المقولة استفهاما إنكاريا واضحا قد نستشف منها عدم اقتناع الجاحظ بإمكانية الوفاء في ترجمة النص الأصلي نظرًا لعدم توافق المترجم والمؤلف، إذْ يتساءلُ: "فمتى كان رحمهُ اللهُ تعالى ابنُ البطريق، و ابنُ ناعمةَ، و ابنُ قُرَّةَ، وثيفيل[3]، وابنُ وهيلى، و ابنُ المقفع، مثلَ أرسطاطاليس؟ و متى كان خالدٌ[4] مثلَ أفلاطون؟"[5]

و مما يُستنبطُ كذلك من موقف الجاحظ من ترجمة الشعر و من الترجمة عموما، ما أشار إليه من ضرورة إحاطة المترجم بفكر المؤلّف و أيديولوجيته و ضرورة إلمامه بما سمّاه "حقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، و خفِيّات حدوده"، و هو عينُ ما ينادي به كثيرٌ من منظري الترجمة حديثا منْ أنّه ينبغي أن يلمّ المترجم بفكر الكاتب الذي يريد أن يترجم له، و أن يكون بصيرا بأسلوبه و فلسفته، و ذلك من خلال قراءة كتاباته، قبل أن يتخوَّض في النقل عنه، من أجل أن يكون نقلُه أقرب ما يكون إلى الدقة و الأمانة، و في ذلك كله ما يُستدلُّ به على أنّ صرامة الجاحظ و تشدده في شروطه نابعان أساسا من حرصه على أن

[1] - الجاحظ، سابق، ج. 3، ص. 131.
[2] - الجاحظ، سابق، ج. 1 ، ص. 76.
[3] - هو ثيوفيل بن توما، أحد المترجمين لأرسطو.
[4] - هو الخليفة خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.
[5] - الجاحظ، سابق، ص. 76.

يصل مضمون الرسالة إلى المتلقّي سليما غير مشوّه وكاملا غير منقوص، و معبّرا عن مقاصد المؤلّف.

و جديرٌ بالإشارة أنّ الجاحظ كان أوّل من استعمل مفهومي "الأمانة والخيانة" من قبل أن تنتشر العبارة الإيطالية الشهيرة "المترجم خائن" بقرون.

ثمّ إمعانا منه في الحرص على سلامة الرسالة و أمانةِ النقل خدمةً للمتلقي، يتوعّر الجاحظ في "تكبيل" المترجم بجملة من القيود والشروط لضمان الإفضاء إلى نتاج ترجمي قابلٍ للتلقي، إذْ يرى أنه "لا بُدَّ للتَّرْجُمان من أن يكونَ بيانُه في نفس الترجمة، في وزن عِلْمِه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكونَ أعلمَ الناس باللغة المنقولةِ والمنقولِ إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغايةً"[1]، فعلى المترجم أن يكون خبيرا باللغتيّن، و عارفا بصيرا بالحقل العلمي الذي يترجم فيه.

فكأنّما يريد الجاحظ أنْ يضع قاعدةً مفادها أنّه على قدر علم المترجم و معرفته بالموضوع الذي يترجمه، يكون بيانه أيضا في اللغة التي يستخدمها و الأسلوب الذي يختاره و الألفاظ التي ينتقيها، فذلك كلّه يعكس مدى تمكّنه من الموضوع و إحاطته بخباياه و شبكة المفاهيم التي يقوم عليها، لكأنّما أيضا يبتغي للمترجم أنْ لا يُرى أقلّ "قدرا" من المؤلّف نفسه، و ألاّ يكون مجرّد ظلٍّ باهتٍ للمؤلّف، بل يكون في اللغة التي ينقل إليها سيّد نفسه، حتى تبلغَ ترجمته من الإحكام و الإتقان ما يُخيّل معه للمتلقّي أنه هو المؤلّف، و تلك مسألة لطالما ناقشتها الدراسات الترجمية الحديثة أيضا.

و إذا استحضرنا المفهوم الذي نادى به بعض منظّري الترجمة من أمثال *لورانس فينوتي*[2] و *أنطوان بيرمان*[3] منْ ضرورة الاحتفاظ بما يُسمّى"غرابة النص" ***l'étrangeté*** ، فإنّ الجاحظ يدعو على النقيض من ذلك، إلى "التوطين"***domestication*** لا إلى "التغريب" في الترجمة أي إنّ المتلقي يتعامل مع نص كأنما كُتب ابتداءً في لغته، و هذا ما يجعلنا نميلُ أيضا إلى أنّ الجاحظ يؤيّد ما اصطُلح عليه في النظريات الحديثة بعبارة "انْمِحاء المترجم" أو اختفاؤه، وهو العنوان الذي وضعه *لورانس فينوتي* لكتابه: ***the translator's invisibility***[4]

---

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج. 1، ص. 76.

2 - VENUTI Lawrence, *The Scandals of Translation : Towards an Ethics of Difference*, Londres, Routledge, 1998.

3 - BERMAN Antoine, *La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du lointain*, Paris, Seuil, 1999. **Pour le même auteur, voir aussi :** *l'epreuve de l'etranger,* **op.cit.**

4 - VENUTI Lawrence, *The Translator's Invisibility. A. History of Translation,* London and New York, Routledge, coll. « *Translation Studies* », 1995.

من أجل ذلك حذّر الجاحظ عن فساد المعنى الذي ينجرّ عن الترجمة الرديئة، ومن غموض العبارة وسوء تأويل معنى الكلام، حتى لقد دفع ذلك بالجاحظ إلى الشكّ في صحة بعض الكتب المترجمة إذ يقول: "فكيف أسكنُ... إلى ما في كتاب رجلٍ لعله إن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المسطبة، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته."[1]

و من المحاذير التي نبّه عليها الجاحظ، لما تُحْدِثُه من بلبلة و تشويش على عملية التلقّي، ما يُعرف اليوم في الدراسات الترجمية بالتداخل اللغوي، فقد تؤثّرُ اللغةُ المنقولُ منها في اللغةِ المنقولِ إليها، و هي على الأغلب اللغة الأم، فتُفْسِدَ من بعض بيانها، و تُزعزِع بعض تراكيبها، فتُفضي الترجمة والحال هذه، إلى ما تمجّه ذائقة المتلقي، لأنها على غير الوجه الذي عهدته سليقته و درج عليه حسّهُ اللغوي، لأنّ المترجم، كما يقول الجاحظ، "متى وجدناه قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضَّيْمَ عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف يكون تَمَكُّنُ اللسان منهما مجتمعيْن فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة"[2]، ثمّ إنّ هذه التداخلات ليستْ راجعةً بالضرورة إلى قصور معجمي في اللغة المستهدفة، و إنما قد تكون راجعة لمجرّد انجذاب شكلي نحو لغة المصدر.

و لقد كان التوحيدي أشار في "المقابسات" إلى "أنّ الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية، ومن العبرانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية، قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق إخلالاً لا يخفي على أحد."[3]

و ليسَ يُدرَى إذا كان الجاحظ ينظر إلى التداخل اللغوي منْ جهَةِ أنّه حتمية لا فكاك منها لكلّ من يجمعُ بين لغتيْن أو أكثر، كأنما هي لعنةٌ تُحيق بمنْ جمعَ لغاتٍ أخرى إلى لغته، إذْ تتدنى مقدرته و مهاراته بمقدار ما يجمعُ من اللغات، أم إنه يراه من جهة كونه عيبا من العيوب التي ينبغي للمترجم أن يتحرّر من وطأتها لِيَلاَّ يفسد الترجمة و لا يضرّ بالتلقّي، و لقدْ ذكر في البيان والتبيين أيضا كلاما أشْبَهَ بهذا حين قال : « و اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلتْ كلُّ واحدة منها الضيمَ على صاحبتها.»[4]

و إذا كان التلقّي يفسدُ بأخطاء المترجمين، فإنّ ذلك الفساد يزدادُ، في نظر الجاحظ، فداحة و شناعة حين يكون الخطأ في نقل كتب الدين، وإذا كان الجاحظ متشدّدا و صارما في شروطه التي يضعها للمترجم في نقل كتب الفنون و العلوم و الآداب العامة، حرصا على أداء الرسالة سليمةً، و صَوْنا للمتلقّي من أن يرد إليه الغلط و الخطلُ من سوء التأويل

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج. 1، ص 19.
[2] - الجاحظ، الحيوان، سابق، ج. 1، ص 76 – 77.
[3] - التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحق:حسن السّندوبي، المطبعة الرّحمانية، مصر، ط1، 1929، ص 258.
[4] - الجاحظ، البيان و التبيين، سابق، ص. 368.

و يتلقّى المعارف ممسوخة مشوّهة من خلل في الفهم، فهو حيال ترجمة كتب الدين أشدّ تزمتا و أقلّ تسامحا، و نلمس ذلك في قوله:"هذا قولنا في كتب الهندسة، و التنجيم، و الحساب، و اللحون؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ و إخبارٍ عن الله – عزّ و جلَّ – بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه"[1]، ثمّ يسترسل بعد ذلك في سرد جملة مما دقَّ و لطُفَ من المحاذير التي تقف حائلا دون إحاطة المترجم بكنه الكلام في الدين، منْ معرفة العامّ من الخاصّ، و الخبر من الأثر، و معرفة ما يكون من الخبر صدقا أو كذباً، و ما يجوز أن يُسمّى بذلك، و معرفة المحال من الصّحيح، "وأيّ القولين أفحشُ: المحالُ أم الكذب... و حتّى يعرف المثل و البديع، و الوحي و الكناية و فصل ما بين الخطَل و الهذَر... و حتى يعرفَ أبنية الكلام، و عادات القوم و أسباب تفاهمهم"، لينتهيَ إلى قوله " و الذي ذكرناه قليلٌ من كثيرٍ، و متى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطأ في تأويل كلام الدين، والخطأ في الدّين أضرّ من الخطأ في الرياضة والصناعة، و الفلسفة و الكيمياء..."[2]

و هذه الآليات التي يطرحها الجاحظ في حديثه عن ترجمة النصّ الديني، و لعلّه يعني القرآن بالدرجة الأولى، تمثّلٌ في الآن نفسه أدواتٍ يتوسّل بها المتلقّي لفهم الخطاب القرآني من حيث هو إخبارٌ عن الله تعالى في ذاته وصفاته و أوامره و نواهيه، وهو إخبار له وجوه، ويقتضي الإحاطة بعناصر التفسير و التأويل التي بيّنها الجاحظ ، كمثل معرفة " فصل ما بين الخطَل و الهَذر، و المقصور و المبسوط و الاختصار"،و قد ذكر ما يشبه ذلك في موضع آخر، إذ يقول:" و رأينا الله تبارك و تعالى، إذا خاطَبَ العربَ و الأعرابَ، أخرجَ الكلامَ مخرجَ الإشارة و الوحي و الحذف، و إذا خاطب بني إسرائيل أو حَكَى عنهم، جعله مبسوطا، و زاد في الكلام."[3]

لا نملك، بعد هذا التشريح لنص الجاحظ، إلا أن نزعمَ أنه ما من قضية من القضايا الشائكة التي تناولتها السجالات في نظريات الترجمة الحديثة و المعاصرة إلا و كان الجاحظ قد أشار إليها و مسّها بنصيبٍ في هذا النص المقتضب و المكثف، و إن كناّ سنعرض له بالتفصيل في حديثنا عن نظريات الترجمة لا حقا.

والجاحظ كما تقدّم، لم يكنْ مترجما و لا اشتغل بالترجمة، ولم يكن يُحسنُ لغةً غيرَ العربية، وإنما بنى هذه التأمّلات منْ قراءاته و نظره الدائم فيما كانت تطاله يداه و يقع تحت ناظرَيْهِ من المصنّفات و الأسفار المترجمة في شتى الفنون و العلوم، و لعلّ ذلك يعزّزُ مقولتنا التي انبنى عليها هذا الفصل، من أنّ مفهوم الترجمة، و قيمتها و جدواها و دقّتها، كلّ ذلك إنما يتمّ تقييمه في ساحة التلقّي، و بميزان ينصِبُه المتلقّي، و الجاحظ في

[1] - الجاحظ، الحيوان، ج. 1، سابق، ص 77.
[2] - نفسه ، ص 78.
[3] - نفسه ، ص 94.

تأملاته جميعها ينطلق من موقع المتلقّي، ليحكمَ على الترجمة و يزنَ أداءها، فهو لم يكن مترجما، لكنّه استطاع، من حيثُ هو متلقٍّ، أن يؤسس لنظرية في الترجمة، ممّا يوحي بأنّ المتلقّي و فعل التلقّي ليس مجرّد طرف منفصل في المسار الترجمي، و إنما هو مكوّن جوهري يقع في صلب محدّدات الفعل الترجمي.

الفرع الثاني: التلقّي في ضوء إشارات تراثية أخرى.

و من بين الإشارات النادرة إلى الترجمة في التراث العربي، و إنْ لم تكن تعريفا صريحا للترجمة، ففيها تصنيف لطرائق الترجمة و مدارسها، ما نقله البهاء العاملي[1] في كتابه "الكشكول"، عن الصفدي[2]:" قال الصلاح الصفدي: و للتراجمة في النقل طريقان: أحدهما طريق يوحنّا بن البطريق و ابن ناعمة الحمصي و غيرهما، و هو أن ينظر إلى كلّ كلمة مفردة من الكلمات اليونانية، و ما تدلّ عليه من المعاني، فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريق رديّةٌ."[3]

و لعلّ الصفدي يحكم على هذا الأسلوب الترجمي بالرّداءة اعتبارا لأنّه ليس ثمّة من لغتين متطابقتين إلى الحدّ الذي يكونُ فيه لكلّ لفظ في إحداهما ما يقابله من لفظ في الأخرى ، فقد ينفقد المقابل فيقع المترجم في بلبلة و لا يهتدي إلى أن ينقل المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ المقصود نقلا أمينا يفي بمضمون الرسالة، و يفهمه المتلقي، فضلا عن أنّ اللغاتِ تتمايز في التراكيب و النسب الإسنادية، مما يقع به الخلل في خواص المعاني المنقولة، فيضيع المعنى في غمرة هذا التباين، وهذا الطريق الأوّل كما يصفه الصفدي، هو عين الترجمة الحرفية و الترجمة كلمة بكلمة ذات "السمعة السيّئة" في الدراسات الترجمية، أمّا الطريق الثاني فيحكم عليه الصفدي بالجودة، لأنّه يروم نقل المعانين و المترجم في هذه الحال لا يلهثُ خلف الكلمات مفردةً ينقُلُها، و إنما ينقلُ ما تفرزه الكلمات مجتمعة و مَسُوقة في نظم معيّن، من معانٍ وأفكار، و لا ضير بعد ذلك إن كانت الكلمات قد ساوت نظيراتها أم لمْ تُساوِها.

يصف الصفدي هذا الطريق بقوله: "والطريق الثاني في التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما، وهو أن يأتي بالجملة، فيحصل معناها في ذهنه، ويعبِّر

---

[1] - بهاء الدين محمد بن حسين الحارثي المعروف بـالشيخ البهائي أو بهاء الدين العاملي، (953 هـ- 1030 هـ) عالم دين وفقيه ورياضي وفيلسوف شيعي ولد بمدينة بعلبك اللبنانية.

[2] - هو صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الفاري الصَّفديّ الدِّمشقيّ الشَّافعيّ.(صفد، 696 هـ - دمشق، 10 شوَّال 764 هـ) أديبٌ و شاعرٌ و مؤرّخ ،برع في النَّحو واللُّغة والأدب والإنشاء، وكتب الخطّ المنسوب، وقرأ الحديث وكتبه، وتعانى صناعة الرَّسم على القماش.

[3] - العاملي، بهاء الدين، الكشكول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1983، ط6، ج2، ص 102، **وينظر أيضا:** سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وأثره في النهضة الفكرية خلال العصر العباسي - العربي ع 213 (شعبان 1396هـ/ أغسطس 1976م) - ص: 126 - 130.

عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت ألفاظها أم خالفتها، وهذا الطريق أجود."[1]

و معيار الجودة هنا لا محالة هو قيمة النتاج الترجمي الذي يتمخض عنه سلوك هذا الطريق في الترجمة، و قُربُ مآتي المعاني و الدلالات لدى المتلقي، لأنّ المترجم يعبّر في لغة الوصول عمّا يحصلُ في ذهنه من فهمٍ، و ذلك أدعى إلى أن يخرُجَ مطبوعاً و مألوفا عند المتلقي، و أقربَ إلى أن يكون مدركا مفهوما لأنه يجري في بنائه و صياغته على سمت اللغة المستهدفة و سننها التعبيرية و أعرافها الأسلوبية.

و تطالعنا في ثنايا التراث العربي بعض الإشارات التي ينظر فيها أصحابها إلى الترجمة بشيء من القداسة، مبالغةً منهم في الوفاء للنص الأصلي، و بخاصة إذا تعلّقتْ بنقل النص الديني، مخافة أن يطاله في إثْر الترجمة بعض التحريف، و مبعثُهم في ذلك حرصهم الشديد على سلامة التلقّي، و أنْ يخرج النصّ المترجَمُ إلى المتلقّي كأشدّ ما يكون شبَهاً بالنصّ الأصليّ حتى لَكأنّه هو، كالذي يورده ابن النديم و هو يتحدّث عن كتابٍ في الأديان قديمٍ: " قال أحمد بن عبد الله بن سلام، مولى أمير المؤمنين الرشيد: ترجمتُ صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة - وهي لغة كل كتاب - إلى العربية، حرفًا حرفًا، ولم أبتغِ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه؛ مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته، ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدِّم بلغة أهل ذلك الكتاب، فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية إلا أن يؤخَّر... وأعوذ بالله أن أزيد في ذلك أو أنقص منه إلا على هذا الوجه الذي ذكرته وبينته في هذا الكتاب."[2]

الفرع الثالث: التلقّي في ضوء بعض التعريفات العربية الحديثة للترجمة.

و أمّا في العقود المتأخّرة، و بعد تطوّر نظريات الترجمة، و ازدهار"الترجميات" أوعلم الترجمة ***traductologie*** ، فقد حاول بعض الباحثين العرب المشتغلين بالترجمة أن يضعوا للترجمة تعريفات، فانقسموا في ذلك فريقين: فريق اكتفى بترجمة بعض التعريفات الغربية، على اختلاف النظريات التي أفرزتها، و فريق حاول أن يتفلّت من ربقة التعريفات المترجمة ليضع تعريفا أصيلا ينم عن تجربة عربية أصيلة في الترجمة.

غير أنّه لا منْدوحةَ عن الإشارة بين يديْ هذا العرض، إلى أنّ التعريفات التي وضعها الباحثون العرب في الغالب الأعمّ هي ترجمات لتعريفات كان وضعها الغربيون في نظرياتهم المختلفة، فكأنما قدْ سدّتْ تلك التعريفات أمامهم أوجه الاجتهاد و استغنوا بها عن

[1] - العاملي بهاء الدين، نفسه، ص 102.
[2] - ابن النديم، الفهرست، سابق، ص 237.

الإبداع، وكأنما قد فات زمنُ العربِ الذي كان ينبغي لهم فيه وضع تعريف للترجمة عربيّ أصيل، عشيّة ازدهار الفعل الترجمي في ديارهم، بيد أنهم لم يفعلوا، ذلك أنّ تعريف أي ظاهرة معرفية إنما يستند أوّل ما يستند إلى تراكم مطّردٍ للخبرات و الممارسات، و يقوم على نسق نظري في هذا الحقل المعرفي أو ذاك، كيما يكون التعريف امتدادا طبيعيا للظاهرة، يحيط بجزئياتها، وينسجم معها و يعبّر عنها بحقّ، فيكون ميسورا مفهوما.

أما التعريفات التي إنما هي ترجمات، و مصطلحاتها مجلوبة من هنا أو هناك، فإنها تكون غامضة مستغلقة، ومصطلحاتها معزولة عن التصوّر النظري و النسق المعرفي الذي أنتجها، فلا يعدو أن يكون وضعُ المصطلح إذْ ذاك، مجرّدَ إعطاء مقابل معجميّ عربي لمفردة أجنبية، وليس تمثّلا للتصوّر برمته، مما يفرّع كثيرا من التعريفات من حمولتها النظرية و الاصطلاحية، و من شبكة المفاهيم التي تقوم عليها، فيجعلها أحيانا متهافتةً مهلهلةً، وغيرَ متماسكةٍ منهجياً.

و ليس المراد من الوقوف عند بعض هذه التعريفات تقييمَها من حيث أصالتها أو تبعيّتها، فإنّ ذلك مبحث آخر، و هو غير ذي صلة بإشكالية هذا الفصل على الأقلّ، و إنما نسوقها استكمالا للحديث عن موقع التلقي في تعريفات الترجمة و أهميته، و بيان أنه ما من تعريف للترجمة إلا و هو يستندُ على نحو ما إلى التلقّي بوصفه ركيزة أساسية في بنائه.

يعرّفُ محمد الديداوي[1] الترجمة بأنها " كتابة في اللّغة المترجم إليها لنقل المعنى وفقا للغرض المتوخّى منها"، ثمّ يضيف أنّ الترجمة هي " الانتقال من لغة إلى أخرى فيما بين ثقافتين لتبيين مراد المترجم للمترجَم له الّذي لا يفهم اللّغة المترجَم منها."[2]

فالترجمة عنده كتابةٌ في اللغة المستهدفة، تسعى إلى إنجاز"الغرض المتوخّى" منها، وهل هذا الغرض سوى نقل المعنى إلى المتلقّي في اللغة المنقول إليها، ثمّ يحيلُ التعريف إلى التلقّي في موضع ثانٍ، حين يقرّر أنّ الهدف من الترجمة هو " تبيين مراد المترجم للمترجَم له"، والمترجَم له هو متلقّي النص المترجَم، فالترجمة بجميع أدواتها و على امتداد مسارها مسخّرةٌ لأن تُفضيَ إلى غايةٍ واحدةٍ هي نقل معنى النص الأصلي إلى المتلقي.

و قد عرفها الدكتور جمال عبد الناصر بأنها "نقل كلمة من لغة إلى أخرى شريطة أن يكون المعنى المقصود والمستدل عليه – المحسوس منه والمجرد – مفهوما على الأقل أو

---

[1] - الدكتور محمد الديداوي، خبير ترجمة، شغل رئيس قسم الترجمة العربية في الأمم المتحدة في فيينا وجنيف سابقا، له عدة مؤلفات في الخزانة العربية في مجال الترجمة.

[2] - محمد الديداوي، مفاهيم الترجمة: المفهوم التعريبي لنقل المعرفة، المركز ث.ع، لبنان، 2007، ط1، ص62.

موجودا"[1]، و في الشرط الذي يضعه التعريف من أنَّ المعنى المنقول ينبغي أن يكون مفهوما، ما يُستدلُّ به على عملية التلقّي التي هي مناط الترجمة، إذ لا تعدّ الترجمة ناجحة إلاّ إذا أفضت على معانٍ يفهمها المتلقّي.

كما عرفها عبد العليم السيد المنسي وعبد الله عبد الرازق بأنها " نقل الأفكار و الأقوال من لغة إلى أخرى مع المحافظة على روح النص المنقول"[2]، و لا شكّ أنّ في المحافظة على روح النص المنقول استحضارا لخلفية التلقي في اللغة المستهدفة.

و يرى باحثٌ عربيٌّ آخر أنّ الترجمة "عملية إبداعيَّة معقدة، يدرك المترجم خلالها كل تفاصيل المعنى الأصلي في لغة الأصل، وينشئ نصًّا جديدًا، محافظًا فيه على كل تفاصيل هذا المعنى الأصلي وظلاله"[3]، فالترجمة في نظره عملية إبداعية يُنشئ المترجم من خلالها نصّا جديدا، ولكنّه في ذات الوقت مشدودٌ إلى النص الأصلي بأنْ يحافظ على معانيه و ينقلها بأمانة إلى المتلقي.

و لابد من ملاحظة لا يخطئها النظر لمن يتأمّل التعريفات العربية للترجمة، ذلك أنّ هذه التعريفات – أو ما وقفنا عليه منها على الأقل – في معظمها ترجمات لتعريفات غربية، و أنّ القلّة القليلة منها، ممّا حاول أصحابها فيها أنْ يقيموا التعريف على تصوّر عربي أصيل في المضمون و اللغة، كانت في غالب الأحيان مهلهلة المضمون مضطربة اللغة، مرتبكة المفهوم إلاّ فيما ندر، يعتريها الغموض أحيانا و الإطناب و الحشو ممّا لا ينسجم و ما ينبغي أن يقوم عليه التعريف من إحكام منطقي و تماسك منهجي و اتّساق لغوي، و لعلّ خير مثال نسوقه لبيان ذلك تعريفُ الأستاذ أبي النعمان محمد عبد المنّان خان لعلم الترجمة في قوله:

" هو علمٌ يبحثُ عن نقل لغة إلى لغة أخرى، و عادةً يكون هذا النقل نقل مفاهيم النصوص المكتوبة أو الخطاب من لغة إلى لغة أخرى، و هذا النوع من الترجمة يتحقق في نقل الكتب أو الرسالة أو العريضة أو الحوار أو المحاضرة من لغة إلى لغةٍ أخرى."[4]

ناهيك عن العبارة المرتبكة و الصياغة المترهّلة، فإنّ بالتعريف حشوا غير مبرّر و تكرارا يذهب بمتانته و ينأى به عن المعايير المنهجية التي ينبغي أن يقوم عليها الحدّ و التعريف، من إحاطة بأطراف الظاهرة مع إيجاز في اللفظ، و وضوح في المفاهيم و دقة في المصطلحات.

---

[1] - جمال عبد الناصر، " الترجمة و التعريب"، مجلة الفيصل الثقافية الشهرية، الرياض : العدد 239 - جمادى الأولى 1417ه - سبتمبر/أكتوبر 1996 م، ص 2.

[2] - عبد العليم السيد المنسي و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الترجمة، أصولها و مبادؤها و تطبيقاتها، الرياض، دار المريخ 1988، ص 17.

[3] - أسعد الحكيم: حقيقة الترجمة - الموقف الأدبي ع 202 - 203 (2 و3/1988م) - ص 55.

[4] - أبو نعمان محمد عبد المنان خان،" مذكرة علم الترجمة العربية الفورية"، جامعة دكا، 1992، ص7.

ذلك أنّه من خصائص التعريف كما ورد في كتاب المنطق المُحيَّن : " تقريب المسمّى من الذهن بحيث لا يشترك معه في الوصف أو ينضبط تحت نفس التعريف علم آخر، مما قد يوقع السامع في الخلط بين الموضوع المراد تعريفه وغيره من العلوم، و لا يجتمع للتعريف هذا الوصف إلا عندما يكون شارحا للمعنى المراد تعريفه، و جامعا لكل أفراد هذا الموضوع، ومانعا لغيرها من الاندراج تحته، و مائزا للمعرّف عن غيره... و هي الشروط المعبّر عنها بالشارحية و الجامعية و المانعية و المائزية."[1]

المبحث الثاني: التلقي في ضوء التعريف الغربي للترجمة.

عبر تاريخ الترجمة الطويل حاول مئاتٌ من المنظرين وضع تعريف للترجمة، و قدْ عرّفوا الترجمةَ من زوايا مختلفة و وجهات نظر متباينة، إذْ بنى فريقٌ منهم التعريف على طبيعة الفعل الترجمي، و انطلق آخر من دور الترجمة، و استند ثالث إلى الهدف من الترجمة، بل ومن الطرافة أنّ بعضهم قد رأى أن "كلمة "ترجمة" *[في حدّ ذاتها]* تحتاج اليوم إلى ترجمة، فقد تُفيدُ معانيَ كثيرةً عند كثيرٍ من الناس."[2]

فتعدّدت تبعا لذلك التعريفات و تنوّعتْ، على نحوٍ جعل جمهور أهلِ الترجمة من منظّرين و مترجمين و سواهم يُجمِعون على أنه من العسير وضعُ حدٍّ للترجمة وتعريفٍ يكون محلّ توافق واسع و قبول ليس حوله اختلافٌ، " و لا يمكن أن نتجاهل الإشارة إلى أن كلمة "ترجمة" تحيلُ على معانٍ متعدّدة إلى درجة أنّ المرء يتساءلُ ما إذا كنّا نتحدّثُ عن الشيء نفسه، أو عن أيّ شيء يدور الحديث."[3]

ذلك أن تعريفات الترجمة و حدودَها هيَ من الكثرة و التعدد و التنوع إلى درجةٍ يجزم معها المرءُ أنّ عدد هذه التعريفات يكاد يُضاهي عدد المنظرين أنفسِهم و مدارس الترجمة ونظرياتها و ما تفرزه الممارسة أيضا من رؤىً جديدة تعيد في بعض الأحيان النظر في ماهية الفعل الترجمي.

---

[1] - شكيب بن بديرة الطبلبي،المنطق المُحَيَّنُ، دار المتوسط الجديد، تونس، 2014، ج1، ص80.

[2] - Lefevere, Andre. *'Translation and Comparative Literature : The Search for the Center"*. IlK, vol.4, no. I, 1991, p. l29. **النص الأصلي** "*"Translation" is by now a word that needs translating. It can mean so many things to so many people."*

3 - Ladrniral, J.R. *"Traduire, c'est-a-dire ... phénoménologies d'un concept pluriel"* Meta, vol.40, no.3, 1995 p .409. **النص الأصلي** "*tout d'abord, on auras pa pu ne pas noter que le le mot 'traduction' peut prendre une multitude de sens differents. Au point qu'on en est souvent a se demander si on parle de la meme chose et de quoi on parle. »*

و قدْ يكون مردُّ ذلك إلى كونها تعريفاتٍ تصدر عن الخلفيات الفكرية المتشعبة، والأرصدة الأكاديمية المختلفة لأصحابها و المدارس النظرية المتباينة التي ينتمي إليها كلٌّ منهم، و لعلّ هذا ما حدا *بيوجين نايدا* ***Eugine NIDA*** إلى الاعتراف بأنّ "عدد التعريفات التي وُضعتْ للترجمة كعدد الأشخاص الذين كتبوا في الموضوع، و هذا التنوع مفهوم على نحوٍ ما، لأنّ ثمة اختلافاتٍ شاسعةً في المواد المترجَمة، و في أهداف النشر و كذلك في احتياجات الجمهور المتلقي".[1] – ترجمتنا –

كما أنّ البعد التواصلي للترجمة يجعلها مترامية الأطراف ومفتوحة على كثيرٍ من حقول المعرفة الإنسانية لتشمل جميع جوانب الحياة تقريبا، و تتنازعها اختصاصاتٌ مختلفةٌ؛ اللسانيات و الفلسفة و النقد و التاريخ و غيرها، مماّ يجعلها مفهوما ينِدُّ عن الحَصْر ويحرنُ عن الحدّ، وبخاصّة إذا ما استحضرنا "مسلّمةً عامّة" يوردها جورج *ستاينر* ***Goerge Steiner*** في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه "ما بعد بابل" ***After Babel*** مفادها أنّ " الترجمة موجودةٌ ضمنيا في كلّ حَدَثٍ تواصلي."[2] و لوْ توسّعنا في هذه المسلّمة لوجدْنا نوعَ صلةٍ لها بما نحن بصدد البحث فيه، إذا قُلنا استطرادا على مقولة *ستاينر* بأنّ الترجمة كامنة ضمنيّا في كلّ فعل تلقٍّ، ناهيك عن تداخُل الرؤى وتنازُعها في نَسَبِ الترجمة؛ أَهِيَ إلى الفنِّ أم إلى العلم أقربُ؟

فقد ذهب فريقٌ إلى أنّ الترجمة نشاطٌ أقربُ إلى الفنّ منه إلى العلم، وقدْ كانَ عبّر عن ذلك *جورج مونان* ***George Mounin*** بقوله إنها- أي الترجمة - " فنٌّ قائم على علم"[3] أومدعومٌ بعلمٍ، « *un art sous - tendu par la science* »، بيدَ أنّ فريقا آخر يرى أنّ عَزْوَ الترجمة إلى الفنّ هو إجحاف في حقّها و خروجٌ بها عنْ سمْتِها و طبيعتها.

و منْ أصحاب هذا الاتّجاه *فيناي* و *داربلني* ***Jean-Paul Vinay - Jean Darbelnet*** اللذان يُلحّان في مؤلَّفهما ذائع الصيت: ***"Comparative stylistics of French and English: a methodology for translation"*** إلى ضرورة إدراج الترجمة ضمن علوم اللغة و اللسانيات إذْ يُناديان بصوتٍ عالٍ:

1-Nida, Eugene, *Toward a Science of Translation, With special reference to principles and procedures involved in bible translating*. Leiden. 1964, P.161. ***النص الأصلي*** ***" Definitions of proper translating are almost as numerous and varied as the persons who have undertaken to discuss the subject. This diversity is in a sense quite understandable; for there are vast differences in the materials translated, in the purpose of the publication, and in the needs of the prospective audience."***

2 - STEINER, George. *Après Babel. Une poétique du dire et de la traduction,* Paris, Albin Michel, p.17. Traduit de l'anglais par Lucienne Lotringer et Pierre-Emmanuel Dauzat. ***النص الأصلي*** ***« la traduction est (…) implicite dans tout acte de communication »***

3 - جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، تر: لطيف زيتوني،دار المنتخب العربي، لبنان،ط1، 1994، ص8.

"Translation is, in fact, an exact discipline, with its own methods and particular problems,(...). We believe that it would be a great disservice to translation were we summarily to range it among the arts(...). If we did that, we would deny translation one of its intrinsic properties, namely its place within the framework of linguistics." [1]

" إنّ الترجمة في الواقع اختصاصٌ دقيقٌ ينفردُ بمناهجه و مشكلاته، و اعتقادنا أنه إذا عَجِلْنا إلى تصنيف الترجمة ضمنَ الفنون، فقد أسأنا إلى الترجمة و ألحقنا بها ضررا بالغا، إذ نكون بذلك قد سلبنا الترجمةَ أهمّ سماتها ألا وهي مكانتها في مجال اللسانيات." – ترجمتنا –

و يَنْضافُ إلى ما تقدّم التضخّمُ الهائل والمستمر في الأدبيات النظرية للترجمة، والفيض المناهجي، و تداخل حقل الترجمة مع كثير من الحقول المعرفية قديما و حديثا كالفلسفة والإبستيمولوجيا واللسانيات و نظرية الأدب وهلمّجرا، لأنها مجال متشعّبٌ ومتداخلُ التخصصات *interdisciplinary* ، فهذه الأسبابُ مجتمعةً هي التي أفضتْ إلى التعدد والتنوّع، بل و إلى التباين أحيانا في تعريف الترجمة.

المطلب الأوّل: التعريف اللغوي الغربي للترجمة.

تذكرُ بعضُ مراجع الترجمة أنّ مصطلح ***traduction*** قد ظهر لأوّل مرّة في فرنسا في 1540، على يد الورّاق و عالم الإنسانيات و المترجم *إيتيان دولي*[2] ***Etienne Dolet*** و يقدم قاموس *Le Petit Robert* تعريفا للفعل ***traduire*** على أنه منحدرٌ من جذور لاتينية *traducere(1480)* و يعني *"faire passer"* أي "مرّرَ" و يتضمّنُ أيضا معنى "نَقَلَ" و قد ورد في القاموس الشرح التالي: " بحيثُ إنّ المَلْفوظَ المُنْجَزَ في لغةٍ طبيعية ما، يتمّ إنجازه وإنشاؤه في لغةٍ أخرى، مع مراعاة التكافؤ الدلالي والتعبيري بينَ الملفوظيْن."[3] – ترجمتنا –

1- Jean-Paul Vinay, Jean Darbelnet: *Comparative stylistics of French and English: a methodology for translation.* translated and edited by Juan.C.Sager,M.-J.Hamel, Benjamins Translation Library, V11,1995,P. 07

2 Liliane-Surprise Okome Engouang. *La traduction entre outil d'enseignement et discipline scientifique : le cas de l'espagnol au Gabon et en Guinee-Equatoriale*. these de doctorat de l'Universite Nice Sophia Antipolis, 2013.p. 23.

3 *LE PETIT ROBERT*, edition 2008, p. 2592 ***النص الأصلي***:*« faire que ce qui était énoncé dans une langue naturelle le soit dans une autre, en tendant à l'équivalence sémantique et expressive des deux énoncés »*

فهذا " التمرير" أو النقل يقتضي وجود طرفيْن على الأقل؛ الأوّل هو مُنتِجُ هذا "المنقول" والثاني ليستقبله و يتلقّاه، فالترجمة وفق ما ورد في القاموس هي "تمريرُ" الملفوظ المنجَز ابتداءً في لُغة المنشإ، إلى لغةٍ مستقبِلة بما يحقّق التكافؤ، و ما يُفهَمُ بداهة من عبارة "اللغة المستقبِلة" أنّ ثمةَ متلقّيا متربّصا في هذه اللغة ليستقبل هذا الملفوظ في صورته التي تحوّل إليها بعد نقله.

و ليس غريباً أن كلمة ***'translation'*** في الإنجليزية تُحيلُ هي أيضا على معنى يوحي بالمفهوم ذاته، إذ الجزء الأول من الكلمة ، وهو السابقة *'trans'* ، يُستدلُّ به على معنى *"الجهة الأخرى"، أو معنى "فوق"* ، وفي ارتباطها بكلمة *translation* إضافةٌ دلالية تشي بمعنى "النقل" على نحو ما نجده في كثير من الأفعال و الأسماء المبدوءة بهذه السابقة مثل *`transport`* أو *'transfer'* ، و من هنا كانت الترجمة شبيهةً بعملية النقل، نقل مادّة نصيّة من المؤلّف المُرسل إلى القارئ المتلقّي، و لعلّ هذا يسوقنا إلى الإشارة إلى جدلية لطالما كانت مجال سجالٍ بين المنظّرين و الممارسين للترجمة، حول أيّهما أجدى في الترجمة، أَنَقْلُ القارئ إلى الكاتب الأصلي؟ أو بتعبير آخر الحفاظ على غرابة النص ، أم نقل المؤلّف إلى القارئ؟ بمعنى توطين النص في اللغة المستهدفة، و سنقفُ عند هذه الجدلية في حينها لدى الحديث عن موقع المترجم بين المؤلّف و المتلقي في مبحث آخر.

المطلب الثاني: التلقّي في ضوء التعريف الاصطلاحي الغربي للترجمة.

و قبل الخوض في استقراء بعض التعريفات الاصطلاحية للترجمة، لاقتفاء مقولة "التلقّي" الرابضة دائما في تضاعيف الترجمة و تلافيف الفعل الترجمي، لعله من الجدير الوقوف عند أنواع الترجمة كما يقترحها " رومان ياكوبسن، ***R. Jacobson*** [1] حين يجعلُها ثلاثةَ أصنافٍ:

1 – الترجمة داخل اللغة: *Intra-lingual translation (الضمنلغوية)*

" Intralingual translation or rewording is an interpretation of verbal signs by means of other signs of the same language."

"و هي نوع من الشرح، أي إعادة صياغة علامات لسانية أو لفظية و تفسيرها بعلامات لسانية أو لفظية من اللغة نفسها" – ترجمتنا-

1- JAKOBSON Roman, *On Linguistic Aspects of Translation*, London & New York, Routledge, 2000,pp.113-118

و من الأمثلة التي يمكن إيرادُها تفسير القرآن أو تَحْشِية المتون التعليمية، أو شرح المعلّقات العشر..الخ، و تعني عموما الانتقالَ من جنسٍ منَ القول إلى جنسٍ آخرَ على أن يكون ذلك في داخل اللغة الواحدة، وبالعلامات و الرموز اللسانية ذاتها التي تنتمي إلى هذه اللغة.

2 – الترجمة ما بين اللغات: *(البينلغوية) Inter-lingual translation*

"Interlingual translation or translation proper is an interpretation of verbal signs by means of some other language."

"هي تفسير العلامات اللغوية (اللفظية) في لغة ما بعلامات لغوية أو لفظية من لغة أخرى." - ترجمتنا-

وهي الترجمة بالمفهوم المتعارف عليه، و هي الأكثر انتشارا و ممارسة، كالترجمة من الفارسية إلى العربية أو بين أية لغتيْن من لغات العالم، وفي الغالب حينما يُطلقُ لفظ الترجمة على إطلاقه مُرسلاً إنما يرادُ به هذا الصنف.

3 - الترجمة ما بين العلامات: *(البينسيميائية): Inter-semiotic translation*

" Intersemiotic translation or transmutation is an interpretation of verbal signs by means of signs of nonverbal sign systems."

"هي نوع من التحويل، و تقوم على تفسير علامات لسانية أو لفظية بعلامات من نظام غير لساني." - ترجمتنا –

و ذلك كتحويل الحركاتِ و الإيماءات في لغة الصُّمّ البُكْم إلى كلمات و عبارات في لغة محكية أو مكتوبة، و كلّ ما يندرجُ عموما تحت نطاق الإشارة، كإشارات المرور، أو رموز لغة البْرَايْ *Le braille*، كما قد تكون رموزاً أو حركاتٍ أو أضواء أو ألوانا، و نضيفُ أنّ الترجمة البينسيميائية لا تتوقف على تفسير علامات لفظية من لغة طبيعية بعلامات من نظام غير لفظي من الرموز كالإشارات، و إنما قد تتوسّع لتشمل كلَّ عملية تفسير لعلامة غير لفظية بعلامة غير لفظية من نظام آخر، كأنْ نُفَسِّرَ للكفيفِ ما يريد أن يقوله الأصمُّ، بأنْ نَكْتُبَ لهذا بلغة البراي ما يعبّرُ عنه ذاك بلغة الإشارة.

و غنيّ عن البيان أنّ جميع أصناف الترجمة كما حددها جاكبسون في هذا التقسيم، لا تخلو من وجود مرسِلٍ و متلقٍّ و أنها تقوم كلّها على نقل رسالة بينهما، سواء بين لغتين طبيعيتين أو بين نظامين من الرموز و العلامات أو داخل لغة طبيعية واحدة، فالهدف من الرسالة في نهاية المطاف أنْ تصلَ إلى المتلقي، و حيثما كانت رسالةٌ فثمّة متلقٍّ.

و من المفيد التذكير أنّ عملنا في هذا الجزء من البحث هو محاولة إثبات أنّه لا يكاد يخلو تعريف للترجمة سواء أكان لغويا أو اصطلاحيا من الإشارة تصريحا أو تلميحا إلى فعل التلقي كواحد من أهم محدّدات الفعل الترجمي، وهو يمثّل بالنسبة للترجمة نقطة ارتكاز، و التلقّي الذي نرصده في هذه المرحلة من البحث على الأقل هو التلقي بمفهومه العام ،المُرسَل و المطلق، من حيث هو إجراءٌ يقترن بكلِّ رسالة يبثّها مُرسلٌ مهما كانت مادتها و أدواتها و قنواتها، و ليس التلقي في مستوياته الجمالية و الشاعرية، فذلك مبحثٌ نعالجه لاحقا في باب الترجمة الأدبية.

و لعلّ مقولة التلقي و المتلقي في الترجمة ستتضح أكثر من خلال مدارسة ما وضعهُ أشهرُ المنظرين و المترجمين منْ تعريفات اصطلاحية للترجمة، و جدير بالتذكير في هذا المقام أنّ اشتغالنا على ما سنورد من تعريفات لا يكون على التعريفِ نفسِه من حيث هو تعريف، وإنما بمقدار ما يُفسِحُ لنا هذا التعريف أو ذاك من مساحةٍ لتَرَصُّدِ مقولة " التلقي" من خلاله؛

الفرع الأول: التلقّي في ضوء المقاربة اللسانية للترجمة.

يُلخّصُ لادميرال ***Jean René Ladmiral*** محاولاتِه في تعريف الترجمة بقوله:

« Si l`on synthétise la plupart des définitions qui entreprennent de saisir ce qui fait la nature de la traduction, on viendra à un énoncé de base du type: la traduction produit un texte-cible sémantiquement, stylistiquement, poétiquement, rythmiquement, culturellement, pragmatiquement équivalent au texte-source. »[1]

"إذا ما رُمنا إجْمالَ معظم التعريفات التي تسعى إلى استكناه طبيعة الترجمة لخلصنا إلى صياغة أساسية من قبيل:إنّ الترجمة تُنتِجُ نصّا مستهدَفا(النص- الهدف) يُعادلُ النص الأصلي (النص-المصدر) دلالياً و أسلوبياً و شاعريا و إيقاعيا و ثقافيا و براغماتيا." – ترجمتنا -

فالنص الناتج الذي يعنيه *لادميرال* هو النص الذي يولَدُ بفعل الترجمة في اللغة المستهدَفَة، أي إنّ ثمّة نقلا للنص الأصلي في اتجاه لغة أخرى حيث يتمّ إعادةُ تخليقه، و يجب أن يكون هذا النص الناتج مكافئا و معادلاً للنص الأصلي من وجوه كثيرة، و عنده أن الترجمة ينبغي أن تكون نوعا من *"الحَجْبِ أو الإخفاء و التورية" – وهذه ترجمتنا في محاولة لإيجاد مقابل للمصطلح الذي يطرحه: dissimilation* - أيْ أنْ تكون

[1] - Ladmiral, Jean René, *Traduire: théorèmes pour la traduction*, Gallimard, 1994, p.18.

ترجمةً وفيةً لروح النص الأصلي، و في آنٍ معاً، موائمةً للأعراف الأسلوبية و اللغوية و لعبقرية اللغة المستهدفة و سماتها التعبيرية.

و هو لذلك يحدّدُ من هذا المنظور للترجمة طريقتيْن؛ طريقة تُراعى فيها اللغة المستهدفة، و قد أسماها « la traduction sourcière » ، و طريقة ثانية أسماها la traduction cibliste » تُراعى فيها اللغة المستهدفةُ، و قد اقترحنا – إنْ صحَّا - مقابليْن للمصطلحيْن: الترجمة المصدرية، والترجمة الاستهدافية.

و ليس المقصود بفكرة المعادلة هنا سوى أن يكون أداءُ النصِّ الناتجِ و أثرُه في متلقي اللغة المستهدفة موازيا ومعادلا لأثره في قارئ اللغة الأصلية، أي لغة المنشإ، و لا إخالُ أنّ الوقوف على مدى تحقّق هذه المعادلة، بله تقييمها، قدْ يتمُّ منْ دون الاستناد إلى فعل التلقي، إذْ كيف يتأتّى أساسا قياسُ ما إذا كان النص الناتج قد حقق قدرا من التكافؤ، فضلا عنْ الحكم بذلك، إلا بعد تقييم أداء هذا النص في لغة المستقرّ، و استظهار أثره لدى التلقّي.

و يعرّف كاتفورد *J. Catford* الترجمة انطلاقا من مقاربة اللسانيات الوظيفية، مركزا على ضرورة تكافؤ "المادة النصيّة"، كما يُطلق عليها، بين لغة المنطلق و لغة المستقر في قوله:

«Translation may be defined as follows: the replacement of textual material in one language (SL) by equivalent textual material in another language (TL)»[1]

"من الممكن تعريف الترجمة بأنها إحْلالُ مادةٍ نصية مكافئة في لغة المستقرّ، محلَّ مادة نصية في لغة أخرى هي لغة المصدر." – ترجمتنا -

يصدُرُ تعريف كاتفورد للترجمة عن النظرية اللسانية التي ترى أنّ الترجمة معنية أساسا بالعلاقة بين اللغات، ومنْ غير المنطقي، في نظره، دراسة الترجمة بمعزل عن اللسانيات، و قدْ عرض أفكاره بشكل دقيق في كتابه ***A Linguistic Theory of Translation*** الذي يذهب في مقدمته إلى "أنّ الترجمة عمليةٌ تجري على اللغات"[2] أي مادتُها وموضوعها اللغات.

يقوم تعريف كاتفور السالف الذّكر على استبدال مادة نصيّة بنظيرتها، و يعني بالمادة النصيّة مطلق النصّ، غير أنّ ما يعنينا من التعريف هو الإشارة إلى مفهوم "التكافؤ" الذي

1 - CATFORD, John Cunnison , *A linguistic theory of translation: An essay in applied linguistics*. Oxford: Oxford University Press, 1965, p. 20.
2 - Ibid , p.1.**النص الأصلي** ***« Translation is an operation performed on languages.”***

يومئ بدوره إلى "فعل التلقي" الذي يقبع خلف كلّ ترجمة، حتىّ و إنْ كان كاتفورد لا يعالجُ مفهوم التكافؤ هنا إلا من منظور لسانيات النص، أي تكافؤ النصين من جهة البناء القواعدي والتراكيب و الألفاظ، و هندسة الجملة و العلاقات اللغوية بشكل عام، و إنْ كانَ لمْ يُولِ كبيرَ عنايةٍ للعلاقات الدلالية العميقة بين اللغات، على اعتبار أنّ النص ليس مجرّد بناء مسطّح، بل هو بنيةٌ دالّة في ذاته و وحدة لغوية و معنوية، تربطها علاقات داخلية و خارجية، مما يجعلُ منه حدثاً تواصليا.

و إن التكافؤ هو المهمة المركزية في نظرية كاتفورد، و هو يقارب هذا المفهوم من زاوية اللسانيات، لأنه ينظر إلى الدراسات الترجمية على أنها فرع من اللسانيات التطبيقية، ويدعو إلى أنّ "أيّة نظرية في الترجمة ينبغي أن تستند إلى نظرية في اللغة"[1]، كما أنه يرى أن الترجمة تجري دائما في اتّجاه واحد من اللغة الأصلية إلى اللغة المستهدفة،[2] على الرغم من أنّ هذا التوصيف يبدو اختزاليا إذا ما نظرنا إلى درجة التعقيد و التداخل التي يتمتع بها الفعل الترجمي.

و لكنّ التكافؤ عند كاتفورد يختلف قليلا أو كثيرا عن التكافؤ كما يطرحه يوجين نايدا، وفي حديثنا لاحقا عن نظريات الترجمة سنَخُصُّ نظريةَ كاتفورد بنقاشٍ أوفرَ، غير أنّ ما نبغيه هنا هو ما يفرزه التعريفُ الاصطلاحيُّ نفسُه من إيماءات إلى ارتباط الترجمة بالتلقي.

يعرض يوجين نايدا ***Eugine NIDA*** أفكاره عن الترجمة في أغلب أعماله لا سيما في كتابيه: *Toward a Science of Translating* و*Theory and Practice of Translation*، و هو يرى على نحو مجمل أنّ الترجمة موضوع علمي، ذلك أنّ " نقل رسالة من لغة إلى أخرى هو إجراء قابل للوصف العلمي."[3] - ترجمتنا -

و في كتابه الثاني الذي أشرنا إليه آنفا، (نظرية الترجمة و تطبيقاتها)، يطرحُ نايدا مفهوم "التكافؤ الدينامي" ***dynamic equivalence*** و يعرّفُ الترجمة كما يلي:

---

1 - Catford, op.cit,p.1, **النص الأصلي** ***« Any theory of translation must draw upon a theory of language."***

2 - Ibid, p.20 , **النص الأصلي** ***"Translation, as a process, is always uni-directional: it is always performed in a given direction. 'from' a Source Language 'into' a Target Language."***

3 - Nida, E. *Toward a science of translating*. Shanghai Foreign Language Education Press, Shanghai, 1964, p.3. **النص الأصلي** *"the transference of a message from one language to another is a valid subject for scientific description"*

"Translation consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source-language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style." [1]

" تقوم الترجمة على أنْ يُعادَ، في اللغة المستقبِلة، إنتاجُ أشبَهِ مكافئٍ طبيعيٍّ برسالة اللغة الأصلية، منْ حيث المعنى أولاً ثمّ من حيثُ الأسلوب." – ترجمتنا –

لا غَرْوَ أنّ "إنتاج مكافئٍ طبيعي في اللغة المستهدَفة" حكمٌ لا يمكن أنْ يستبينَ إلا بعد مرحلة التلقّي، فتقديرُ ما إذا كان النصُّ مكافئا أم لم يكنْ، إنما ينبني أوّلَ ما ينبني على استجابة القارئ بوصفها المقياس الأدق، وفي اشتراط ***نايدا*** أن يكون المكافئُ طبيعيا، دلالة أخرى على أنّ النص الناتج ينبغي أنْ يستجيب للمعايير الأسلوبية و القيم الجمالية التي يستسيغها المتلقّي في لغته، و تستقيمُ مع ذائقته، و لا تزعزعُ سليقته.

و لعلّ ما يعضُدُ هذا التصوّر و يَرْفُده أنّ ***نايدا*** نفسَه يرى أنّ أجود الترجمات هي تلك التي ينمحي فيها كلُّ أثرٍ للترجمة، فيبدو معها النص الناتج كأنّما أُنْتِجَ ابتداءً في اللغة المستهدفة، كما يقترح فكرة أنّ الفرق الجوهري الذي يَميزُ الترجمات الحديثة منَ الترجمات التقليدية أنه فيما كان التوجّه التقليدي يصبّ اهتمامه على شكل الرسالة، فإن التوجّه الحديث يولي عناية قصوى إلى استجابة القارئ المستهدَف، ثمَّ إنّ معيار استجابة المتلقي (القارئ) يُعدُّ أهمَّ مكوّن في مبدأ "التكافؤ الدينامي" الذي وضعه ***نايدا***.

لقدْ بات راسخا في الدراسات الترجمية لا سيما الحديثة منها، أنّ المبدأ الأساس في الترجمة عند نايدا هو أنْ تكون استجابة المتلقي في اللغة المستهدفة هي عينها استجابة المتلقّي في اللغة الأصلية.

و قدْ يكون هذا المبدأ امتدادا طبيعيا لقناعته الراسخة " أنّ كلّ ما يمكن أنْ يُقالَ في لغةٍ ما، يُمكنُ أنْ يُقال أيضا في لغةٍ أخرى" [2] ، و ما منْ شكّر في أنّ هذا المُنظّر الكبير قد أحدث نقلة جبّارة في مجال علم الترجمة، ذلك أنّه ينْظُرُ إلى الترجمة على أنها عملية تواصل، و هو، و إنْ لم يقلّلْ من شأن النص، غير أنّه حوّل نقطة الارتكاز من النصّ إلى المحدّدات اللغوية والثقافية المختلفة التي تؤثّر في استجابة المتلقّي حيالَ الرسالة التي يحملها النص، فالترجمة عنده ليستْ نشاطا لغويا فحسب، و إنما هي أيضا وجهٌ من وجوه التفاعل الثقافي.

---

1 - Nida. E, Charles R. Taber. *The Theory and Practice of Translation*. Brill NV Leiden The Netherlands. 2003. P.12.

2 - Nida. E, Charles R. Taber, op.cit, p .4. **النص الأصلي** *"anything that can be said in one language can be said in another"*

إنّ تحليل تعريف نايدا للترجمة من زاوية "أُفْهُومَةِ التلقي" يقودنا إلى استخلاص أنّ مبدأ "التكافؤ الدينامي" قد أعطى للترجمة و نظرياتها منطلقاتٍ جديدةً، إذ اغتدتْ استجابةُ القارئ هي حجر الزاوية و مركز الفعل الترجمي و مناطه، و انتقل بالترجمة من النظرية التي تجعل المؤلف محورا لها، إلى النظرية التي تدور حول القارئ و التلقّي.

و إلى جانب كاتفور و نايدا و غيرهما بين منظري الترجمة الغربيين الذين يربطون نظرية الترجمة بالدرس اللساني، يعد بيتر نيومارك *Peter Newmark* واحدا من ألمع ممثّلي النظرية اللسانية في الترجمة، و مدافعا شرسا عنها في كتابه: *A Textbook of Translation* إذ يصدعُ بقوله:

"we do translate words, because there is nothing else to translate; there are only the words on the page; there is nothing else there."[1]

" إنما نترجم الكلمات، فليس ثمّةَ شيءٌ آخر غيرها لنترجمه، إذْ لا يوجد على الصفحة غيرُ الكلمات، و لا شيء سواها." – ترجمتنا -

يؤسس نيومارك مقاربته للترجمة على النص، فهو يرى أنّ الترجمة تختلف باختلاف طبيعة النصوص، و أنّ المعنى يرتكز على الدلالات اللسانية والوحدات المعجمية ، ولكنّه لا يتوقّف عندها بل ينتشر في النص تدريجيا أثناء القراءة و هو ما يمكّن من التأويل، فالترجمة و الحال هذه تقوم على التلقي أوّلا، لتنطلق من القراءة و الفهم و التحليل المفصّل للنص، إلى استخلاص جملة من المحدّدات و المعايير مثل فضاء النص و الغرض منه ونوعية الكتابة، ثمّ لتنتهي إلى التأويل، و من ثمّ، فإنّ " موضوع إشكالية المعنى هو النص و ليس العلامة، ثمّ إنّ المعنى ليس معطىً بل هو مسارٌ يتلمسه الباحث من العناصر اللغوية للنص و يستمدّ تأويله من أقطاب خارجية تتمثل في المعايير المجتمعية و المعتقدات و الأيديولوجيات، و باختصار، يوجد المعنى في سياق معين و ضمن شروط تتحكم في إنتاجه و تأويله."[2]

ويقترح نيومارك على المترجم أنْ يتّبع طريقتين للترجمة صالحتيْن لكلّ نص, وهما الترجمة الاتصالية التي تنزع إلى النص الأصلي، والترجمة الدلالية التي تنزع إلى التركيز على اللغة المستهدفة و المتلقي و الأثر, و يقيم بينهما موازنة مفصلة، على امتداد ستِّ صفحات *(من ص63 – إلى ص 69)* في كتابه *Approaches to translation* ليس هذا مجال البسط فيها.

---

[1] - Newmark, Peter. *A Textbook of Translation,* Shanghai Foreign Language Education Press, Shanghai, 1988, p .75.

[2] - فرانسوا راستيي، فنون النص وعلومه، تر: إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2010، ص12.

و يُعَدّ التركيزُ على النص و تحليل بِنْيَتِه الدّعامةَ الرئيسة في مقاربة نايدا النظرية للترجمة، غير أنّ نظرية الترجمة عند نايدا برُمّتها ليستْ هي غايتنا في هذه السطور، فذلك باب آخر من هذا البحث، و إنما غايتُنا أنْ نتلمّس حظّ موضوعة (ثيمة) التلقّي من الحضور و التجلّي في تعريف نايدا للترجمة.

فهو يعرّفُ الترجمة في أحد مؤلفاته بقوله:

"A craft consisting in the attempt to replace a written message and/or statement in one language by the same message and/or statement in another language."[1]

" الترجمة صَنْعَةٌ (حِرْفةٌ) تقومُ على محاولة أنْ يُعْتاضَ عن رسالةٍ مكتوبة أو بيانٍ من لغةٍ ما برسالةٍ مثلِها أو بيانٍ في لغةٍ أخرى." – ترجمتنا -

ثمّ يعرّفها تارةً أخرى في مؤلّف ثانٍ قائلاً:

"It is rendering the meaning of a text into another language in the way that the author intended the text."[2]

"هي تحويلُ معنى نصٍّ*[من لغةٍ ما]*إلى لغةٍ أخرى على الوجه الذي قصدَهُ المؤلّف." – ترجمتنا -

و في التعريفين كليهما إشارات لا تخطئها الملاحظة إلى أنّ الترجمة هي في كلّ الأحوال نقل و تحويلٌ لرسالة من لغة، ومن كاتب أو مُرسلٍ إلى لغة أخرى مستهدفة أي إلى متلقٍّ، مع الحفاظ على مضمون الرسالة على الوجه الذي كان قصده المؤلف في اللغة الأصلية من أجل أن يكون لها الأثرُ نفسه في المتلقي المستهدف، فمناط العملية في جميع مراحلها أنْ يستقرّ الأمر في نهاية المطاف بين يديْ المتلقي في لغة الوصول، فليس يُعرَفُ ما إذا كانت الترجمة أفضتْ إلى الرسالة نفسها و أدّتْ المعنى ذاته إلا من خلال تحليل التلقي و دراسة الأثر على المتلقي.

الفرع الثاني: التلقّي في ضوء المقاربة الثقافية للترجمة.

يُطالعُنا ***أنطوان بيرمان Antoine Berman*** في الصّفحات الأولى من كتابه الشهير: ***L'épreuve de l'étranger – "محنة الغريب"*** - بقوله:

[1] - Newmark, Peter. *Approaches to translation*, Shanghai Foreign Language Education Press, Shanghai, 2001, p. 7.
[2] - Newmark, Peter. *A Textbook of Translation*, op.cit, p. 5.

«L'essence de la traduction est d'être ouverture, dialogue, métissage, décentrement. Elle est mise en rapport, ou elle n'est rien .»[1]

" جوهرُ الترجمة أن تكون انفتاحاً و حوارا و تمازجاً و زحزحةً *[للتمركز]*، و هي ليستْ بشيءٍ إن لم تكن رابطة و صِلةً." – ترجمتنا –

إنّ مصطلحاتٍ و مفاهيمَ منْ مثلِ انفتاح – حوار – تمازج... تمدّنا بأنّ ***بيرمان*** في تعريفه للترجمة ينطلق من البعد الثقافي، و من منْطقٍ مناوئٍ للمركزية العرقية *ethnocentrisme* و كذلك من دعوته المترجمَ، عند الترجمة، إلى أنْ يحتفظَ بما يسمّيه "غرابة الآخر" ، و يحترم "المسافة الثقافية" و أن يأويَ "الغريب" في ضيافة اللغة المُستقْبِلة من دون انتهاك صارخٍ لأعرافها.

كما أنها تعكسُ دلالةَ التلقّي، و إن كان التلقّي هنا متبادلاً، ويسير في اتّجاهين بين اللغتين موضوع الترجمة، و ذلك – حسب ***بيرمان*** - بسبب حضور "الغريب" دائما في النص الناتج، و لا يخفى على كلّ قارئ لعمل ***بيرمان*** الشهير سالف الذكر أنّه ما ينفكُّ يردّد أنّنا إنما نكتشفُ ذواتنا عبر الآخر و باللّقاء معه، و يرى " أنّ استيعابنا لذاتنا لا يتمّ باستيعابنا للآخر فحسب، و إنما أيضا باستيعاب الآخر لذاتنا"[2]، فالترجمة وفق ***بيرمان*** لا ينبغي لها أنْ تُلغيَ الآخر و لا أنْ تمسح عن النص الأصلي غرابتَه و ثقافتَه، من أجل أنْ يعيش المؤلّف الأصلي- أيْ "الغريب" بلغة ***بيرمان*** – في لغة المستقرّ حالةً من"الضيافة اللغوية" حسب تعبير ***بول ريكور***[3] ***l'hospitalité langagière*** كشرط أساس من شروط الانفتاح و الحوار.

و من أشهر منظري الترجمة الأدبية في عصره، البلجيكي ***أندري لفيفير André Lefevere*** الذي يعدُّ كتابهُ «*Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame* » مرجعا في علم الترجمة، و هو في مقدّمة هذا الكتاب يقولُ في تعريف مقتضبٍ للترجمة :

"translation is, of course, a rewriting of an original text"[4]

" إنّ الترجمةَ هي قطعا إعادةُ كتابةٍ لنصٍّ أصليٍّ." – ترجمتنا -

---

[1] - BERMAN, Antoine, *l'epreuve de l'etranger*, op.cit, p. 16.

2- BERMAN, Antoine, *l'epreuve de l'etranger*, op.cit, p. 104. **النص الأصلي** *La saisie de soi ne passe pas seulement par la saisie de l'étranger, mais par celle que l'étranger a de nous*.

3 - بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة: حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص. 24.

4- Lefevere, A. *Translation, rewriting and the manipulation of literary fame*. Shanghai Foreign Language Education Press. 1992. P xii.

إنّ مفهوم إعادة الكتابة *rewriting* الذي يبني عليه ***لفيفر*** تعريفه للترجمة لا شكّ يستحضر تلقائيا مفهوم التلقّي و ينطوي على فعل التلقّي من جهتينْ، الأولى قبل الكتابة و الثانية بعدها، و المترجم بينهما قارئٌ أولا ثم كاتبٌ ثانيا، و هو بالأحرى "يكتبُ قراءته" للنص، أو على حدّ تعبير رولان بارت *Roland Barthes* : "***ecrire la lecture***"[1] فهو يعيد كتابة "فهمه للنص" من أجل متلقٍّ يسكن لغةً ثانية، من أجل ذلك يوزّعُ صاحبُ هذا التعريف قرّاءَ الأدب في ثلاثة أصناف هي؛ القرّاء المحترفون، و المترجمون الذين قد ينتسبون أحيانا إلى صنف القراء المحترفين، ثمّ القرّاء غير المحترفين، و يرى أنّ القراء المحترفين قادرون على قراءة العمل الأدبي مباشرة و دونما وسيط، بينما تكون القراءة عند غير المحترفين، وهم يمثّلون السّواد العظم من القرّاء، رهناً بالترجمة كيما يتسنى لهم فهم النص.

كما يرى أنّ إعادة الكتابة واقع محكوم بعاملَيْن هما اللذان يرسمان وجه العمل الأدبي: الشعرية و الأيديولوجيا، لأنّ الأدب في حدّ ذاته نظام كباقي الأنظمة في المجتمع، الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي و الثقافي... و هو لا محالة يتفاعل معها مؤثّرا و متأثرا.

و الترجمة من حيث هي ظاهرة اجتماعية، كما يرى، لا مناص لها منْ أنْ تتأثّر بالأيديولوجيا السائدة في المجتمع، كما أنّه لا مندوحة للمترجم أيضا من أن "يعيد كتابة" النص وفقَ المقتضيات الراهنة للمجتمع، ولذلك من المتعذر وجود تكافؤ تامٍّ و كامل بين النص الأصلي و النص الناتج، ناهيك عن أنّ الأدب محكوم بعوامل للمراقبة، منها ما هو من داخل الأدب نفسه كالمختصين من نَقَدةٍ ومترجمين وقرّاء، ومن خارجه كالمؤسسة السياسية و الأيديولوجية، فأمام كلّ هذه الإكراهات لا يملك المترجم سوى أن "يعيد كتابة" النص، وهو مجبَرٌ على أن يسعى جهده ليجعل النص الناشئ موائماً و منسجما مع البنية السوسيوـــــ ثقافية المستهدَفة.

و لعلّ هذا هو ما يبرّر الترجمات المتكررة للأعمال الإنسانية الكبرى عبر العصور، فكأنّ لكل عصرٍ "طبيعةً ترجميةً" قائمةً على فهم العمل ضمن سياق التلقّي الذي ترسم معالمَه التجربةُ الثقافية و الإنسانية و الاجتماعية للغة التلقّي، هو ما يسمح للنص بالانفتاح دلالات جديدة و هي عملية تُدعى في علوم النص "تحيين النصّ" *l'actualisation du texte* .

إنّ الترجمات في مجملها وفق هذا التصوّر إنما هي "إعادة كتابة" للثقافات، فهي من هذا المنظور ذات أهمية قصوى بما تؤديه من دور بين المجتمعات، و بفضلها يكون

[1] - Roland Barthes : *Bruissement de la langue*. Édition du seuil, Paris. 1984- pp. 33-56.

التواصل بين الثقافات ناجحا، فضلا عن مساهمتها في ميلاد مفاهيم جديدة و أنماط تفكير و تعبير مبتكرة.

و رغمَ أنّ ***لفيفر*** ينظر إلى الترجمة باديَ الرأي على أنها تحويلٌ لغويٌّ، غير أنّه يلحّ على تأثير العوامل الثقافية في الفعل الترجمي، و لعلّ من أهم هذه العوامل: فعل التلقي، وهو الفعل الذي يعكس بالضرورة نبض العصر و الأذواق و القيم الثقافة السائدة، و رغم أنّه في كتابه يخصّ الترجمة الأدبية بالدراسة، إلاّ أنه يمكن القول إنّ كلّ ترجمة في الواقع هي "إعادة كتابة".

سوزان باسنيت ***Susan Bassnett*** من مركز الترجمة و دراسات الثقافة المقارنة، أستاذةٌ ذات صيتٍ لما لها من إسهامات مشهودة في علم الترجمة بأعمالها التي تتجاوز العشرين مؤلّفا، ترى أنّ الترجمة ليست مجرد نقلٍ و تحويلٍ لغوي و لكنّها نشاط ثقافي، لذلك يجب أن يولي المترجم عناية كبيرة للجوانب الثقافية من أجل تحقيق التكافؤ بين النص الأصلي و النص الناتج، رغم أنها تؤكّد أنّ التكافؤ التام و المطلق لا يمكن بلوغه.

و ترى أيضا في أعمالها أن اللغة و الثقافة مفهومان متداخلان، و كما أنه ليس ثمّة ثقافتان متطابقتان فليس ثمّة أيضا منْ لغتين متطابقتيْن، و بسبب وجود فجوات بين الثقافات و اللغات فلا يمكن الحديث عن مثل هذا التكافؤ التام و التطابق في الفعل الترجمي، لتنتهيَ إلى أن عدم القابلية للترجمة ***untranslatability*** أمر محتوم لا مَنْجَى منه، و لئنْ تسنّى إدراكُ التكافؤ في مستوىً معيّن فإنّه لا يمكن إدراكه في كلّ المستويات، لأنّ ثمّة دوما أثناء الترجمة مكاسبَ من النص الأصلي و خسائر، فشيءٌ يُدركُ و آخرُ يُفقَدُ.

و تقول في تعريفها للترجمة انطلاقا من هذه الخلفية:

"Translation involves the transfer of "meaning" contained in one set of language signs into another set of language signs (...) the process involves a whole set of extra-linguistic criteria also ."[1]

" تنطوي الترجمة على نقلِ "معنىً" محتوىً في جملةٍ من العلامات اللغوية، إلى جملة أخرى من العلامات اللغوية، و تقتضي هذه العملية أيضا جملة من المعايير غير اللغوية" – ترجمتنا –

[1] - Susan Bassnett, *Translation Studies*, 3rd edition, Routledge, London & Newyork, 2002, p .22.

و تريدُ بذلك أنّ المعنى رابضٌ وسط منظومة من العلامات و الرموز اللغوية، حتى تكون الترجمة هي التي تنقله هو نفسَه و لكن ضمن علامات و رموز لغوية من لغة أخرى هي لغة الوصول، و ذلك لكي يفهم المتلقّي المعنى المنقول في العلامات اللغوية التي يستعملها، كما أنّ عملية النقل هذه، لكي تضمن وصول المعنى، تستدعي مجموعة معايير من خارج اللغة، كالسياق الاجتماعي و البناء الفكري و الرصيد المعرفي، لأنّ الرموز اللغوية وحدها غير قادرة على حمل المعنى.

ثمّ تسلّط الضوء في سياق تعريفها للترجمة، على التداخل بين الأعمال المترجمة و بين الثقافات المستهدفة لتبيّن دور الترجمة في الدراسات الفكرية.

والمعنى في نظرها ينتمي إلى عالم الثقافة و إن كان محمولا على أعناق الوحدات المعجمية و الألفاظ، و هناك دوما علاقات هي التي تنتج المعنى و لكنها تتوارى خلفه، و لعلّ هذا ما ترمي إليه في موضع آخر من كتابها حين تصف الترجمة بأنها " طريقة أساسية لفرض معنى في الوقت الذي يتمّ إلغاء سلطة العلاقات التي تقفُ خلف إنتاج هذا المعنى." – ترجمتنا -

"A primary method of imposing meaning while concealing the power relations that lie behind the production of that meaning."[1]

فالترجمة تنقل معنى قد تمّ إنتاجه في لغة المصدر وفق علاقات لغوية و دلالية، و تحت سلطة قواعد معيارية، ثمَّ ترمي إلى إدماج هذا المعنى في لغة المتلقّي، بعد إلغاء تلك العلاقات، ليتمّ إنتاج المعنى نفسه وفق قواعد لغة الوصول و أعرافها اللغوية و الأسلوبية.

الفرع الثالث: التلقي في ضوء المقاربة التأويلية للترجمة.

و من أصحاب النظرية التأويلية في الترجمة ***دانيكا سليسكوفيتش Seleskovitch Danica*** التي ترى أنّ الترجمة حدثٌ تواصلي مضاعَف، و بصيغة أخرى، مضاعَفةٌ لتواصلٍ أُحادي اللغة، فالمعنى الذي ينتجه النص الأصلي يمثل الحدث التواصلي الأوّل، وحين ينتقل بفعل الترجمة إلى متلقٍّ آخر يكون قد شكّل حدثا تواصليا ثانيا، و جدير بالإشارة أنّ معظم مباحثها تركّز على الترجمة الفورية، لذلك فهي ترى أنّ تعليم الترجمة هو تعليم الفهم و التعبير و لا عبرة عندها باللغة من حيث هي وعاءٌ حامل، بل بالمعنى من

[1] - Susan Bassnett, op.cit, p. 136.

حيث هو محمول ثابت ينبغي أن يُنقل لا أنْ يحوّل في لغة ثانية، و هذا المعنى تعبّر عنه في بعضٍ من تعريفاتها للترجمة قائلة:

" ... Traduire signifie transmettre le sens des messages que contient un texte et non convertir en une autre langue, (...) le sens, c'est 1'1dee ou si 1'on préfère 1e vouloir-dire du locuteur et,(...) i1 existe une différence fondamenta1e qui explique que le que traduire soit un acte de communication et non de 1inguistique" [1]

"تعني الترجمة نقلَ معنى رسالة يتضمّنه نصٌّ ما، و ليس تحويلَه *[هذا المعنى]* في لغة أخرى... و المعنى هو الفكرة أو إذا شئنا، هو غرضُ المتكلّم..ثمّة فروق جوهرية تفسّر أنّ الترجمة هي حدثٌ تواصلي و ليست فعلاً لسانيا." – ترجمتنا –

فنقل المعنى مع تجريده من مكوّناته اللفظية، ثمّ إعادة بنائه بوحدات لفظية في لغة الوصول هو جوهر البراديغم الذي تقوم عليه النظرية التأويلية، و من الإجراءات الترجمية المركزية تجريد المعنى و سلخه من مكوّناته اللفظية ***deverbalisation*** ، وفي لغة الوصول يُعاد تركيب المعنى بألفاظ و مكوّنات لغوية جديدة تنتمي إلى لغة المتلقّي.

يرى ***هنري ميشونيك*** ***Henri Meschonnic*** في كتابه ***Poétique du traduire*** [2] أنّ الترجمة تكشفُ عن الفكر و الأدب واللغة، كم أنها أداةٌ لتبادل المعارف بين الثقافات، و هو يفضّل استعمال مصطلح "شعرية الترجمة" ***poétique*** بدلا من "علم الترجمة" ***traductologie*** ، ذلك أنّ مفهوم الشعرية من جهةٍ، يُحيلُ بوضوحٍ على أنّ الترجمة تجمع بين نظرية الأدب و نظرية اللغة في آنٍ معا، ومن جهةٍ ثانية لأنّ الشعرية في نظره تعترفُ بالنشاط الفكري في الترجمة الذي يحوّل قيم اللغة إلى " قيم خطاب"، و ينتقد النظرية التي تُعنى بالعلامة و تتجاهلُ الخطاب.

و لقد جعل عنوان كتابه" شعرية الفعل الترجمي" ***poétique du traduire*** و ليس "شعرية الترجمة"، ***poétique de la traduction*** ، و ذلك لكيْ يوحي من وجهة نظره أنّه ينبغي دراسة الفعل الترجمي ذاته من حيث هو نشاط ***activité*** من خلال ما تُنتِجه الترجمة للمتلقّي، تماماً كما أن اللغة و الأدب و الشعر هي نشاطات ***activités*** قبل أن تكون نتاجاً، و عنده أنّ نظرية الترجمة ليست ضمن اللسانيات التطبيقية، بل هي حقلٌ جديد في نظرية الأدب و تطبيقاتها.

أمّا تعريفه للترجمة، فهو مبنيٌّ على المساواة بين الترجمة و التأويل و الفهم، إذ يقول:

---

[1] - Seleskovitch, Danica, *Interpreter pour traduire*, Didier Erudition, Paris, 1984, p .256.
[2] - Meschonnic, Henri, *poétique du traduire*, Paris, Verdier, 1999.

« Traduire, interpréter, comprendre sont équivalents, et tout rapport interpersonnel, interculturel, tout échange de pensée est traduction. » [1]

" الترجمة والتأويلُ و الفهمُ مفاهيمُ متكافئةٌ، و إنّ كل تواصلٍ بين الأشخاص أو بين الثقافات، و كلَّ تبادلٍ للفكر، كلّ ذلك يُعدّ ترجمةً." – ترجمتنا –

فالترجمة و الفهم و التأويل أدواتٌ لقراءة النص تقعُ كلّها في ساحة التلقّي، ثمّ إنّ كلّ تبادل لرسالة بين شخصيْن أو بين ثقافتيْن هو في حدّ ذاته ترجمةٌ، و ما دام أنّ كلّ رسالة تنطوي على مرسلٍ و مستقبل أي على عملية تلقٍّ، فالترجمة هي عينُها التلقِّي، و قارئ النصّ المترجَمِ في الواقع هو يقرأ كتابتيْن إحداهما فوق الأخرى *deux écritures qui se superposent* .

و شأنُ الترجمة شبيهٌ إلى حدّ ما بما يجري في المسرح؛ إذْ إنك حينما تذهبُ إلى المسرح و تشاهد "هاملت"، فإنّ الذي تشاهده في الواقع ليس"هاملت" و إنما هو "هاملت" كما يراه المخرج، و إنّ "هاملت" الذي يقدّمه ***شيرو*** [2] ***chéreau*** مثلا ليس"هاملت" الذي يقدّمه غيره.

وما الترجمة، و الحالة هذه، سوى استمرارٍ للنصّ في لغة أخرى، و هو ما عبّر عنه ***ميشونيك*** نفسُه منْ أنّ الترجمة هي "مواصلة النص في لغة أخرى"[3]، و الترجمة، انطلاقا من شعرية ***ميشونيك***، لا تكون ترجمةً إلا عندما تصيرُ مُختَبَرا للكتابة.

و في شعرية ***ميشونيك*** ليست الترجمة علما و لا فنّا[4] و إنما هي نشاط و إجراء يفعّلُ فكرة "الأدبية"، كما تجيب الشعرية على ذلك التصوّر المضلل – في رأيها - الذي يضعُ أهل المصدر ***les sourciers*** الذين يعكفون على لغة المنطلق و يسعون إلى استنساخها و محاكاتها، في مقابل أهل الهدف ***les ciblistes*** الذين ينظرون أمامهم إلى لغة الوصول و لا همّ لهم سوى الحفاظ على المعنى، بأنّ وحدة الترجمة الأساسية ليست الكلمة و معناها ، و إنما هو الخطاب كلّه بوصفه نظاما.

لعلّه منَ الحريّ التعريجُ على تعريف المنظّر الأمريكي ***فينوتي*** ***Venuti*** فَفِيه بعضُ إثراءٍ لفرضيتنا موضوعِ هذا المبحث من أنّه مهما يكنْ منْ تعريفٍ للترجمة إلا و هو

---

[1] - Meschonnic, Henri, *poétique du traduire*,op.cit, p .93

[2] - هو **باتريس شيرو** ***PATRICE CHEREAU*** ممثّلٌ و مخرجٌ مسرحي فرنسي.

[3] - Meschonnic, Henri, op.cit, p. 27.*« Bref, traduire continuer le texte dans une autre langue ».*

[4] - Ibid, pp. 16 – 18.

منطوٍ في تضاعيفه على إشارةٍ إلى فعل التلقّي بوصفهٍ محدّدا عضوياً ركينا في بناء التعريف، إذْ يُعرّف الترجمة كما يلي:

"Translation is a process by which the chain of signifiers that constitutes the source-language text is replaced by a chain of signifiers in the target language which the translator provides on the strength of an interpretation"[1]

"الترجمة عمليّةٌ يتمّ من خلالها إحلالُ سلسلة من الدوالّ التي يُنتجها المترجم بفضل قوة التأويل في اللغة المستهدَفة، محلَّ سلسلة من الدوالّ التي بُنِيَ عليها النص في لغة المصدر." – ترجمتنا -

فالمترجم بما هو مؤوّلٌ ينقل يعملُ على نقل المحمول المعنوي الذي تنتجه سلسلةٌ من الدوال في لغة المصدر إلى لغة المستقرّ، و لكنْ بعد عملية تأويلٍ ليستقرّ المعنى في سلسلة من الدوال التي يستعملها و يفهمها المتلقّي، فالغاية إذاً و المقصد من وراء العملية برمّتها، أن يصل المعنى إلى المتلقّي، و لكنّ نقل النصّ الأجنبي إلى المتلقي ليستْ دائماً عملا سائغاً مصفىً و خاليا من كلِّ شائبةٍ أو تنغيص،بل هو تأويلٌ محكوم بطبيعة المتلقّي المستهدَف بالفعل الترجمي و الفضاء الثقافي إلى حيثُ يوجّهُ النص ليؤدي وظيفته.

ويرى ***فينوتي*** أن جدوى الترجمة إنما تنشأ من خلال علاقتها بالمكوّنات الثقافية والاجتماعية التي يتم في فضائها إنتاج الترجمة وقراءتها، وهو يعتقد أن النص الأجنبي هو ملتقى العديد من الاحتمالات الدلالية المختلفة التي يتم تأويلها مؤقتا، في أي ترجمة على خلفية معطيات ثقافية متنوعة وخيارات تأويلية و تفسيرية في مواقف اجتماعية بأعيانها وخلال فترات تاريخية مختلفة.

الفرع الرّابع: التلقّي في ضوء المقاربة الوظيفية للترجمة.

و في النظرية الوظيفية التي تضمّ عمليّا بين جَنَباتها توجّهين متقاربيْن، يمثلهما كلّ من المنظّرة الألمانية ***كاتارينا رايس*** ***Katharina Reiss*** في نظرية أنواع النصوص، و ***هانس فيرمير، Hans vermeer*** في النظرية الغائية ***skopos theory*** ، وتعرّف ***رايس*** الترجمة بقولها:

"Interlingual translation may be defined as a bilingual mediated process of communication, which ordinarily aims at the production of a TL text that is functionally equivalent to an SL text."[1]

[1] - Venuti, Lawrence. *The Translator's Invisibility. A history of translation*, Routledge London and New York. 1995. P .13.

"يُمكنُ تعريفُ الترجمة بأنّها عمليّةُ تواصلٍ بين لغتيْن، يهدف عموماً إلى إنتاج نصٍّ في اللغة المستهدَفة مكافئٍ وظيفياً لنصِّ اللغةِ الأصلية." – ترجمتنا –

و التكافؤ الوظيفي هو أنّ يؤديَ النصُّ الناتج في لغة الوصول الوظيفة نفسها التي كان يضطلع بها في لغة المنطلق فيما يتصل بالمتلقّي بوصفه مستهلك النص و من خلال استجابته يُعرف أثر النص و وظيفته.

و من العناصر التي يفرزها التعريف أيضا و يمكن استنباطها منه أنّ المترجم يغدو في مثل هذه الحال – و هذا وضعه في الغالب – مرسِلاً ثانيا، و تغدو الترجمة حدثا اتصاليا ثانيا.

تقترح ***رايس*** في أعمالها مفهوم "النص المكافئ"، وتدرس أيضا مدى نجاح الترجمة في أنْ تكون حدثا تواصليا، من أجل ذلك فهي تقترح أيضا تنميطا أو صُنَافَةً للنصوص، و تربطُ كلَّ نمطٍ من النصوص بوظيفة مخصوصة، و هي تُقرّ أن مضمون الرسالة لا محالة يَطالُه بعض التغيير و التحريف أثناء عملية التواصل بين لغتيْن، و ذلك راجعٌ لأفق انتظار المتلقّي و رصيده المعرفي و توقعاته التي هي في الغالب مُباينةٌ عن معارف المرسِل.[2]

إنّ هذه الاختلافات قد تكون مقصودةً أو غيرَ مقصودة؛ فأمّا غير المقصودة فهي تلك التي تنشأ عن تفاوت اللغات و اختلاف أنظمتها أو كفاءات المترجم، و أما المقصودة فتَرِدُ عندما يكون الغرض المنشود من النص الناتج ليس هو غرض النص الأصليّ.

و في ضوء الطرح الذي توفّره نظرية أنواع النصوص، يبدو أنّ مدار الأمر في الترجمة ليس سؤالنا عن النص الأصلي ما الغرض منه و من المتلقي الموجّه إليه، بل الأحرى ما الغرض من النص الناتج و إلى أيّ صنف من المتلقين يتّجه، و ربّما أمْكَنَ مُلاحظة ذلك بجلاء في مجال الترجمة القانونية.

و استنادا إلى الوظيفة التواصلية للنص، تقترح ***رايس*** أنواعا من النصوص هي: النصوص الإخبارية، و التعبيرية، و العملية، وترى بأنّ معظم اللغات و الثقافات على اختلافها تستعمل الأنماط نفسها في الغالب، كما تقترح لكلّ نوع مقاربةً ترجمية مختلفةً، و ليس المجال هنا للتوسع في هذه المفاهيم لأنّ لنا إليها أَوْبَةً عند الحديث عن نظريات الترجمة في مباحثَ لاحقةٍ.

---

1 -Katharina Reiss, "*Type, Kind and Individuality of Text. Decision Making in Translation*" IN " *The Translation Studies Reader"* , edited by Lawrence Venuti, London, Routledge, 2000, p .160.

2 - Katharina Reiss, *Type, Kind and Individuality of Text*, op.cit, pp. 162 - 170

و قريبُ من ذلك نظرية ***سكوبوس skopos*** ، أو النظرية الغائية، وتسمّى أيضا نظرية الهدف، و هي ترى على نحوٍ مجمَلٍ أنّ النص الأصليّ لمْ يعُدِ العنصر المحوري الذي يحدّدُ طبيعة النص الناتج، بل إنّ النص الناتج قد أصبح كيانا مُنْمازاً و قدْ تكون وظيفته مختلفةً عن وظيفة النص الأصلي، لأنه إنما يكتسبُ وظيفته في فضاء التلقّي، و تتحدّد طبيعته مع المتلقّي و بفعل التلقّي وليس بعلاقته مع النص الأصلي.

يمثّلُ هذا التوجهَ المنظّرُ و اللسانيُّ الألمانيُّ ***هانس جوزيف فيرميغ Hans.J.Vermeer*** ، الذي يقولُ في سياق حديثه عن العلاقة بين النصين، الأصلي و ناتج الترجمة:

"source and target texts may diverge from each other quite considerably, not only in the formulation and distribution of the content but also as regards the goals which are set for each."[1]

" قدْ يختلف النص الناتج عن النصّ الأصليّ اختلافا بيّناً، ليس فيما يتصلُ بصياغة المحتوى و تنسيقه فحسب، و إنما أيضاً في الأهداف الموضوعة لكلٍّ منهما."

تركّز نظرية ***سكوبوس*** على الغاية من الترجمة، و هذه الغاية التي يتمّ تحديدها هي التي تُملي أسلوب الترجمة و الاستراتيجة الواجب اتّخاذها من أجل الخلوص إلى نصّ ذي كفاءة وظيفية في لغة المستقرّ.

يكتسبُ النص الأصلي في هذه النظرية ملمحا جديدا، فهو قطعا يمثّلُ نقطة الانطلاق، غير أنّ تلقّيَهُ يعتمد بشكلٍ جوهري على الوظيفة التي سيضطلع بها في لغة الوصول وفي الثقافة المستقبِلة.

إنّ الترجمة ظاهرةٌ من الشساعة و الانديا‌ح بحيث يمكنُ إدراكها من مذاهبَ و جهاتٍ شتى، من أجل ذلك وجدنا تعريفاتِها تَنْسِلُ منْ كلّ حدَبٍ و صوبٍ، ينبني كلٌّ منها على نموذجٍ نظري معيّن، و لمّا كانت الإحاطة بمجموع التعريفات و الإلمام بها أمرا غيرَ مقدورٍ عليه فضلاً عن أنّه يستغرق المجلّدات الضِّخامِ، فحسبنا ما تقدّم و لنا فيه عمَّا سواهُ غُنيةٌ.

لعلّ في التعريفات التي سيقتْ بُلغةً وعونا للوقوف على أهمية التلقّي في آلية الترجمة، ولقدْ اكتفينا بهذا النزر منها و اقتصرنا عليه في الاستدلال لجُملة دواع؛ ذلك أنّ حصر مجموع ما وُضع من تعريفات للترجمة عملٌ لا يتّسع له المقامُ، ثمّ إنه ليس مقصودا لذاته

[1] - Hans J. Vermeer, « *Skopos and Commission in Translational Action* », edited by Lawrence Venuti, IN " *The Translation Studies Reader"* London, p. 223.

بل لما يُمدّنا به منْ إشارات إلى العلاقة الوثيقة بين الترجمة و التلقّي، ناهيك عن التَّكْرار الذي يصلُ أحيانا إلى حدّ التطابق بين التعريفات عند كثير من المنظرين لاسيما إذا كانوا ينتسبون إلى المدرسة ذاتها.

من أجل ذلك اقتصرنا على هذا القدر، و لكن مع حرصنا على التنويع و مراعاتِنا تعدُّدَ وجهات النظر و اختلافها بغية تعزيز النتائج و إثرائها، فقد اخترنا تعريفات من مشاربَ شتى، تصدرُ عن خلفيات فكرية متباينة، و لأصحابها في سماء علم الترجمة ذكرٌ و صيتٌ، كما أنها تمثّل في مجموعها مختلف النظريات الكبرى في الترجمة.

و لقدْ استقرّ لدينا بعد هذا التَّجْوالِ فيما بين التعريفات، ما يشبهُ القناعةَ الرّاسخةَ أنّه ما من تعريفٍ رصينٍ للترجمة إلا و هو ينطوي صراحةً أو ضمنيّاً على فعل التلقّي كنظام قائم برأسه، و بوصفه واحدا من أهمّ محدّدات الفعل الترجمي، حتى لكأنّ التلقّي يمثّلُ غاية الترجمة ذاتها ، و يجوز القول إنّ كلّ تلقٍّ ترجمةٌ، كما أنّ كلّ ترجمة هي تلقٍّ، و إلاّ فماذا يبقى من الترجمة إنْ لم تكن قائمة أساسا على نقل معنى إلى المتلقي منْ لغةٍ ما إلى لغته.

و كل تعريف يسعى – من زاويةٍ ما – إلى فكّ لغز تلك الماهية المستغلقة وتفكيك الطبيعة الغامضة للعلاقة التي تربط الأصل بالنتيجة، و فهم كُنْهِ هذا المسار "السحري" المعقّد الذي ينطلق من لغةٍ ليستقرّ في لغة أخرى حاملا المعلومة و المعنى، و الذي يجرّد المعنى من "جسده اللفظي" ليعيدَ تخليقه في منظومة جديدة من الدوال و العلامات.

المطلب الثالث: التلقّي في ضوء تعريف المدرسة الروسية.

و نختم معرض تعريفات الترجمة ببعض التعريفات من المدرسة الروسية، التي يرى منظروها أن الترجمة هي في المقام الأوّل حدث تواصلي، و لعلها تنسجم مع قاعدة كان وضعها ***جورج شتاينر Steiner*** حين أكّد أن " كلّ فعل تواصلي هو فعل ترجمي."[1]

- يعرّف ***سيمينوف A. L. Semenov*** الترجمة بقوله:

"First of all, translation is the translator`s activity of transforming a message in one language into a message with the same meaning in another language."[2]

[1] - Steiner, George. *After Babel: Aspects of Language and Translation.* op.cit,P .17. *"All acts of communication are acts of translation."*

[2] - Semenov. A.L, *Basic Guidelines of General Theory of Translation*, Peoples Friendship University of Russia, Moscow, 2005.p .25

" الترجمة هي قبل كلّ شيء، عملُ المترجم في تحويل رسالة في لغةٍ ما إلى رسالةٍ تحمل المعنى ذاته في لغةٍ أخرى." – ترجمتنا –

- و عند ***غاربوفسكي Garbovsky*** نجد التعريف الآتي:

«Translation is a social function of communicative mediation between people, who use different language systems.»[1]

" الترجمة وظيفة اجتماعية قوامها وساطة تحقق التواصل بين شعوب تتكلم لغاتٍ مختلفةً." – ترجمتنا -

- و في تعريفٍ أخرَ نجد الصيغة الآتية:

«Translation can be defined as a way to provide interlingual communication by the means of creation of a text in TL (target language), intended to fully replace the original text.»[2]

" يمكن تعريف الترجمة بأنها سبيلٌ لإنجازِ تواصلٍ بين لغتيْن أو أكثر، عبر إنتاج نصّ في اللغة المستهدفة بغيةَ تعويض النص الأصلي تعويضا كاملا." – ترجمتنا -

وردَ في التعريفات الثلاثة التي سيقتْ أنّ الترجمة هي نقلُ رسالة من لغة إلى لغة مع الحفاظ على معناها، و هو نقلٌ في الواقع من مُرسلٍ إلى متلقٍّ لأنّ الترجمة هي في نهاية المطاف فعلٌ تواصلي، يحقق التقارب بين شعوب تتكلم لغات مختلفة، و ذلك يتمّ من خلال إنتاج المترجم لنصّ في اللغة المستقبِلة يكافئ النص الأصلي و يقوم مقامه ويؤدي الوظيفة نفسها لدى المتلقي المستهدَف كما كان أدّاها النص الأصلي لدى المتلقّي الأصلي.

و لكنّ ***كاربوفسكيGarbovsky*** مع ذلك يعترفُ أنّ الترجمة هي دوما نقل جزئيٌّ و مُقارب للمعنى الأصلي و لا يمكن أن يكون نقلا كاملا، و أنّ " النقل الكامل للمعاني هو غايةٌ قصوى للمترجم، بيْدَ أنها مهمّةٌ مُحالٌ إدراكها."[3]

و جمهورٌ عريضٌ من منظّري الترجمة يتبنّون هذا الطرح الذي ما انفكّ يَسِمُ تاريخ الدراسات الترجمية، و هو إشكالية هوية النص بين الأصل و الترجمة، في صورة سجالٍ

---

[1] - Garbovsky .N.K. *Theory of Translation*, MSU, Moscow, 2004. P .214.

[2] - Sdobnikov .V.V and Petrova .O.V, *Theory of Translation*, AST, Vostok – Zapad, Moscow, 2006, P. 87

[3]-Garbovsky .N.K. *Theory of Translation*, op.cit. P.212. *"absolutely complete transmission of meanings is the ultimate priority for the translator, but it is a task which cannot be accomplished ."*

حادٍّ أحيانا حول القابل للترجمة "***translatable***" والعَصِيّ عن الترجمة "***intranslatable***" فضلا عن أنّ فقدان بعض عناصر المعنى أثناء الترجمة أمرٌ لا مفرّ منه و يكاد يكون "حتمية ترجمية"، فثمّة دوما في ترجمة النص خسارة هنا أو هناك، و لعلّه من الأحوط ترجيح موقف *نايدا* الذي يرى "أنّ الإجاباتِ دائماً متنوعةٌ و متعددةٌ عن السؤال: "هل هذه الترجمة جيدة؟" و كلّ إجابة تحظى بجانبٍ من الصحّة على نحوٍ ما."[1]

كما أن هناك عاملا مُهمّاً ينضاف إلى هذا التحليل، ذلك أنّهُ من اللافت أيضا أن الفعل الترجمي محكوم إلى حدّ ما بشروط موضوعية ذات صلة بالتواصل (صعوبة النص الأصلي، معارف المترجم و مهاراته، السياق، فضاء التلقّي...)، وهناك اعتقاد راسخٌ قدْ يصلُ إلى القناعة الواسعة، أنّ المترجم ليس طرفا فعليا في عملية التواصل، ما دام لا يملك الحق في إقحام أرائه و مواقفه الشخصية في عمله الترجمي، و أنّ عمله ذاك موجّهٌ بوحيٍ من النص الأصلي.

و ذلك ما دعا ***سميث K.G.Smith*** إلى أن يعلّق في دراسته لترجمات الإنجيل " بأنّ التأويلات المتعدّدة لنصوص الإنجيل راجعةٌ في الغالب الأعمّ إلى اختلاف التقاليد و الثقافات."[2]

كما لاحظ ***لارسن Larson*** أنّ كلّ معنيٍ مرهون بالثقافة التي أنتجته و كذلك الشأن في عملية التلقّي، لذلك فإنّ كلّ مجتمعٍ يتلقّى الرسالة و يفسّرها بأدوات القراءة التي تفرزها ثقافته، و"متلقّي الترجمة سيقرأ النص المترجَم في إطار خبْراته هو و ثقافته، لا في إطار ثقافة الكاتب الأصلي للنص و لا المتلقي الأصلي له و خبْراتهما."[3]

و انطلاقا من هذا التشخيص، يمكن للمرء أن يزعمَ أنّه متى ما كانت الثقافتان متقاربتيْن كان ذلك أدعى إلى أن يكون الانتقال من لغة إلى أيسرَ و أكثر طواعيةً، لأنه يرجَّحُ إذْ ذاك أنّ ثمّة مساحةً واسعةً من التقابل والتكافؤ بين مختلف المفاهيم الثقافية و الحضارية، بينما إذا تباعدت الثقافتان و اختلفتا اختلافا كبيرا في المنطلقات و

---

[1] - Nida, E. *Toward a science of translating*.op.cit, P. 80.

[2] - SMITH, Kevin Gary, *Bible Translation and Relevance Theory. The Translation of Titus*, (a dissertation submitted for the degree of Doctor Litterarum), Stellenbosch Univ, 2000. P.148. *"Different interpretations of biblical texts in translation are often determined by differences in traditions and cultures."*

[3]- Larson, Mildred. L. *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. University Press of America, New York. 1984. P.436. *"The receptor audience will decode the translation in terms of his own culture and experience, not in terms of the culture and experience of the author and audience of the original document."*

التصوّرات، فإنه يغدو من العسير بل و المتعذّر أحيانا إيجاد المقابلات الطبيعية للمفاهيم الثقافية.

المطلب الرابع: التلقّي من خلال مصطلحات الفعل الترجمي.

ثمّة أيضا إشارةٌ أخرى لا مندوحةَ لنا منَ الوقوف عندها في هذا السياق، وهي بعض المصطلحات التي يوظفها المنظرون في تعريفاتهم و الممارسون و المشتغلون بحقل الترجمة عموما، ففي توصيفهم لأطراف الفعل الترجمي تتردّدُ دائما بعض المصطلحات و المفاهيم على اختلافٍ بينها أحيانا، و لكنّه اختلافُ تنوّعٍ لا اختلاف تناقض.

و من المصطلحات المستعملة في ميدان الترجمة:

1 – اللغة الأصلية: و هي اللغة التي كُتبَ فيها النص الأصلي ابتداءً، وهي اللغة المنقول منها، و يطلق عليها أيضا "لغة الانطلاق" و"لغة المصدر"، و يُرمز لها- **SL**- ***language source*** في الإنجليزية و– **LS** – ***la langue source*** في الفرنسية، و قد يتساهل البعض في محاكاة التراكيب الفرنسية أو الإنجليزية، فيستعمل تعبير: "**اللغة المصدر**" نسجاً على منوال المصطلح الفرنسي.

2 – **النصّ الأصلي:** و هو النص موضوع الترجمة، و النص هنا بمفهومه الواسع، يكون كلمةً واحدة مفردة كما يكون جملة أو مقالا أو مصنّفا كاملا، و سواء أمكتوبا كان أم ملفوظا، و يُدَلُّ عليه في بالرمز: -**ST**- ***source text*** في الإنجليزية، و-**TS**- ***texte source*** في الفرنسية، وربّما حاكى بعضهم المصطلح الفرنسي في العربية فدعاه" **النصّ الأصل**" و النص الأصلي من ورائه المؤلف أو الكاتب أو "الناصّ" بشكل عام، و هو في مسار الرسالة يعدّ المرسلَ الأوّلَ.

و يُلازمُ هذيْن المصطلحيْن، اللغةَ الأصليةَ و النصَّ الأصليَّ، مصطلحٌ آخرُ هو "**الثقافة الأصلية**"، و يُرادُ به ثقافة اللغة الأصلية حيثُ وُلِد النص الأصلي، وحيث اكتسب معانيَه الأوليّة، ذلك أنّ المترجم ـــــ في كثيرٍ من نظريات الترجمة لاسيما النظريات السوسيوـ ثقافية ـــــ ليس ينتقلُ في عمله من لغةٍ إلى أخرى فحسب، و إنما أيضا منْ نسقٍ ثقافي إلى آخر.

3 – **المترجم**: ***le traducteur – the translator*** وهو الطرف الفاعل، و الوسيط بين اللغتين، كما يُعدّ في كثير من النظريات مؤلفا ثانيا، و هو في الذات الوقت، من منظور أطروحتنا، المتلقّي النموذجي للنصّ الأصلي، و هو الذي يضع الخيارات و الاستراتيجيات أثناء عمله الترجمي وفق عملية تفاوض مع النص الأصلي و لغته من جهة، ومع لغة الوصول و النص الناشئ من جهة ثانية.

4 – **الرسالة**: ***le message - the message*** و هو مفهوم يُطلق على مركّب معقّدٍ منَ المكوّنات: على مضمون النص و المعاني و فحوى الخطاب و غرض المتكلم ***le vouloir dire*** و الأثر المتوخّى عند التلقّي... و تُقاس دقّة الترجمة و صحتها و نجاحها، بقدرتها على نقل "الرسالة" إلى المتلقي بشكلٍ مطابقٍ أو أقرب ما يكون إلى ما كان يريده المؤلّف.

5 – **النص المستهدَفُ:** و هو النص الناتج عن الفعل الترجمي في لغة الوصول، و يرمزُ له - **TT** - ***Target text*** في الإنجليزية و- **TC** - ***texte cible*** في الفرنسية، و هو المادّة التي يتفاعل معها المتلقّي في لغة الوصول، وقد تعدّدت النظريات في طبيعة العلاقة بينه و بين النص الأصلي.

6 – **اللغة المستهدَفَة:** وهي اللغة المنقولُ إليها، و في فضائها يتمّ تلقي النص الناتج عن الترجمة، و يرمزُ لها -**TL**- ***target language*** في الإنجليزية و - **LC**- ***la langue cible***، كما تُعرفُ أيضا بلغة الوصول ***langue d'arrivée*** و اللغة المستَقبِلة ***langue receptrice*** و لغة المستقرّ، و اللغة الهدف محاكاةً للتعبير الفرنسي.

ويرتبط باللغة المستهدفة مفهوم رديفٌ هو **الثقافة المستهدفة**، أو الثقافة المستقبِلة ***culture receptrice*** وهي تمثّل السياق الثقافي و الفضاء الاجتماعي و مجموع العناصر غير اللغوية *extralinguistiques* التي تؤثّر في عملية التلقّي و توجّهُ فعل القراءة، و فيها يولدُ النص المنقول ولادةً ثانية و يُكتَبُ كتابةً ثانيةً.

ليس المُرادُ من سرد هذه المصطلحات جميعها توصيفَ أطراف الفعل الترجمي، و إنّما لأنّها تومئ في حدّ ذاتها إلى أنّ الفعل الترجمي قائمٌ أساسا على فعل التلقّي في كل مراحله، في شكل ثنائيات متلازمة، إذ هناك دوما منطلقٌ و وصول، مبتدأٌ و منتهى، أصلٌ و هدفٌ...

و بين الأصل و الهدف ثمّة مسار و مراحل يقطعها المعنى المنقول خلال هجرته ليصل إلى المتلقّي الأخير، غير أنّه على امتداد هذا المسار يتربّع التلقّي على مساحة واسعة، يبدأ من تلقي القارئ للنص الأصلي، ثمّ تلقي المترجم نفسه من حيث هو قارئ نموذجي، ثمّ تلقّي النص الناتج، و لعلّ في الخطاطة التالية تبياناً لمواقع التلقي في المسار الذي يسلكه النص والمساحة التي يشغلها قبل الترجمة و أثناءها و بعدها:

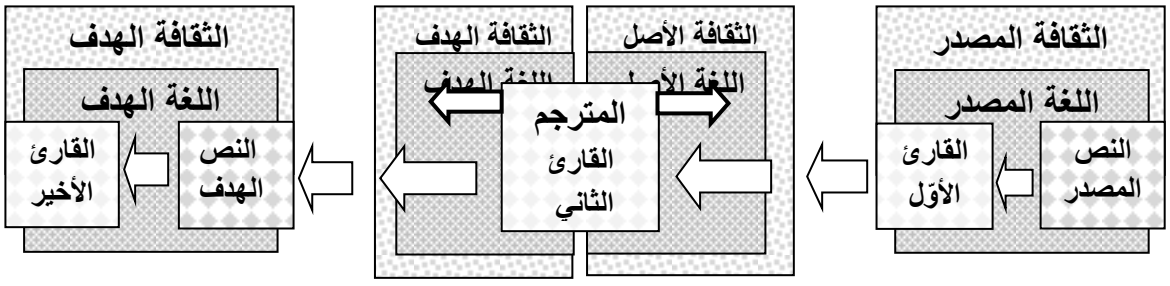

تُظهرُ الخطاطة السابقة مواقع فعل التلقي في المسار الترجمى، فالنص منذُ أنْ يولدَ في لغته الأولى يصير موضوع تلقٍّ عند القارئ الأول، وهو القارئ الذي يُساكنُ المؤلّفَ في لغة المصدر، ثمّ يصير النص إلى المتلقي الثاني و هو المترجم نفسه، الذي يقرأه بوصفه وسيطا بين لغتين و بين ثقافتين، تتجاذبه قوّتان بين الصعوبات الكبرى و الانتصارات الصغيرة للترجمة، و "يكتنف المترجم غالبا شعورٌ بالمرارة حيال المسافة التي تحول بالضرورة بينه و بين الأصل"[1]، و تتنازعهُ وظيفتان؛ القراءة و الكتابة، وهو يقف بين خيارين لا ثالث لهما إمّا أنْ يدع الكاتبَ حيث هو ويقرّبُ إليه القارئَ، و إمّا أن يدعَ القارئَ وشأنه و يجيءُ إليه بالكاتب.[2]

و القراءة عنده دائما مسكونة بهاجس الكتابة بين "رغبة الوفاء و شكوك الخيانة"[3] و بين هاجسين؛ هاجس الوفاء للنص الأصلي، وهاجس الانسجام مع قواعد اللغة المستهدفة وعبقريتها و عدم انتهاك أعرافها.

ثمّ ينتهي المطاف بالنص بعد الترجمة إلى المتلقّي الأخير و هو قارئ النص الناتج، فضلا عن أنّ هذا المتلقي إذا كان قادرا على قراءة النص الأصلي في لغة المصدر، فإنه سيُحْدِثُ بذلك مساحة جديدة للتلقي اقترحنا أنْ نطلق عليها مساحة " التلقّي المحتمَل".

أضفْ إلى ذلك أنّ بعض النظريات في علم النصّ ترى أنّ المؤلف أو الكاتب الأصلي إنما يُنشىءُ نصّه بوحي من نصوص أخرى كثيرة، و أنّ ما نسمّيه "النص الأصلي" إنما هو وهمٌ، و الكاتب الأصلي هو في نهاية المطاف مترجمٌ للأفكار و الوقائع من حوله، كما أنّه مهما يكنْ من نصٍّ إلا وهو يتقاطع مع مجموعة من النصوص فيما يعُرف نقدياً بالتناص ***intertextualité*** و منْ هذا المنظور تبوّأ المترجم مكانة عليَّةً تضاهي

---

[1] - Gadamer,Hans-Georg. *Vérité et méthode, Les grandes lignes d'une herméneutique philosophique*. Paris, Seuil, 1996, p. 407.

[2] - **English renderings of Schleiermacher's lecture are taken from**: *"On the Different Methods of Translating, in Translating Literature: The German Tradition from Luther to Rosenzweig*",trans.by **André Lefevere,** Assen.Van Gorcum, 1977, p.74. **النص الأصلي** *"Either the translator leaves the writer in peace as much as possible and moves the reader toward him; or he leaves the reader in peace as much as possible and moves the writer toward him."*

[3] - بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري، ص 16.

مكانة المؤلف نفسه من جهة أنّه هو أيضا مؤلّف و مبدع و أن الترجمة ليست ظلاّ باهتا و مشوّها للأصل، بل هي "نزّاعة أبدا لأنْ تكون كتابة."[1]

و بذلك تحرّر المترجم من الوصف "التحقيري" الذي جثم على صدره ردحا من الزمن في نظريات الترجمة التقليدية ، من أنّه مجرّد كاتب لأفكار غيره كما في الحوار الذي يورده ***مونتيسكيو*** في كتابه "رسائل فارسية":

- قال أحدهم لصاحبه: منذ عشرين سنة وأنا أشتغلُ بالترجمة،
- فردَّ صاحبه مستغربا: ماذا ؟ لقد انقطعتَ عن التفكير منذ عشرين سنةً ؟[2]

لقد بات راسخا لدينا، بعد تحليل التعريفات المختلفة في الأدبيات الغربية و العربية للترجمة، أنّ فعل الترجمة يدور في فلك واحد مع فعل التلقّي، ذلك أنّ التعريفاتِ جميعَها، وفق فرضيتنا، تقوم على مقولة أنّ التلقي هو الغاية التي ينتهي إليه النص المترجَم، و أنّه مكوّنٌ عضويٌّ في تحديد ماهية الترجمة، و أسٌّ متين في كينونتها، و هو أيضا المعيار الذي يُعرَفُ به جيّدُ الترجمة من رَدِيِّها، انطلاقا من أنّ الترجمة هي فهمٌ في بداياتها ثمّ إفهامٌ في نهاياتها، كما أنّ المترجم منذ الوهلة الأولى يستحضر القارئ المقصود بالنصّ، و استنادا إلى ذلك يُفاضلُ بين الخيارات المتاحة، و يتخذ موقفا لغويا و اجتماعيا و أيديولوجيا و جماليا بما يتيح له إحكام المفاوضة مع النص الأصلي، و كلّ ذلك من أجل سلامة المعنى بين يديْ المتلقي الذي يربضُ متربّصا به في اللغة المستهدفة.

و لعلّه من المناسب في خاتمة هذا الفصل أن نقترح تعريفا للترجمة يتّسقُ مع روح الفرضية التي ناقشناها، نجلّي فيه موقع التلقّي من حيث هو قطب الرّحى و حجر الزاوية في الفعل الترجمي، فنقول:

« الترجمة هي نقلُ فحوى قولٍ أو نصٍّ من مُتحدِّثٍ أو كاتبٍ في لغة المبتدأ و هي اللغة المنقول منها، إلى متلقٍّ في لغة المنتهى و هي اللغة المنقول إليها، مع الحرص على الوفاء للنصّ الأصليّ، و على مطاوعة الأعراف النحوية و الأسلوبية و البلاغية للغة المنتهى في الوقت ذاته، و الحفاظ على الأثر الناشئ عن الخطاب لدى المتلقّي، من أجل أنْ تكون عملية التلقّي في لغة المبتدأ مكافئة - إن لم تكن مطابقة - لعملية التلقّي في لغة المنتهى.»

1 - محمد الديداوي، مفاهيم الترجمة :المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2007، ص62.
2 - إدمون كاري، الترجمة في العالم الحديث، ترجمة: عبد النبي ذاكر، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر-وهران، 2004، ص 15.

الفصل الثانـي

موقع التلقّي في نظريات الترجمة

تمهيد

لعلّ العلة من وراء كلّ هذا التعدّد و التنوّع في نظريات الترجمة و فروعها، أنّ الفعل الترجمي في طبيعته قابل لأنْ يُرى من زوايا و جهات مختلفة؛ من جهة الأسلوبية، أو من المقصدية أي غرض المؤلّف، أو من جهة تعدّد اللغات، أو تباين الثقافات، أو من جهة المشكلات التي تحيق بعملية التواصل بين بني الإنسان، أو من جهة طبيعة الجمهور المتلقّي، أو الغرض الذي تسعى الترجمة إلى تحقيقه ، وهلمَّ جرا.

وإذا كانت تعريفات الترجمة قد تعدّدتْ و تنوّعتْ، فذلك لأنها صادرة عن خلفيات

فكرية متشعّبة، و تعكس نظرياتٍ في الترجمة مختلفةً، و مثلما اقتفينا مقولة التلقّي في الفصل الأول من خلال تحليل التعريفات و تفكيك مكوّناتها، و خلصنا إلى أنّه يكاد لا يخلو تعريف من الإشارة إلى فعل التلقّي بوصفه مكوّنا جوهريا، و ركنا ركينا في الفعل الترجمي و وقفنا على أنّ ثيمة "التلقّي" هي في بعض التعريفات أظهرُ و أوضح منها في البعض الآخر على تفاوت بين التصوّرات و زوايا النظر و طرائق الطرح، فإننا في هذا الفصل سنعالج أسباب الولوج إلى أشهر نظريات الترجمة، والجَوَسَان خلال تضاعيفها من أجل استقصاء موقع التلقّي و مكانته في التنظير للترجمة، و استكناه طبيعة العلاقة بين الترجمة و التلقّي من داخل النظرية.

و ليس المراد إذاً عرض النظريات و سردها و توصيفها و إنما بيان صلة التلقي بنظرية الترجمة من جهة، و الوقوف عند فعل التلقّي بوصفه مكوّنا و محدّدا رئيسا في النظرية من جهة ثانية، و في المبحث الثاني من الفصل نروم إضاءة إشكال آخر ذي صلة بإشكالية الدراسة، وهو الترجمة أو الفعل الترجمي في ضوء نظرية القراءة، فيكون الفصلُ من ثمَّ قائما على مبحثين متقاطعين: الأول، التلقّي في ضوء نظريات الترجمة، و الثاني الترجمة في ضوء نظرية التلقي.

و هذا الفصل هو عبارة عن عملية مسح لأهم الأنساق النظرية ذات الصّلة بالترجمة، على امتداد التطوّر التاريخي، و منذ أنْ بدأ التفكير النظري في الترجمة و للترجمة، أي منذ المراحل المبكّرة التي يُطلق عليها ما قبل "العِلمية" ***préscientifique*** أو ما قبل اللسانيات من منظور علم الترجمة الحديث ***la traductologie - Translations Studies***.

إنّ عدد نظريات الترجمة هائل، و لا تستطيع واحدة من هذه النظريات أن تدّعيَ لنفسها الشمولية و الإحاطة، و ترتيب النظريات وفق ورودها في الفصل لمْ يكنْ كذلك لأنه الترتيب الوحيد، فهناك احتمالات أخرى كثيرة واردة و يمكن أن نتبنّاها للترتيب، كما يمكن تجميع مجموعة من النظريات تحت عنوان واحد كالنظريات اللسانية التي من الجائز حصرها جميعا تحت نموذج " التكافؤ".

ثمّ إنّ كل نظرية تقريبا كانت قدْ نشأتْ وتبلورت في سياق معرفي و تاريخي محدّد ودقيق، مما يشي بأنّ كلّ نظرية قد نشأتْ متأثرة لا محالة بمجموع الأفكار و الممارسة الترجمية التي كانت سائدة و رائجة في هذا العصر أو ذاك أو داخل نسق ثقافي معيّن، « فمقولة التكافؤ في النظرية اللسانية للترجمة على سبيل المثال، ما هي سوى تحديث أوإعادة إنتاج لمقولة " الأمانة" التي لطالما نادى بها المترجمون لقرونٍ خلت و لكنّها قد أعيدت صياغتها وفق منظور بنيوي في الخمسينيات و الستّينيات من القرن العشرين»[1]،

1 - **PYM, Anthony**, *Exploring Translation Theories*, Routledge, 2012. P.8

مما أكسبها طابعا علميا و مهّد الأرض لولادة "علم الترجمة" أو الترجميّات *traductologie*، بوصفها اختصاصا علميا مستقلاّ.

و لكنّ المُلاحظة الأولية التي يخرج بها الباحث في نظريات الترجمة على تعدّدها، أن تعدّدها ذاك لا يعني دائما أنّ بعضها يُلغي بعضا، ذلك أنّ من تبنّى نموذجا تقوم عليه نظرية ما، لا يمنعه ذلك بالضرورة من تبني أفكار نموذج مركزي آخر لنظرية أخرى أوعلى الأقل بعض أفكارها، و أنّ ما يتغيّر جوهريا من نظرية لأخرى هو مجموع المفاهيم و المصطلحات المستعملة بين المنظرين في النماذج النظرية المختلفة، فضلا عن الجناس في بعض المصطلحات *l´homonymie des termes*، ممّا يجعلها مُربكةً ومُضلّلة.

و مهما ادّعى بعض المترجمين بفخر أنهم لا يملكون أية نظرية في الترجمة، بل هم إنّما يترجمون فحسب، فالواقع أنهّ ما مِنْ امرئٍ قدْ أقحم نفسه في ميدان الترجمة و تورّط في ممارستها، إلا و هو يملك نظرية في الترجمة قد تكون خفية أو ضمنية، و لكنّها موجودة و تؤطر الفعل الترجمي.

و يمكن وضع تصنيف عام لنظريات الترجمة جميعها، فهي تدور حول ثلاثة محاور رئيسة: النظريات التي تصبّ اهتمامها على النص الناتج، بتحليله و النظر في علاقته بالأصل، والنظريات التي تُعنى بوظيفة النص الناتج في اللغة المستهدفة و دراسة السياق، والنظريات التي تهتم أساسا بالفعل الترجمي في حد ذاته وسيكولوجية الترجمة وخطواتها وإجراءاتها.

المبحث الأوّل

نظريات الترجمة قبل ظهور اللسانيات

و هي المرحلة التي يسمّيها بيتر نيومارك " ما قبل اللسانيات" *pre-linsuistics period*،[1] و هي المرحلة التي تعرف أيضا في بعض المراجع بالمرحلة ما قبل العلمية *pre-scientific* و يشارُ إليها أيضا في بعض المراجع بالنظريات الفيلولوجية، و قدْ ازدهرتْ حينما كان فقه اللغة هو المحور الذي تدور عليه الدّراسات اللغوية.

تهتمّ هذه النظريات أساسا بالنصوص الأدبية دون الأنواع الأخرى من النصوص، وتبحث في إشكالية التكافؤ بين النصوص الأدبية، و ذلك بالمقارنة و الموازنة بين لغة المنطلق في الترجمة و لغة المستقرّ، و تركّز أيضا على المقوّمات و الخصائص الأدبية للنصّ، و ملامحه الأسلوبية و عناصره البيانية، ثمّ إنّ واحداً منْ أهمّ اهتمامات النظرية الفيلولوجية في الترجمة مدارستها للأعمال الأدبية و الفنية الكبرى على شاكلة أعمال شكسبير، كما أنّ إشكالية التكافؤ في ترجمة الأجناس الأدبية تقع في قلب النقاش ضمن هذه النظريات، فيما إذا كان من الواجب ترجمة الشعر إلى شعرٍ الرواية إلى رواية والملحمة إلى ملحمة...

و في هذه النظريات الفيلولوجية وُلدتْ الأسئلة التقليدية الأولى في الترجمة؛ هل الترجمة علمُ أم فنٌّ، أيهّما أولى من صاحبه بالاهتمام لدى النقل و الترجمة: الشكل أم المعنى، كما أنّ التوجيهات الأولى التي كان المنظرون مولعين بتدبيجها للمترجمين، قدْ بُنيتْ على قاعدة الدرس الفيلولوجي.

إنّ التفكير حول الترجمة قد بدأ منذ القدم، و قد يكون منذ البدايات الأولى لممارسة الترجمة، مع نصوص **شيشرون** ***Cicero*** و **هوراس** ***Horace*** [2]، ثمّ تلتْ ذلك مرحلةُ النصوص الدينية و الفلسفية و الأدبية فيما سمّي بالعصر الوسيط مع: سان جيروم، توما الإكويني، إتيان دولي، مارتن لوثر، شلايرماخر، هامبولت... وغيرهم، و كانت معظم كتابات هؤلاء مقالاتٍ تصفُ الفعل الترجمي و طرائق الترجمة.

لقد كان مبدأ "عدم الترجمة كلمةً بكلمةٍ" *verbum pro verbo*، الذي وضعه شيشرون، ثمّ تبعه فيه بعد ذلك هوراس في "فن الشعرL'Art poétique"[3] حين حذّر من

1 - Newmark, P. *Approaches to Translation*, op.cit. P.4

2 - **ماركوس توليوس شيشرون، أو: كيكرو** ***Marcus Tullius Cicero***، كاتب روماني وسياسي و محامٍ وخطيب روما المميز، ولد سنة 106 - 43 ق. م، مرجع في التعبير اللاتيني الكلاسيكي ويعدّ الجسر الذي عبر منه= = جانب من الفلسفة اليونانية إلى العالم، - **وينتس هوراتيوس فلاكس** أو **هوراس** ***Qvintvs Horativs Flaccvs***، 65 – 8 ق.م، شاعر وناقد أدبيّ لاتيني من رومانيا القديمة ، عُرف بالقصائد الغنائية والمقطوعات الهجائية.

3 - هوراس، فن الشعر، *ARS POETICA*، تر: لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1988.

محاكاة الأصل، هو النّواة التي تناسلت منها كلّ الثنائيات الأساسية في الفعل الترجمي، وكان بمثابة مركز جذبٍ تدور حوله نظريات الترجمة، ومنْ تلك الثنائيات الأزلية :

- اللفظ و المعنى: WORD / SENS
- الترجمة الحرفية و الترجمة الحرّة: LITERAL TRANSLATION / FREE TRANSLATION
- التكافؤ الشكلي و التكافؤ الوظيفي: FORMAL EQUIVALENCE/ FUNCTIONAL EQUIVALENCE
- أهل المصدر و أهل الهدف: SOURCE-ORIENTED *(les sourciers)* / TARGET-ORIENTED *(les ciblistes)*
- التوطين و التغريب: DOMESTICATION / FOREIGNIZATION

و لا يخفى على المتأمّل في هذه الثنائيات أنّها في حدّ ذاتها تستحضر في طيّاتها فعل التلقّي و تستدعيه، أو تومئ إليه لاسيما في جانبها الإجرائي، فهي جميعها نشأتْ عن محاولات عديدة للإجابة عن السؤال السرمدي: كيف نترجم؟

و في قراءة من زاوية أخرى لهذا السؤال في ضوء هذه الثنائيات يتبيّن كيف أنّها من الناحية العملية تضع القارئ و اللغة المستقبلة في الحسبان، أي إنها في نهاية المطاف تتساءل عن الطريقة المثلى التي ينتقل بها النص إلى القارئ عبر الترجمة، و من ثمّ يمكن أن نجعل السؤال: كيف نترجم؟ موازيا و مكافئا للسؤال: كيف ينتقل النص إلى لغةٍ أخرى و يتلقاه القارئ فيها على الوجه الصحيح.

تتألّف كلّ ثنائية من مركّبين اثنين، و إذا حاولنا تفكيك هذه المركّبات و جمع المتشابه منها إلى بعضه، لخلُصنا إلى تصنيف يقوم على خانتيْن، كما توضّحه الخطاطة:

- الشكل	- المضمون
- اللفظ	- المعنى
- الترجمة الحرفية	- الترجمة الحرّة
- أهل المصدر	- أهل الهدف
- التكافؤ الشكلي	- التكافؤ الوظيفي
- التغريب	- التوطين

و في ذلك بيانُ أنّ أهل المصدر، يتنصرون للترجمة الحرفية، و يرون أنّه يجب الحفاظ على شكل النص المنقول، و أنّ على المترجم أن يحافظ على غرابة النص في اللغة المستهدفة، و من ثمّ يتعامل المتلقي مع تجربة لغوية جديدة داخل لغته، و هو ما عُرف عند بعضهم بمصطلح " الضيافة اللغوية"، و لعلّ هذا التوجّه نشأ أوّل مرّة مع ترجمة النص الديني؛ الإنجيل على وجه الخصوص، إذْ كان تراجمة النص الديني يرون ترتيبَ الكلماتِ فيه نوعا من الإلغاز، وأنّ الشكل مكوّنٌ عضوي في النص، و ليس جزءاَ

ثانويا، و أنّه ربّما هو الذي يكسبه قداسته، من أجل ذلك كانوا يحرصون على أن ينتقل النص إلى المتلقي بشكله الأصلي بوساطة الترجمة الحرفية التي تحافظ على اللفظ والبناء.

بينما يمثّل الصّنف الثاني أهل الهدف الذين ينتصرون للمعنى و المضمون، و يرون وجوب الاهتمام بنقل المعنى و إن أدى ذلك إلى التضحية بالشكل، و تفادي الترجمة الحرفية والتزام القواعد النحوية و التركيبية و الأعراف الأسلوبية للغة المستهدفة.

من الجليّ أنّ هذه الثنائيات التي هي مدار نظريات الترجمة قديما و حديثا، قد أنشأتْ مفرداتها انطلاقا من استحضار فعل التلقّي اعتبار استجابة المتلقّي، و من الهاجس الذي يراود الترجمة و المترجم دائما فيما إذا كان النص الناتج عن الترجمة قد ظفر بحظٍّ من التقبّل في اللغة المستهدفة و ثقافتها.

ثمّ إن نظريات الترجمة، والممارسة الترجمية عموما تغرف من جميع الحقول المعرفية من أجل خدمة هذا الانتقال من لغة إلى لغة في جميع أبعاده، ذلك أنّ «فقه اللغة والأدب المقارن و المعجميّة و الإثنوغرافيا و علم الاجتماع، و مستويات اللغة و البلاغة والشعرية و علم النحو، تتضافر كلّها من أجل إضاءة الفعل الترجمي و آليات العلاقة الحيّة بين اللغات.»[1]

تعدّدتْ التقسيمات والتصنيفات لنظريات الترجمة، واختلفتْ من باحثٍ لآخر في تسمياتها وعددها، غير أنّه يمكنُ تقسيمها في المُجْمَلِ إلى ثلاثة أبواب؛ يضمّ الأوّل النظريات التي سبقتْ مرحلة الدراسات اللغوية، وهي نظريات اشتغلت بالنقاش حول إمكانية الترجمة و استحالتها، وكانت تنزع منزعا فلسفيا أو فيلولوجيا أو ميتافيزيقيا أحيانا، أما الثاني فيشملُ النظريات حين اندرجت دراسة الترجمة في سياق المباحث اللغوية، واحتوى الباب الثالث النظريات الهرمينوطيقية التي زاوجتْ بين الترجمة و التأويل.

يجمعُ الدّارسون على أنّ "شيشرون" هو أوّل من تحدّث في الترجمة و حاول التنظير لها من خلال وصف العملية و وضع بعض الشروط، و لعلّه حينما وضع مبدأ عدم الترجمة كلمة بكلمة قد فتح الباب واسعا على نقاش محتدم دار حول الترجمة الحرفية والترجمة الحرّة و استمرّ ردحا من الزمن، و قد وصف بعضَ طرائقه في الترجمة قائلا:«وأنا لمْ أترجمْ بصفتي مترجما بل بصفتي خطيبا؛ أي مراعيا عمق الأفكار والأسلوب الخطابي، و رغم هذا فقد واءمتُ الألفاظ لتتوافقَ مع عاداتِنا، و لمْ يكُنْ من

1 - STEINER, Georges, *Apres babel*, op.cit, p. 226.

الضروريّ أن أترجمَ كلمةً بكلمةٍ بل حافظتُ على الكلمات في مجملها و على قوتها، كما أنني لمْ أرَ من المناسب أن أقدّمَها للقارئ في عدد مماثل، بل في مكانة و قوّة مناسبة.»[1]

لعلّه من الواضح، و بقطع النظر عن الطريقة التي يختارها شيشرون للترجمة، فإنّ يُبدي حرصا شديدا على إرضاء القارئ، و عناية خاصة في أن ينقل إليه المعنى في "قوّة مناسبة"، أي بما يتناسب مع ذوقه و خصائص لغته، و الشاهد في ذلك قوله:" لمْ أرَ من المناسب أن أقدّمَها للقارئ في عدد مماثل، بل في مكانة و قوّة مناسبة"، و ليستْ العبرة عنده بنقل الكلمات و الالتزام بعددها، و إنما بنقل المعنى و المعيار في ذلك هو القارئ أي المتلقّي، و من ثمّ نهتدي من خلال هذه المقولة لا سيما فيما ذيلها ، إلى أنّ التلقّي يمثل عنده قيمة في حدّ ذاتها و أنّ أية ترجمة إنما تنتهي إلى التلقّي، و إنّ شيشرون إذا اختار عدم ترجمة الكلمات و دعا إلى هذا المعيار، فذلك من أجل أن يكون للترجمة وجود في اللغة المستقبلة، و إلا فما جدوى الترجمة إن انتقلت مستغلقة غير مفهومة إلى المتلقّي، و هو إنما انتبذ الترجمة كلمة بكلمة لما فيها من قصور في نقل المعنى و تشويه لصياغته، فهو يُعنى في المقام الأول بالفكرة و يشترط أن تكون مفهومة في اللغة الأخرى و ربّما يقتضي ذلك بعضَ التصرّف بغية الخلوص إلى نقل المعنى واضحا من خلال نص قابل للفهم.

ثمّ يأتي من بعده **القديس جيروم**[2] ***Saint-Jérôme***، و قد تبنّى المبدأ نفسه الذي نادى به شيشرون من قبله، و اختص بترجمة الإنجيل بعهديْه إلى اللاتينية، كما راجع الترجمات التي كانت موجودةً من الأصول الآرامية و العبرية، و قد ترجم بعض الفقرات بطريقة مختلفة عن الترجمات السابقة حتّى اتّهم بالهرطقة و الابتداع، فكتب رسالةً إلى مجلس الشيوخ الروماني يدافعُ فيها عن طريقته في الترجمة، و يردّ على التهمة التي رُمِيَ بها من أنّه قدْ حرّف النصوص و غيّر فيها.

وربّما قدْ جرَّ عليه هذه التهمة أنّه كان يولي عناية قصوى لنقل المعنى، و نتيجة لاهتمامه هذا «كان يغيّر في النص الأصلي متى ما رأى أنّ الأمر يستدعي ذلك، و أنّ النصّ يحتاج إلى شرحٍ و توضيحٍ.»[3]

---

1 - أمبارو أورتادو ألبير *Amparo Hurtado Albir* الترجمة و نظرياتها؛ مدخل إلى علم الترجمة، تر: علي إبراهيم المنوفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 2007، ص 138-139.

2 - **جيروم إيرونيموس**، 347– 420 م، ***Eusebius Sophronius Hieronymus***، كلفه البابا بإنجاز ترجمة للأناجيل من اليونانية والعبرية إلى اللاتينية، و عهد إليه أسقف روما (383 م) بإعداد ترجمة لاتينية رسمية يعتمد عليها، فقام القديس جيروم بترجمة العهد القديم عن العبرية مباشرة والعهد الجديد عن اليونانية ، ودُعيَتْ ترجمته هذه ***La Vulgata*** أى "العامة أو الشعبية" والتي صارت الترجمة المعتمدة للكنيسة الكاثوليكية على مدى عشرة قرون.

3 - BALLARD, Michel : *De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions.* Presses Universitaires de Lille, 1992, p.50.

فما الذي يكون قد دفع القديس جيروم إلى إدخال تغييرات و تعديلات على النص النصّ الأصلي سوى حرصِه على أنْ يفهم المتلقي في اللغة المستهدفة، و ألاّ يصلَ النصُّ بين يديْه غامضا مستغلَقا، و ربّما كان يزيد بعض الشرح و التوضيح من أجل أن يضمنَ عملية التلقّي، فمن الواضح أنّ الفعلُ الترجمي عند جيروم كان محكوما بفاعلية التلقّي.

غير أنّه كان يميّزُ أحيانا بين ترجمة النصوص المقدّسة و ترجمة غيرها من النصوص، فقد كان يرى أنّ ترتيب الكلمات في النصوص المقدّسة يمثل في حد ذاته جزءاً من بنية النص الأساسية، من أجل ذلك كان ربّما حافظ على الكلمات في ترتيبها الأصلي لدى الترجمة، و لكنّه كان يتصرّف في الترجمة بما يخدم نقل المعنى حينما يتعلق الأمر بترجمة غيرها من النصوص العامّة، و قد قال في ذلك: « فأنا لا أوافق عند حدّ الاعتراف فقط، بل أعلنها على الملإ أنّه إذا استثنينا النصوص المقدّسة التي يتضمّنُ ترتيب الكلمات فيها نوعا من الإلغاز، فعند الترجمة عن اليونانيين لا أعبّر عنها كلمة بكلمة، بل أقابل معنى بمعنى.»[1]

و قدْ وجدَ أنّ لغة الترجمةِ اللاتينية القديمةِ مستعصيةٌ على الفهم، فبدا له أنْ ينجزَ ترجمةً شعبيةً تكون ميسورة و سلسةً عُرفتْ بالفولجاتا ***La Vulgata***، وهي كلمة لاتينية معناها "شعبي" أي " الترجمة الشعبية"، و من الجليّ أنّ الدافعَ الذي حدا بالقديس جيروم إلى اختيار هذا النهج الترجمي هو مراعاة فهْمِ المتلقّي و استجابتِه، و حرصُهُ على أنْ يكلّل النص المترجَم بالفهم والقَبُول في لُغة المستقرّ، و أكبر دليل على أنّ هدف الترجمة عند جيروم هو خدمة المتلقّي أنّ هذه الترجمة التي أنجزها للإنجيل " الفولجاتا" قد كان لها دورٌ كبير في انتشار المسيحية في كل البلاد الأوربية و قد تأثّرت بها كل الترجمات في اللغات الأوربية الأخرى.

من أجل ذلك كان يرى، هو و شيشرون من قبله، أنّ هذا المبدأ ركْنٌ ركينٌ أيضا في إثراء اللغة الأمّ عبرَ الترجمة، و ذلك يحتّمُ على المترجم أنْ يصُبَّ جَامَ اهتمامه على المعيار الجمالي للنص الناتج بدل معيار "الأمانة" الذي يتّسمُ – في رأيه - بالجمود.

لقد اختار **مارتن لوثر**[2] ***Martin Luther*** النهج نفسه ، إذْ حذا حَذْوَ شيشرون و جيروم ونادى بما ناديا به من مبادئ في الترجمة، و قدْ أنجز ترجمته الخاصة للكتاب المقدس بلغته المحليّة بدلاً من اللغة اللاتينيّة التي كانت الكنيسة الرومانية لا تسمحُ باستخدام غيرها

1 - أمبارو أورتادو ألبير،الترجمة و نظرياتها؛ مدخل إلى علم الترجمة، سابق، ص 139.

2 - **مارتن لوثر**(1483 - 1546) راهب ألماني وأستاذ اللاهوت، ورائد الإصلاح في أوروبا، باعتراضه على صكوك الغفران، دعا إلى التحرر من سلطة البابا في الحل من "العقاب الزمني للخطيئة"، ممّا أدى به إلى النفي والحرمان الكنسي وإدانته بالهرطقة و الخروج عن القوانين المرعيّة في الإمبراطوريّة.

لقراءة الكتاب المقدس، و قدْ أثَّرَ ذلك بشكل كبير على اللغة و الثقافة الألمانيّة عمومًا، و أثرى مفردات اللغة الألمانيّة، كما طوّر بذلك أيضًا مبادئ الترجمة.[1]

لقدْ ركّزتْ مساهمتُه الجوهرية على مجال الأسلوبية؛ حيثُ إنّ وضوح الفكرة و سهولة الفهم و سلاسة التعبير وحيوية اللغة، كانت هي الملامح الرئيسة في ترجمته للإنجيل، وما زالت إلى يوم الناس هذا تمثّل معيارا للحكم على جودة الكتابة.[2]

و كان لوثر يرى بأنّ الترجمة كلمة بكلمة لا تساعد على إنشاء نصٍّ مفهوم و مطابق للأعراف الجمالية و الأسلوبية للغة المستهدفة، فقد ذكر على سبيل المثال في حديثٍ عن الترجمة من العبرية إلى الألمانية، و لعلّ يعني ترجمة الكتاب المقدّس: «على المترجم، متى ما فهم النص العبري، أن يصبّ اهتمامه على المعنى، ثمّ يُسائلُ نفسه: كيف يعبّر الألمانُ عن وضعية مُماثلة؟ فإذا كانت الألفاظ الألمانية مُقارِبةً لخدمة المعنى فليطرح الألفاظ العبرية و ليعبّرْ عن المعنى بكلّ سلاسةٍ في أجود لغةٍ ألمانية يعرفها»[3]– ترجمتنا –

حتّى إن ترجمة الإنجيل التي أنجزها لوثر من اليونانية و العبرية إلى لغة الخطاب اليومي أصبحت علامة فارقة من علامات الإصلاح الديني، و في ذلك إشارة إلى مكانة الترجمة في تغيير الأفكار و التصوّرات لدى المتلقّين،وفي الفضاء الثقافي و الاجتماعي، لقد غيرت ترجمة لوثر الطبيعة التي يتعامل بها القارئ مع الإنجيل، بل و غيّرت الطريقة التي يقرأ بها العالم المسيحي الإنجيل و يتلقّاه.

و قد انطلق في ترجمته من مبدإ ذي صلة أصلا بالتلقّي ذلك أنه كان يعتقد أن الإنجيل هو كلمة الله الموجّهة إلى كل البشر، و أنّ الله يوجّه خطابه إلى كل من كان قادرا على القراءة، أي إنّه كان يريد توسيع دائرة التلقّي لكلمة الله من خلال الترجمة و أن لا تظل حكرا على الرهبان و الكنيسة، فتخرج بذلك سلطة القراءة و التلقّي من الكنيسة لتشمل كل أفراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم، إذْ في مقابل ذلك كانت الكنيسة تريد أن تجعل من فعل التلقّي مزيةً تكونُ حكرا على رجالها، من أجل ذلك عملتْ على تضييق دائرة التلقّي من خلال الحفاظ على غموض النصّ و استغلاقه و إخفاء وضوحه، بينما جاهد لوثر من أجل أنْ يجعل التلقّي في متناول كلّ أفراد المجتمع.

1- Fahlbusch, Erwin and Bromiley, Geoffrey William. *The Encyclopedia of Christianity*. Grand Rapids, MI: Leiden, Netherlands: Wm. B. Eerdmans; Brill, 1999–2003, V.1:P.244.

2- Delisle Jean. Woodsworth Judith, *Translators Through History*. Benjamins Translation Library 1995, p. 50.

3- Martin Luther, "*Defense of the Translation of the Psalms*," in E.T. Bachmann, ed., Luther's Works. Vol. 35, Philadelphia, 1960, pp.213-214. "***once he understands the Hebrew author, he concentrates on the sense of the text, asking himself, 'Pray tell, what do the Germans say in such a situation?' Once he has the German words to serve the purpose, let him drop the Hebrew words and express the meaning freely in the best German he knows."***

و من بين أمور أخرى كثيرة، فإنه يحدد مبادئ الترجمة الديناميكية، على أساس احترام استخدام لغة الوصول، وحقيقة أن هذا الاستخدام يسهمُ في توليد مصطلحات لمْ تكنْ باديةً في النص الأصلي.[1]

وقدْ شرح المبدأ الذي بنى عليه ترجمته في قوله: « يجب علينا البحث في ذلك، أي العامية، من الأم في المنزل، والأطفال في الشارع، والرجل في السوق، يجب علينا أن نسترشد بلغة هؤلاء، والطريقة التي يتحدثون بها، ثمّ نترجم وفقا لذلك، من أجل أنْ يفهموا و يستشعروا بأننا نحدّثهم بالألمانية.»[2] - ترجمتنا-

و قد أولى لوثر أهمية قصوى للغة المستهدفة – أي لغة التلقي – و ذلك لكي يجعل ترجمته مناسبة للجمهور المتلقّي، فكانت الترجمة عند مسكونة بهاجس التلقّي، و كان هدفه عدمَ لثْنَنَةِ اللغة الألمانية *ne pas latiniser l´allemand* ، بل الكتابة بما يوافق الأعراف الأسلوبية و القواعد التركيبية للغة الألمانية، و قد سجّل من خلال ترجمته للكتاب المقدّس أنّ لغة الوصول هي التي يجبُ أنْ تقود العمل الترجمي و ليس لغة المنطلق، و أنّه يجب السعي لإيجاد توازنٍ بين اللغتين.[3]

و قد كان يرى أنّه في الإمكان تذليل كثير من الصعاب في الترجمة، و تحاشي كثير من الأخطاء إذا استندت الترجمة إلى تأويل بعض المقاطع و الفقرات استنادا إلى الرسالة التي يحملها الكتاب المقدّس ككل، فقد ذكر بأنّ «الإنجيل يفسّر بعضُهُ بعضا، وإنّ الكلمة إذا كانت غامضةً مستَغلَقةً في موضعٍ، فإنها تكون واضحة ميسورة المعنى في موضعٍ آخر.»[4] - ترجمتنا-

إنّ نزعته هذه في الترجمة قد أثارتْ حفيظة الكنيسة فرأتْ في ذلك امتهانا لقداسة النص، و أحسّتْ أنّ عرشها قد بدأ يتزعزع من تحتها، فرَمَتْه بتهمة الهرطقة و الابتداع، فكتب لوثر رسالته الشهيرة سنة 1530، وهي رسالة رسمية يشرحُ فيها و يبرّر طريقته في الترجمة فيما يشبه وضع الأسس الكبرى لمنهجيته، و يردّ على النقد الذي صبّه

1 - BALLARD, Michel : De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions. op.cit, p.142

2 - LUTHER, Martin,, *"An Open Letter on Translating:"* trans: Howard Jones, ***(Ein Sendbrief vom Dolmetschen)*** Oxford, 2017, p.195. ***"we must inquire about this (i.e. the vernacular) of the mother in the home, the children on the street, the common man in the marketplace. We must be guided by their language, the way they speak, and do our translating accordingly. That way they will understand it and recognize that we are speaking German to them".***

3 - BALLARD, Michel, *De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions. op.cit.p.140.*

4 - LUTHER Martin, *"The Bondage of the Will," Erasmus-Luther: Discourse on Free Will,* trans. and ed. Ernst F. Winter 17, New York, Continuum, 2002, p.104. -***"Scripture is its own interpreter, and if the words are obscure in one place, yet they are clear in another."***

المناوئون على استعماله اَللغة الألمانيةَ العامية؛ و في مقطعٍ منها رصينٍ يُلفِتُ إلى أنَّ ترجمته لا تُسهمُ في نشرِ الإنجيلِ فحسب، و إنما هي أيضاً أداةٌ لتعليم عامّة الشعب و النّبلاء لغةً ألمانيةً جميلةً.

و منْ أهمّ ما وردَ في هذه الرسالة ممّا له صلةٌ بمسألة التلقّي حديثه عن القرّاء بشكلٍ عام، سواء تلاميذه و رجال الكنيسة و المتلقّي الألماني، إذ يقول: « ومع ذلك، فمن الواضح أنهم إنّما تعلموا التحدُّث والكتابة باللغة الألمانية بفضل ترجمتنا، لقد سرقوا لغتي الخاصّة، وهي لغة لم يكن لديهم سابقُ معرفة بها، إنهم لا يشكروننني على ذلك ، بل على النقيض من ذلك تراهم يستخدمونه ضدي، ومع ذلك، فأنا على استعداد لأنْ أمنحهم أكثر، لأنه يسعدني أن أعرف أنني قد علّمت تلاميذي الجاحدين، وأعدائي أيضا كيف يتكلّمون.» [1]- ترجمتنا –

و من هذا المنطلق كان لوثر يرفضُ أنْ يكون رهينَ نظامٍ يقدّس النص الأصلي ويوليه العناية الأولى و الأهمية القصوى، ممّا قدْ يُفضي إلى ترجمةٍ مثقلةٍ بالمحاكيات، قد تكون أمينة و لكنّها غير مفهومة و ليست جميلة، فالترجمة عند لوثر تلتزم بأفكار لغة الإنجيل الأصلية و أساليبها، و لكنّها في آنٍ معاً تحرص على الانسجام مع عبقرية لغة الوصول، بل قد يذهبُ إلى حدّ ابتداع لغة التلقّي لأنّ الألمان لم يتحدّثوا بعد لوثر الألمانيةَ نفسَها التي كانوا يتحدّثونها قبله، أي قبلَ ما أحدثتْهُ ترجمتُه للإنجيل من نقلة نوعية في صياغة لغة ألمانية جديدة، فقواعد اللغة الألمانية مَدينة لجهود لوثر الترجمية.

و لقدْ كان ردّه على الكنيسة التي اتهمتْه بالهرطقة قائما على الدّفاع عن أسلوبه في الترجمة، و تأكيد دوره الإصلاحي عبرها، ممّا يوحي بالدور الخطير الذي نهضت به ترجمة الإنجيل مع لوثر في تغيير منظومة التلقّي و زعزعة كثير من المسلّمات والقناعات، و إعادة ترتيب علاقة المتلقّي بكتابه المقدّس، فضلاً عن أنها « قد وضعت تلك الترجمة الأساس لميلاد اللغة الألمانية الحديثة في رأي جمهور علماء اللغة.» [2]

1 - LUTHER, Martin, *Epître sur l'art de traduire. Œuvres complètes,* t. VI. Genève, Labor et Fides, 1964, p. 195 – ***«Il est néanmoins évident qu'ils ont appris à parler et à écrire en allemand à partir de ma traduction allemande, et ils me volent mon propre langage, un langage dont ils avaient peu connaissance avant cela. Ils ne m'en remercient pas, et, au contraire, s'en servent contre moi. Toutefois, je suis prêt à le leur accorder, tant il m'amuse de savoir que j'ai appris à mes élèves ingrats, même mes ennemis, comment parler. »***

2 - محمد أحمد منصور، الترجمة بين النظرية و التطبيق ؛ مبادئ و نصوص، دار الكمال للطباعة و النشر، القاهرة، ط 2 ، 2006، ص 23.

لقد كان لوثر يرى أنّ « النصّ مَلِكٌ، أما الترجمة فليستْ سوى خادمةٍ مطيعةٍ و وفيّةٍ، قدْ نذرتْ نفسها لخدمة سيّدها، غير أنّ هذه الخادمةَ متمسّكةٌ بأنْ تتحدّثَ بلُغتها.»[1]

و إذا كان المتلقّي يكابد بعض الغموض و العسر في فهم الكتاب المقدّس، فإن ذلك في رأيه راجع إلى استغلاق بعض المفاهيم و التواء بعض التراكيب، و ليس إلى الطبيعة الروحية للكتاب، في إشارة منه تشبه الردّ على خصومه الذين تشبثوا بالتفسير الرّوحي استنادا إلى رسالة بولس الرّسول الثانية إلى كورنثوس في قوله: « لأَنَّ الحَرْفَ يقْتُلُ ولكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي.»[2] *"The letter kills, but the Spirit gives life"*.

ثمّ ظهرتْ تجربة ترجمية شبيهة على يد **ويليام تندال**[3] ***William Tyndale*** الذي شرع عام 1522 في ترجمة العهد الجديد إلى الإنجليزية من النص اليوناني، متأثرا بمارتن لوثر، ثمّ طبعَ ترجمته في 1525، وكانت تلك أول ترجمة للعهد الجديد إلى اللغة الإنجليزية، لكنّ الكنيسة قد حظرت هذه الترجمة في إنجلترا لأنها كانت متأثّرة بالروح البروتستانتية، غير أنّ ***تندال*** واصل ترجمة العهد الجديد إلى أن أُوقفَ سنة 1535، ثمّ لقي مصيره المأساوي بالشنق و الحرق على يد الكنيسة بسبب الترجمة التي أنجزها للكتاب المقدّس، غير أنّ ذلك لم يمنع من أن تصبح ترجمتُه أرضية و خلفية مهمّة للمترجمين الذين جاؤوا من بعده، إذ قد أفادوا منها إلى أن انتهت الترجمات جميعها إلى ما يُعرَفُ بنسخة "الملك جيمس" التي تبنتها الكنيسة الإنجليزية، وأصبحت النسخة الرّسمية المعتمدة.

وقد عُدّتِ الترجمة إنجازا بالغا في الأدب الإنجليزي، من حيث الجمال والوثوقية على حد سواء، كما أنّ الأدب الإنجليزي يدينُ في جانب كبير منه إلى ترجمة الكتاب المقدّس إلى اللغة الإنجليزية؛ فمنذ أنْ ترجم الإنجيل إلى الإنجليزية ترجمة بليغة، ظهر فضله العظيم على اللغة وعلى أدبها، إذْ أقام قواعدها ووضح أساليبها، ولم يزل مثلاً للسلاسة والإمتاع.

و يرى أحد أساتذة الأدب الإنجليزي في جامعة مانشستر أنّ ترجمة *تندال* موسومة بالرغبة و القصدية بأن تكون أدبية و فنيّة بما يسمح بإنتاج نصّ مقروء و مفهوم و أنيق، كما أنّه لاحظ وجود بعض ملامح الأسلوب العِبْري بقدر تُجيزه اللغة الإنجليزية، و لذلك

1- MARGOT, Jean-Claude, *Traduire sans trahir, La théorie de la traduction et son application aux textes bibliques*, L'Age d'homme, Lausanne, 1990, p.15

2 - رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، الأصحاح الثالث: الآية 6 – **المصدر:** موقع الأنبا تكلا هيمانوت - الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر https://st-takla.org

3 - **وليام تيندال أو تايندال**(1494 - 1538) باحث ومصلح إنكليزي بروتستانتي في القرن السادس عشر، يعد أول من وضع ترجمة إنجليزية مستمدة من النصوص اليونانية والعبرية للإنجيل، اعتُقِل عام 1535 و سُجن في قلعة فيلفوورد خارج بروكسل لأكثر من سنة، ثمّ حوكمَ بتهمة الهرطقة والخيانة فحُكِم عليه بالموت شنقا و بالحرق.

فهو يحدّد مفهوم الأدبية في ترجمات تندال بأنّ الهاجس الأكبر في الترجمة عند تندال هو بلوغ التمام ***fullness*** ، و نقل بعض الشّيات و السّمات من التعبير العبري و اليوناني إلى اللغة الإنجليزية.[1]

وللأدب الإنجليزي مصدران رئيسان؛ الأول هو الحضارة اليونانية الرومانية، والثاني هو الكتاب المقدس، فقد ألهمت ترجماتُ الكتابِ المقدسِ الكُتّابَ بما ينطوي عليه من قصص ورموز دينية و صيغ بليغة و صورٍ بديعة، ومن المعروف أن الترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس التي صدرت عام 1611 برعاية الملك جيمس الأول قد تركت أثراً بيّناً في الأدب الإنكليزي، فقد كان لترجمة الكتاب المقدّس دورٌ رائدٌ في تاريخ الترجمة عموما وفي وضع مبادئها الأساسية، إذْ نزعت إلى التأقلم مع مقتضيات التلقّي و تلبية الذوق العام لدى القارئ، و « قد وضعتْ ترجمة لوثر للكتاب المقدّس الأساس للألمانية الحديثة، كما كانت لترجمة الملك جيمس أثرها في اللغة الإنجليزية و أدبها.»[2]

و يمكن القول إنّ هذه النزعة التي قامت عليها الترجمة في ميلها إلى خدمة لغة الوصول قد دفعتْ بالكنيسة أحيانا إلى التخلي عن حرصها على الصّرامة الحرفية بتأثيرٍ من رغبتها في نشر المسيحية إذْ «غيّرت موقفها لصالح ترجمةٍ يُراعى فيها الوضوح والأناقة و المقروئية.»[3]

إنّ قوّة الترجمة، و جبروتَها و قدرتَها على توجيه عملية التلقّي هي التي دفعتْ إلى التساؤل: «أنّى لرجلٍ أن يعرّض نفسه للحكم بالإعدام أو الحرق لمجرّد أنّه قد ترجم النصّ المقدس وكلمة الله إلى لغةٍ يفهمها بنو البشر وهم خلق الله المعنيون بخطابه وكلمته»[4]، أي إنّه وسّع من دائرة التلقّي، و جعل "كلمة الله" في متناول كلّ البشر و ليس حكرا على الكنيسة و الكهنوت.

إنّ هذه التجارب الترجمية، سواء تعلّق الأمر بشيشرون أو سان جيروم أو مارتن لوثر أو تندال أو غيرهم، تشترك في ملامح أساسية؛ يتجلّى الملمح الأوّل في أنّها قدْ افتكّت احتكار سلطة النصّ و سلطة التلقّي من رجال الكهنوت و جعلتْه ميسورا لكلّ أصناف القرّاء من عامة الشعب، و يتجلّى الثاني في أنّها قدْ أغْنَتْ لغة الوصول و أثْرتها و كانت

1 - Gerald C. Hammond, *The Making of the English Bible*, 1st ed. Manchester, UK, Carcanet Press, 1982, p. 21.

2 - بيتر نيومارك، اتجاهات في الترجمة؛ جوانب من نظرية الترجمة، تر: محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.13.

3 -Ines Oseki-Dépré, *Théories et pratiques de la traduction littéraire*, Armand Colin, Paris, 1999, p23.

4 - David Daniell, *The Bible in English: Its History and Influence*, 1st ed. New Haven, Yale University Press, 2003, p. 136.

من أسباب تطوّرها، و أمّا الثالث، فلأنها كانت تنتصرُ للغة الوصول في أساليبها وقواعدها و قيمها الجمالية، و تسعى لإرضاء ذوق المتلقّي في أناقة العبارة و وضوح المعنى، وموافقة الأعراف الأسلوبية للغة الوصول.

و هذه الملامح الثلاثة مجتمعةً، تعكسُ بحقّ عمقَ ارتباط الترجمة بالتلقّي، و هي وإن كانتْ ذات صلة بالكتاب المقدّس و ترجمة النصّ الديني، و لكنّها تصلح أنْ تقوم معيارا عاما و قاعدة مطّردة في الفعل الترجمي على عمومه، وإنْ يكنْ من الصّعب الوقوف على معايير الترجمة التي تبنّاها هؤلاء من حيث هي قواعد و تعريفات، و لكنّ أدبياتهم وملاحظاتهم تعجّ بمفاهيم و توصيفات استعملها المترجمون لبيان أساليبهم في الترجمة؛ كحديثهم عن الوضوح و يسر الفهم و أناقة التعبير والذوق الرّفيع والحس اللغوي، والمقروئية...

و لعلّ في ذلك كلّه إيحاءً صريحا و شاهدا على أولوية التلقّي في توجيه عمل المترجم، و « لقد كان منْ عادة مترجمي هذه الموجة، خدمةً للمتلقي في لغة الوصول، أنْ يتوسّع في المعنى، أو يحذف و يُغفلُ وفقا لذوقه أو وفقا لما كان يَفْتَرِضُ أنّه ذوق القارئ.»[1]

و من أجل ذلك فقد كانت مقتضيات التلقّي قائمة عند *تندال* في ترجمته للكتاب المقدّس على ثلاث ركائز؛ الدقّة و الوضوح و الأناقة، حتّى لقد كان يدفعُه معيار الدقّة مثلا، إذا لم يجد الكلمة المكافئة في لغة الوصول، أنْ يختلقَ كلمة من عنده لأداء المعنى، كما كان حريصا على تحقيق معيار الوضوح و ملتزما به إلى درجة أنْ جعل هدفه من الترجمة أن يكون الإنجيل مفهوما حتى لدى الفلاحين و الحرفيّين، و كان يرى أنّ مهمّته القصوى في الترجمة أنْ يجعل "كلمة الله" ميسّرةً للعوام في لغتهم الأم.

أما الملمح الثالث الذي التزمه و اصطبغتْ به ترجمته فهو جمال الأسلوب و أناقة التعبير، فقد كان يختار الألفاظ و التعبيرات التي، و إنْ كانت وفيّة للأصل، إلاّ أنّها على قدر كبير من الحس البياني و الجمال الأسلوبي، حتى قيل عنه « إنّه أعظم كاتب نثرٍ في عصره»[2] و إنّه « لولا **تندال** لما كان **شكسبير**.»[3]

1 - Gerald, Hammond, *The Making of the English Bible,* op.cit, p. 30.

2 - David Daniell, *The Bible in English: Its History and Influence,* op.cit.p.141: ***"Tyndale was the best prose writer of his age."***

3 - C. S. Lewis, **(Clive Staples Lewis)** *The Literary Impact of the Authorized Version,* 1st ed. London, The Athlone Press, 1950, p. 10: ***"without Tyndale, no Shakespeare."***

إنّ المصير المأساوي الذي لقِيَهُ *ويليام تندال* بسبب ترجمته للإنجيل يحيلُ على مأساة أخرى مُنِيَ بها الفيلولوجي والكاتب و المترجم الفرنسي **إيتيان دوليه**[1] ***Etienne Dolet***، الذي عُرف بأنّه واضع أوّل مدوّنة رسمية في فرنسا غداةَ عصر التنوير حول السبيل المثلى للترجمة، و كان أوّل من صاغ لفظتيْ « ***traducteur*** » و« ***traduction*** » في اللغة الفرنسية عام 1540.

سُجنَ *دوليه* أكثر من مرّة في تهمة الإلحاد، و لكنْ في صيف سنة 1546 اتّهمتْه كلية اللاهوت في جامعة الصوربون بالإلحاد و الهرطقة، و كان دليلُ التهمة بعضُ كلمات أضافها المترجم لدى ترجمته لإحدى محاورات أفلاطون، و بعد مداولة قصيرة كانت تلك الكلمات المُضافة كافية لإثبات التهمة، والحكم على إيتيان دوليه بالموت شنقا و الحَرْق.

إنّ النهاية المفجعة التي انتهى إليها الرّجلان؛ ويليام تندال و إيتيان دوليه بسبب ترجمتهما لنصوص دينية و نصوص ذات حساسية، لتعكسُ بوضوحٍ مدى السلطة التي تتمتّع بها الترجمة بما تملكه من قدرة على توجيه فعل التلقّي، كما تعكس قوّة الكلمة حينما تكون في متناول عامّة الشعب، و في ذلك أيضا برهان جليّ على أن من المترجمين من دفع حياته ثمنا من أجل خدمة المتلقّي، أي لأنّه جعل المتلقّي هدفه الأوّل، بل قد ساهمت الترجمة إلى حدّ بعيدٍ آنذاك، ليس في نشر قيم الحريّة و العدالة و المساواة، و إنّما في صياغة شكل المجتمع برمّته.

وأما فيما يتّصل بالتنظير للترجمة، فقد وضعَ دوليه في مخطوطة طُبعتْ من بعده عنوانها " ***La manière de bien traduire d'une langue en autre***، السبيل إلى ترجمة جيّدة من لغة إلى أخرى" خمسة معايير يجب أنْ يتقيّد بها المترجمُ لكي تكون ترجمته سليمة ومقبولة لدى المتلقّي في اللغة المستهدفة:[2]

الأوّلُ، أنّ على المترجم أن يعيَ بعمقٍ و يدرك تمام الإدراك المعنى الأصلي الذي يريدُه المؤلف، على أنْ يجعل لنفسه فسحةً لشرح ما استغلق من المعاني، و الثاني أنْ يكون المترجم ذا مُكنة في اللغتيْن موضوع الترجمة و على درجة من الإحاطة و الإلمام بهما وأنْ لا يمتهن فخامة أيٍّ منهما، و أمّا الثالثُ فيقوم على وجوب تحاشي الترجمة الحرفية من أجل السلامة من ركاكة التعبير و تهلهل الأسلوب، و الرّابع أنّ على المترجم أنْ يتحاشى الصيغ غير المألوفة، وإذا كان ينقلُ من لغة راقية و على درجة كبيرة من

1 - إتيان دوليه (1509 - 1546) عالم إنسانيات ومترجم وكاتب و ورّاق فرنسي، كان شخصية مثيرة للجدل طوال حياته، بدءاً من هجماته المبكرة على محاكم التفتيش و مجلس المدينة والسلطات الأخرى في تولوز، و أثارت منشوراته اللاحقة في اللاهوت حنق محكمة التفتيش الفرنسية فراحت تراقب أنشطته عن كثب، ثمّ أُدين و سجن عدة مرات ، إلى أن أدين في نهاية المطاف بالبدعة و الهرطقة فحُكم عليه بالموت شنقا، و أُحرق مع كتبه.

2 - DOLET, Etienne, *la manière de bien traduire d'une langue en une autre*, Paris, 1950, pp. 6 – 19.***(القواعد الخمس التي حدّدها إتيان دوليه منقولة بتصرّف،مع تلخيصها وترجمتها)***

البلاغة إلى لغة أخرى أدنى منها، أنْ يعمل على إثراء الثانية و تطويرها عبر الترجمة، وأمّا الخامس، و لعلّه أقرب إلى الترجمة الشفوية لا سيما في ميدان الخطابة، أنْ يضمن الانسجام والتنسيق بين الأقوال في أناقة و بلاغة بحيث لا تسعدُ بها الروح فحسب ، بل تسرُّ الآذان أيضا، من أجل تحقيق الأثر نفسه لدى المتلقّي في لغة الوصول.

إنّ هذه القواعد التي سنّها دوليه في بواكير التنظير للترجمة و إن كانت تراعي مضامين النصّ الأصلي و تقتضي استيعاب المعنى في لغة المنطلق، إلاّ أنّها تلحّ في مجموعها على ضرورة مراعاة القيم التعبيرية و الأسلوبية و الجمالية لغة الوصول، وتولي أهمية بالغة لذوق المتلقّي، ممّا يعكس مكانة التلقّي من حيث هو قيمة أساسية و معطى مركزي في أيّ فعل ترجمي، و في الوقت الذي تُلفتُ فيه إلى أهمية فهم النصّ الأصلي، ترى أن «الترجمة تقتضي حدساً في و ملكة في تقييم المحتوى الثقافي للنصّ و وعياً بالوضعية التي سيكون عليها النصّ المترجم في فضاء اللغة المنقول إليها.»[1]

من الجليّ أن الفرنسيين في هذه الفترة كانوا مولعين بتطويع الآداب القديمة لتناسب لغة عصرهم، و كان الاتّجاه المفضّل لديهم في الترجمة تكييف النصوص المنقولة وإخضاعهم للمعايير الأسلوبية و الجمالية للعصر، أي الترجمات الأنيقة التي لا تنتهك جمال اللغة الفرنسية.

تجدرُ الإشارة أيضا إلى أنّ الفرنسيين قد ترجموا في هذه الحقبة أعمالا كثيرة تندّ عن الحصر، ومن الترجمات التي تسترعي انتباه الباحث العربي، ترجمة حكايات " ألف ليلة وليلة" الشهيرة إلى الفرنسية وهي الترجمة التي أنجزها المستشرق الفرنسي ***أنطوان غالان*** ***Antoine Galland*** *(1646-1715)* ، حيث سعى فيها إلى تكييف الحكايات بما يوافق أعراف الكنيسة، و ذلك بحذف و استبعاد مشاهد الفظاظة و الإثارة الجنسية.[2]

كما استلهم أسلوبَ *دوليه* كثيرٌ من المترجمين الذين جاؤوا من بعده في أوربا كلّها ممّن لا يتّسع المقام لذكرهم جميعا من أمثال ***جورج شابمان*** ***George Chapman*** *(1559–1634)* الإنجليزي و هو من أشهر مترجمي هوميروس، « يَذكرُ في إهدائه في أحد أهم أعماله معيار الترجمة الجيدة قائلا: ينبغي على المترجم أن يتأمّل الجمل و النماذج والأشكال التي يقترحها المؤلّف، و كذا المعنى العميق للأسلوب الجميل، ثمّ ينمّقها ويرصّعها لتنسجم مع النماذج و الصور البيانية في لغة الوصول.»[3]

1 - BASSNETT, Susan : *Translation studies*, Routledge, London / New York, 1992, p 80.
2 - GUTU, Ana, *theorie et pratique de la traduction*, support didactique à l'intention des étudiants en filière traduction cycle licence, université libre internationale de moldova faculté langues étrangères département philologie française. 2007. p 11.
3 - BASSNETT, Susan : *Translation studies*, op.cit. p.81.

و من أولئك المترجمين أيضا الرّوائي و المؤرّخ و رجل الدّين الفرنسي ***أنطوان بريفوست*** ***Antoine Prévost*** *(1697 – 1763)*، الذي كتب في مقدمة ترجمته لرواية ***Pamela*** [1] قائلا:« حذفتُ بعض العادات الإنجليزية التي قد تصدمُ الأمم الأخرى، أوجعلْتها مطابقة للأعراف و العادات السائدة في سائر البلاد الأوروبية... و حذفتُ بعض الأوصاف المبالَغ فيها، و بعض المحاورات غير المجدية.»[2]

فكان من النتائج الحتمية لمثل هذا التوجّه أن تقوم الترجمة على تحوير الأعمال الأصلية و إدخال كثير من التعديلات عليها، و اتّسمتْ بالسعي الحثيث لإرضاء المتلقّي، فكأنّما غاية الترجمة القصوى و هدفها الأسمى الاستجابة لذوق المتلقّي و ذوق العصر، وإثراء لغة الوصول و تطويرها.

و قدْ كان ***نيكولا بيرو دابلانكور*** [3] ***Nicolas Perrot d´Ablancourt*** زعيم هذا الاتّجاه، ورائدا في طريقة الترجمة التي دُعيتْ فيما بعد ***les belles infidèles*** ، و قدْ تُرجمت إلى العربية بعبارات كثيرة منها: *"الحسان الخائنات"*،و قدْ عبّر عن طريقته في الترجمة في مقدمات بعض أعماله بقوله: « لا أسعى دائما لإعادة إنتاج ألفاظ المؤلّف و لا أفكاره، لكنّ هدفي هو إدراك نفس الأثر الذي كان يريده المؤلف، و من ثمّ تكييفه وفق ذوق العصر.» [4] - ترجمتنا –

لمْ يكنْ يتورّع قطّ من التغيير و التبديل في مكوّنات النص الأصلي ليستجيب إلى رغبته في عصرنة اللغة، و إضفاء الأناقة الأسلوبية على ترجماته بما يحقق الانسجام وموافقة الذوق الذي تأسست عليه اللغة الفرنسية، و في 1654 نظر الكاتب و النحوي والمؤرّخ الفرنسي ***جيل مِناج*** ***Gilles Ménage*** في ترجمات نيكولا بيرو، فذكر بأنّ تلك الترجمات تذكّره بامرأة كان يحبّها، لقد كانت جميلة و لكنّها لمْ تكن وفية.

ثمّ اغتدتْ هذه العبارة "الحسان الخائنات" متداولة في الأدبيات الترجمة و النقد والأدب لترمز إلى اتجاه و مذهب في الترجمة يقوم على العناية القصوى بفعل التلقّي، و الحرص على أن يكون النصّ الناتج في اللغة المستقبِلة كأجمل و أجود ما يكون التعبير، ثمّ

1- رواية ***Pamela, or Virtue rewarded*** *Pamela, ou la vertu récompensée*، كتبها **صامويل ريتشاردسن** عام 1740.

2 - BASSNETT, Susan : *Translation studies,* op.cit. p.39. ***« J´ai supprimé certains coutumes anglais qui pourraient choquer d´autres nations, ou je les ai fait conformes aux us et coutumes prévalant dans le reste de l´Europe. »***

3 - ***Nicolas Perrot d'Ablancourt*** (1606 – 1664)، مترجمُ فرنسي، بوحي من طريقته في الترجمة نشأت العبارة الشهيرة: *« les belles infidèles*

4 - BALLARD, Michel, *De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions.* op.cit.p.61. ***« Je ne cherche pas toujours à reproduire les mots de l´auteur, ni ses pensées. Mon objectif est d´obtenir le même effet que l´auteur avait en esprit et donc adapter l´effet selon le goût de notre temps. »***

إنّ هذه العبارة في حدّ ذاتها كناية عن أنّ الأمانة و الوفاء للنصّ الأصلي، و جمال التعبير و أناقته و تلبية ذوق المتلقّي أمران لا يمكنُ أنْ يجتمعا، و تعكس من جهة أخرى نظرية في الترجمة ترى بأنّ ما يعوّل عليه في الترجمة هو المتلقّي و لغة الوصول و إنْ دعا ذلك إلى التبديل و التغيير.

لقدْ كتبَ ***فان هوف*** ***Van Hoof*** أنّ *نيكولا بيرو* كان رائد الترجمة الحرّة، أي الترجمة الأنيقة و غير الدقيقة، و بدعوى تحسين الأصل قد منح نفسه حقّ التصرّف، منْ مثل ما ورد في بعض مقدّماته: «هذا الكاتبُ يكثرُ من التكرار في غير ما جدوى، تكرار تمجّه لغتي و ينوء به أسلوبي»[1]

و على المترجم وفق هذه النظرية أن ينتج نصّا مقبولا و مألوفا لدى القارئ في عصره، ذلك أنّ « ذوق الجمهور المتلقّي هو الذي يوجّه خيارات المترجم و قراراته الترجمية»[2]، و قدْ ذكر الشاعر و المترجم الفرنسي ***جاك دو ليل*** ***Jacques Delille*** مثل ذلك حين كتب في مقدمة ترجمته لعمل فرجيل***"جيورجيكون"*** أو" العمل في الأرض"، قال:« لقدْ نظرْتُ دوما إلى الترجمة على أنها سبيل لإثراء اللغة الهدف.»[3]

ثمّة في الواقع أدلّة كثيرة في تاريخ الترجمة في فرنسا الكلاسيكية، تثبتُ أنّ الفرنسيين إنّما بدأوا يتذوّقون الآداب و يثمّنونها بفضل المترجمين و الترجمة، كما كانت الترجمة أفضل مدرسة للكتاب المبدعين و خير معين لتعلّم الكتابة الفنيّة.

بعد أنْ عرض إدمون كاري لأهمّ المترجمين الفرنسيين، و ذكر منهم *إتيان دوليه* و*جاك آميوت* ***Jacques Amyot*** و غيرهما، و انتهى إلى قناعة مفادها أنّهم كانوا يترجمون بوصفهم مبدعين في اللغة الفرنسية و يتملّكهم هاجس أنْ ينالوا إعجاب جمهور عصره، إذ يوردُ حكما في قوله: « و سواء أراقَ ذلك له أم لم يرُقْ، فإنّ المترجم كان تحت ضغط [ذائقة] مجتمعِه.»[4]

و لنْ نغادر الحديث عن نظرية الترجمة في الكلاسيكيات الفرنسية قبل أنْ نشير إلى ***فرانسوا دو ماليرب*** ***François de Malherbe*** *(1555 – 1628)* الشاعر الفرنسي الذي ساهم في إصلاح اللغة الفرنسية و تجويدها من خلال الترجمة، فعمل على إنتاج لغة ميسورة وواضحة خالية من الألفاظ الحوشية و المقترَضة، و كان ذلك آنئذٍ ديدنَ المترجمين.

---

1 - VAN HOOF, Henri : *Histoire de la traduction en Occident. France, Grande-Bretagne, Allemagne, Russie, Pays-Bas.* Éditions Duculot, Paris, 1991. p. 49. ***« cet auteur est sujet à des répétitions fréquentes et inutiles, que ma langue ni mon style ne peuvent souffrir ».***

2 - BASSNETT, Susan : *Translation studies.*op.cit. p.35.

3 - ibid, p. 37.

4 - CARY, Edmond : *Les grands traducteurs français*. Librairie de l´Université Georg & Cie, Genève, 1963. P.34.

وضعَ *ماليرْب* بدوره جُملة من القواعد في الترجمة تنزعُ في مجموعها، لدى التأمّل، إلى خدمة اللغة المستهدفة و ذوق المتلقّي؛ فقد عالج أوّلا إشكالية التأويل في الترجمة وركذز على الحق في التغيير و التعديل إذا كان الأصل اللاتيني يبدو هجينا و مستغلقا أويتنافر مع جمالية اللغة الفرنسية، و كان يرى أنّ الترجمة هي إعادة كتابة ***réécriture*** ، من أجل ذلك كان يعمدُ أحيانا إلى إضافة أشياء لإزالة غموض قد يُرهق فهم المتلقّي، فكان أسلوبه في "إعادة الكتابة" مبنيّا أساسا على الوصول إلى نيل إعجاب الجمهور المتلقّي، حتى وصل الأمر إلى ظهور موجة في الترجمة عُرفت بموجة " الذوق الرفيع" ***« bon goût »*** ميّزت الأعمال الترجمية الفرنسية لفترة من الزمن و قامتْ على تكييف النصوص القديمة بما يتواءم و الحِسّ اللغوي و الفني و الثقافي للعصر.

و قد لخّص *ميشال بايار*[1] قواعد *مالِيرْب* التي يذكر أنّه اقتبسها من مصنّفٍ للأسقف والأديب الفرنسي ***أونطوان غودو***[2] ***Antoine Godeau*** *(1605 – 1672)* في النقاط التالية:

- ليستْ الترجمة فنّا أقلّ قيمة من الإبداع.
- تعدّ الترجمة أم الآداب.
- قد تكون الترجمة مضاهية للأصل.
- تعكس الترجمة (في ذلك العصر) حالة من الوعي الذي راج بين مترجمي العصر في السماح لأنفسهم بإدخال شتى أنواع التحسين الأسلوبي على الأصل.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى ما كتبه الفيلسوف و النحوي الفرنسي ***دي مارسيه*** ***César Chesneau Du Marsais*** *(1676-1765)* ذات مرّة أنّ «على المترجم أنْ يتمسّك بالمعاني لا بالألفاظ، و أنْ يتكلّم تماما كما كان منَ المفترَضِ أنْ يتكلّم المؤلف نفسُه لو أنّ اللغة المنقول إليها كانت هي لغتَه الأم»[3]، و هو المعنى الذي يورده الناقد و المؤرخ والمترجم الفرنسي ***دي فونتان*** *(1685-1745)* في مقدّمة لأحد أهم أعماله الترجمية، فيما يشبه الاعتراف بأنّه في أثناء ترجمته، قد وقف على « عبارات لو أنّها تُرجمتْ حرفيا إلى الفرنسية لبدتْ غير لائقة وفي حالٍ يُرثى لها، و لشذّتْ عن الذوق السليم الذي كان سائدا في فرنسا... لقد حذفتُها بالكليّة.»[4]

1 - BALLARD, Michel, *De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions.* op.cit.p.80.

2 - *Discours sur les œuvres de M. Malherbe*, réalisé en 1630 par **Antoine Godeau.**

3 - Marie VARINAT-NIKOLOV , *Miroir de l'altérité : la traduction,* Grenoble : ELLUG, 2006, p.100 : ***« On doit s'attacher à la pensée et non à la lettre, et parler comme l'auteur lui-meme aurait parlé si la langue dans laquelle on le traduit avait été sa langue naturelle. »***

4 - Pierre-François Guyot Desfontaines, Preface du traducteur aux *Voyages de Gulliver,* Paris, 1728, chez la Veuve Damonville, p.XIII. ***« Des choses qui rendues littéralement en***

إنّ فحوى قيام الترجمة على فاعلية التلقّي هي جوهر الفعل الترجمي، و هي ميّزةٌ قد لازمت نظرية الترجمة و ممارستها على اختلاف الأعصر، و بعيدا عن جدلية الأمانة والخيانة التي لطالما أقضّت مضاجع كبار المنظّرين، فإنّ المترجم قد يلجأ في أحيان كثيرة، وفق كثير من النظريات إلى التغيير و التعديل و الإضافة إذا ضمن بذلك مزيدا من الأناقة و الوضوح في النص الناتج، فالهدف في نهاية المطاف أن يكون النص مقروءا في زمن معيّن و لدى قارئ معيّن.

و لا تبتعد الترجمة من هذه الناحية عن الإبداع من حيث المبدأ، كما تدور روح التلقّي من حيث هي محدّد رئيس على تصوّر يتردّد كثيرا في الأوساط الترجمية، و هو محاولة الوصول إلى تأكيد أنّ الترجمة هي جعل المؤلّف الأصلي يتحدّث لغة الوصول، الإجابة على السؤال: كيف تعبّر لغة الوصول عن المعنى الوارد إليها من لغة أخرى لو تُركتْ لحالها دونما ضغط أو توجيه من النص الأصلي؟

و قد يكون منشأ ذلك من الحتمية الرّاسخة في ميدان الترجمة منْ أنّه من المحال أنْ تكون الترجمة كالأصل، ذلك انّ ليس ثمّة تطابق تام بين اللغات، لأنّ لكلّ لغة عبقريتها و أنظمتها و قيمها الجمالية و إن اشتركت في بعض الجوانب قليلا أو كثيرا، فما يقالُ في لغة قد لا يكون بالضّرورة قابلا لأنْ يُقال في لغة أخرى.

ولعلّ من أجمل الإشارات في هذا السياق الصّورة البليغة التي يقدّمها ***تيتلر***[1] ***Tytler*** حين يشبّه المترجم بالرّسام الذي لا يستطيع أنْ يقلّد الألوان نفسها للعمل الأصلي، و لكنّه مع ذلك مجبرٌ على أن يهبَ للوحته القوّة نفسها، و القدرة على إحداث الأثر نفسه، و ما دام ذلك كذلك فليس أمام المترجم سوى أن يحترم تلك الفوارق بين اللغات، و أن يسعى جهده للحفاظ على أقرب مسافة من النصّ الأصلي على أن لا ينتهك أعراف اللغة المستهدفة.[2]

و حين يعرّف تيتلر الترجمة الجيّدة و الناجحة يصفها بناءً على طبيعة التلقّي، فهو يرى بأنها « الترجمة التي تتجلّى فيها قيمة العمل الأصلي نفسها، لتكون مضاهية له من حيث الفهمُ و المشاعر، فيكون أثرها في متلقّي اللغة المنقول إليها تماما كأثرها في متلقّي العمل الأصلي.»[3]

---

français auraient paru indécentes, pitoyables, impertinentes, auraient révolté le bon gout qui règne en France […] Je les ai supprimées entièrement.»

1 - ***Alexander Fraser Tytler*** ، (1747 – 1813)، محامٍ و كاتبٌ بريطاني من أصل اسكتلندي.

2 - Bell, Roger , *Translation and Translaling: Theory and Practice*, London, Longman, 1991, p. 17.

3 - Ibid, p. 11.

ثمّ إنّ اللغاتِ نفسَها يُفيدُ بعضُها من بعض في الأبنية اللغوية و الأشكال اللغوية الجديدة التي يستقدمها المترجمون من لغة إلى أخرى عبر الترجمة، كما أنّ المترجمين يسهمون إلى حدٍّ بعيدٍ في إثراء لغات الوصول و إغنائها من خلال محاكاة لغات المنطلق و نقل الصيغ والتعبيرات الجديدة، بل و بعض الألفاظ أيضا.

أمّا في ألمانيا فقد اقتفى المترجمون آثار التقاليد الترجمية التي أقام *مارتن لوثر* أساسها على أقلمة النصّ الأصلي مع لغة الوصول، و التي نظرتْ إلى الترجمة على أنّها وسيلة للإثراء اللغوي و الثقافي، و لكن مع تفادي الاقتراض و المحاكاة لكيْ لا تخترقَ اللغةُ الأجنبيةُ اللغةَ الأم.

صنّف الشاعر الألماني ***غوته*** ***Johann Wolfgang Goethe*** *(1749-1832)* الترجمة في ثلاثة أنواع يعبّر كلّ نوع منها عن موجة ثقافية وطنية في ألمانيا:[1]

فأمّا الأوّل فهو النوع الذي يسمح لنا بالتعرّف إلى ثقافات أخرى داخل لغتنا، و إذ إنّ الترجمة في هذه الحالة تمحو الاختلاف، فإنها تقدّم بذلك خدمة من خلال مفاجأتنا ببريق الغرابة و سحر الجدّة في اللغة، و تلامس عمق وجودنا اللغوي، و ربّما ما تزال ترجمة *لوثر* للإنجيل تعكسُ هذه الصبغة.

و أمّا النوع الثاني فيتمثّلُ في أنّ المترجمَ يسعى إلى تمثّل المحتوى الأجنبي وإعادة إنتاجه في لغته وفق رؤيته هو، و بمعجمه الخاصّ، و قد كان هذا النّوع من الترجمة مسكونا بهاجس إرضاء المتلقّي المعاصر.

و يتميز النوع الثالث من طرائق الترجمة، بمحاولة بذل الوسع في سبيل تحقيق تطابق مثالي بين النص الأصلي والنص المترجم، و تقليص المسافة اللغوية و الثقافية بينهما، ولا شكّ أنّ ذلك لنْ يتأتّى إلاّ عن طريق الدمج بين فرادة النص الأصلي و أصالته، وبين الشكل الجديد الذي تفرضه لغة الوصول، و من الذين يمثّلون هذا النوع في رأي *غوته*، الناقد والشاعر والمترجم الألماني ***فوس*** ***(Johann Heinrich Voss)*** في ترجمة الإلياذة والأوديسة لهوميروس، إذ كان عليه في ترجمته تلك أنْ يتغلب على مقاومة القارئ/المتلقّي، لأن المترجم الذي يتعلّق بالأصل يتخلّى لا محالة، قليلا أو كثيرا عن أصالة اللغة المستهدفة، و يزعزع الذوق السائد فيها، غير أنّه من أجل ضمان مساحة أكبر من التقبّل، كان من الضروري أن يعتاد ذوق الجمهور المتلقّي في البداية على ترجماته، إلى أنْ توسّعت دائرة التلقّي و القبول رويدا رويدا، وقليلا قليلا؛ ذلك أنّ ***فوس*** لم يفلحْ في

1 - Résumé d'un passage cité dans: BASSNETT, Susan, *Translation studies*.op.cit. p.75-77

إرضاء الجمهور عندما بدأ يترجم، ولكن بفضل هذه الترجمات نفسها، استطاع أنْ يُنشئ لدى الجمهور ذوقا و استعدادا لتقبّل هذا النوع من الترجمة.

و غالبًا ما كان المترجمون يوظّفون ترجماتهم للتأثير في تطور شعرية عصرهم، فقد كُتبتْ أفضل الأعمال الدرامية الألمانية بوحيٍ و استلهام من النماذج الفرنسية، كما راج مذهب التثاقف في الترجمة، وهو الاتّجاه الذي تبنّاه الفرنسيون في ذلك الوقت؛ فعلى سبيل المثال، ترجم الكاتب المسرحيّ الفرنسي أنطوان هودار (***Antoine Houdar de La Motte***) الإلياذة فاختزل الكتب الأربعة والعشرين كتابا في الأصل إلى اثني عشر في الترجمة، ولعلّ ذلك كان نتيجةً لقراءته النصَّ الأصليَّ وتلقّيه إيّاه، في ضوء الجنس الأدبي الذي كان مهيمنا في عصره ، و هو التراجيديا.

شهدتْ ألمانيا مع نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر تطورًا فلسفيًّا وأدبيًّا عظيمًا، ممّا هيّأ أرضية مواتية للتفكير في الترجمة، فأنتج الكتاب الألمان والفلاسفة والشعراء في ذلك الوقت ما لا يُحصى من الترجمات في الكلاسيكيات.

فقد ترجم *فريدريش شلايوماخر* ***Friedrich Schleiermacher*** *(1768-1834)* أفلاطون، وترجم *أوغست شليغل* ***August Wilhelm Schlegel*** *(1767-1845)* شكسبير وسيرفانتيس وبترارك، وترجم *فون هومبولت* ***Wilhelm von Humboldt*** *(1767-1835)* سوفوكليس، فلمْ تعُد الترجمة من ثمّ مجرّد نشاط بسيط متعلّق باللغة، و إنما أصبحت نسقا فكريا و أداء ثقافيا، بل و رافدا لا غنى عنه لنمو اللغة الألمانية و إثراء الثقافة الوطنية.

يُنظر إلى الترجمة عموما على أنها ملتقى اللغات والثقافات، وهو التقاء ينبغي يستدعي من القارئ أن يبذل جهدًا لمواجهة غطرسة اللغة الأجنبية، و تتمثل مهمة المترجم في توجيه لغته لتتّسع لاستضافة اللغة الأجنبية و تعابيرها الاصطلاحية، وأسلوب النص الأصلي، و كما يرى *هومبولت* « فإن الترجمة ليس لها قيمة و لا معنى إلاّ عندما تنجح في أنْ تمنح لغة الأمة ما لمْ تكن تمتلكه من قبلُ، أو ما كانت تمتلكه و لكن على هيئةٍ مختلفة.»[1]

و من أبرز ممثّلي الرومانسية الألمانية عالمُ اللاهوت و الفيلسوف و المترجم الألماني فريديريش شلايوماخر***Friedrich Daniel Ernst Schleiermacher****(1768-1834)* ، وهو الذي جعل أفلاطون يتكلّم الألمانية، و صاحب المؤلَّف الشهير في الترجمة الذي ترجمه *أنطوان*

1 - جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، تر: لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي،بيروت 1994، ص.99.

بيرمان إلى الفرنسية[1] ***(Des différentes méthodes du traduire)***، الذي يعرضُ فيه المقولات الكبرى لنظريته في الترجمة.

يتساءل *شلايرماخر* عمّا إذا كنّا بحاجة إلى ترجمة خطاب شخص يتحدّث لغتنا ولكن في نسق عاطفي و بمشاعر مغايرة، بل لعلّنا نكون مضطرّين أحيانا إلى ترجمة خطاباتنا نفسها بعد مرور الزّمن إذا أردنا أن نجعلها تتماشى مع واقع جديد، و لعلّه بمثل هذه التساؤلات يريد الفكرة التي سيطوّرها حديثا رومان جاكبسون في حديثه عن الترجمة داخل اللغة الواحدة، لكنّ ما يعنينا من هذه الإشارة أنّ فضاء التلقّي ليس ثابتا و أنّ النص الواحد قد يحتاج إلى إعادة ترجمة بما يسمح له بالوجود و الاستمرار، و كان حياة النصّ مرهونة بمقدار ما يلقاه من التلقّي، ويرى انطلاقا من هذا التوصيف أنَّ أمام المترجم حيالَ النصّ المرادِ ترجمتُه سبيلَيْن عليه أنْ يسلك أحداهما؛ فهو، أي المترجم « إمّا أنْ يدعَ المؤلّفَ في سلامٍ ويحملَ القارئَ إليه، وإمّا أنْ يدَعَ القارئَ في سلامٍ و يحملَ إليه المؤلِّفَ.»[2]

فإذا اختار المترجم أنْ ينقل القارئَ إلى المؤلّف، فإنّ الترجمة إذ ذاك تكون أميلَ إلى المحاكاة ***l´imitation***، و ذلك يستدعي أنّه « كلّما كانت الترجمة أكثرَ محاكاةً لصيغ النص الأصلي و أساليبه، كان ذلك أدعى لأنْ تبدوَ أكثر غرابة لدى المتلقّي»،[3] ممّا يعني أنّ على المتلقّي أن يتقبّل غرابة اللغة الأصلية و أن يجد الأدوات الكفيلة بمساعدته على فهم النص، فالمتلقّي في هذه الحالة هو الذي يتحرّك صوب المؤلّف، بينما إذا اختار المترجم أن يدع المتلقّي حيث هو و يأتي إليه بالمؤلّف، فإنّ الترجمة تكون أقرب إلى الشرح و التفسير ***La paraphrase***، كأنّما يجعل المؤلّف يتكلّم لغة الوصول كما لو كانت لغته الأم، من خلال الإيحاء بفرضية أنّه لو كانت لغة الوصول هي لغة المؤلف الأصلية لكان كتب نصّا هو نفسه النص الناتج عن الترجمة، و يمكنُ بوجهٍ من الوجوه، عدّ النّموذجيْن بالأساس نمطيْن من أنماط التلقّي قبل أنْ يكونا أسلوبيْن في الترجمة.

عالج *شلايرماخر* جملة من المشكلات ذات الصلة إما بالترجمة داخل اللغة الواحدة ***intralinguale***، أو الترجمة ما بين اللغات المختلفة ***interlinguale*** ، فقد نادى بضرورة

1 - SCHLEIRMACHER, Friedrich D.E, Des *différentes méthodes du traduire*, traduit par Antoine Berman, Éd. du Seuil, 1999.

2 - Ibid, p.49. ***« Ou bien le traducteur laisse l´écrivain le plus tranquille possible et fait que le lecteur aille à sa rencontre, ou bien il laisse le lecteur le plus tranquille possible et fait que l´écrivain aille à sa rencontre. »***

3 - Lefevere, Andre, *Translation,History,Culture: A Sourcebook*, London and New York: Routledge, 1992, p.155. ***"the more closely the translation follows the turns taken by the original, the more foreign it will seem to the reader"***

تجديد الخطاب و تحديثه داخل اللغة الواحدة من خلال إعادة صياغته بعد تقادم العهد به، لأنّ اللغاتِ الطبيعيةَ تتطوّر باستمرار و كذلك طرائق التعبير فيها، و قد أثار بذلك إشكالية التطوّر الدّلالي للغات الإنسانية و أثره على عملية التواصل داخل اللغة الواحدة، بل قد يتعدّى الأمر ذلك إلى أنّ المتحدّث الواحد نفسه يحتاج أحيانا إلى إعادة صياغة خطابه بمرور الزمن، ذلك أنّ أسلوبه و الأنماط التعبيرية التي يستعملها، و لغته بشكل عام هي أيضا في تطوّر مستمر، كما ركّز على أنّ الفكر لا يقوم بمعزلٍ عن اللغة، وأنّ اللغة التي يتكلّمها المرء هي التي تصوغ و تحدّد طريقته في التفكير.

و منْ أهمّ ما قدّمه في نظريته ممّا له صلة بالتلقّي في علاقته بناتج الترجمة، ما يبدو أنّه دفاع عن الترجمة التي يمكن وصفها بأنّها تنتقل إلى لغة الوصول محمّلة بغرابة النص الأصلي و ثقافته، و التي تقدّم العمل الأجنبي إلى المتلقّي المستهدف و تُجبره على بذل جهد ذهني و ثقافي لفهمه و احتواء غرابته، و لعلّ الذي حدا به إلى اختيار هذا الأسلوب إلى جانب ما تقدّم آنفا من الرّغبة في إثراء اللغة الألمانية و تطويرها عبر الترجمة، أن الترجمة إلى الألمانية في عصره قد حملت على عاتقها بل كانت مجبرة أحيانا على استقدام أساليبَ و أنماطٍ تعبيرية تتمّ فيما بعد محاكاتها حتى يستسيغها المتلقّي فتتبنّاها اللغة الألمانية، على اعتبار أنّ غاية المترجم ليست تحقيق الاتصال بين النص الأصلي و اللغة التي ينقل إليها، بل غايته تحقيق هذا الاتصال بين النص الأجنبي وقارئ الترجمة.

لمْ يكن ينظرُ على الترجمة على أنّها نقل للألفاظ و الجمل من لغة إلى لغة، و لكن من جهة كونها عبورا من ثقافة إلى ثقافة، مع العلم أنّ كلّ ثقافة تحمل في طيّاتها "رؤيا للعالم ***vision du monde***" و أنّ اللغة نفسها هي التي تشكّل هذه الرؤيا، و هو المفهوم الذي سيطوّره هومبولت فيما بعد مع ظهور النظريات الفلسفية في اللغة.

فيلهلم فون هومبولت ***Wilhelm von Humboldt****(1768-1835)* الفيلسوف وعالم اللسانيات البروسي قد أرسى القواعد النظرية لفلسفة اللغة، و هي نظرية قد ألقتْ بظلالها لا محالة على نظرية الترجمة، ذلك أنّ قضايا اللغة هي في الغالب قضايا الترجمة، لأنّ اللغة هي مادّة الترجمة كما أن اختلاف اللّغات هو واحد من أهم دواعي الترجمة.

فاللغة عند *هومبولت* هي المادّة المكوّنة للفكر، والترجمة هي العبور من فضاءٍ يملك صورةً محدّدة للعالم، إلى فضاءٍ آخر ذي ملامح مختلفة، و للغة تأثيرا على التصوّرات والقناعات و الآراء التي يكوّنها الإنسان عن الوجود، فنحن بين لغتيْن مختلفتيْن نتحدّث في الواقع عن عالمين مختلفيْن يتعذّر نقل أحدهما إلى الآخر إذ إنّ الاختلاف بين اللغتين يفرض بالضرورة اختلافا جذريا في الطرائق التي ننظر بها إلى العالم، فكان من نتائج هذا التصوّر قيام جدلٍ حادّ حول إمكانية الترجمة أفضى إلى ظهور فكرة استحالة الترجمة، أوعدم القابلية للترجمة ***l´intraduisibilité***، و هي الفكرة التي تبنّاها بعده منظّرو

الرومانسية الألمانية ممّن عُرِفوا بالهومبولتيين الجدد، و بعض الألسنيين، ولكنْ لا أحد منهم انتهى إلى نتيجة حاسمة في الحكم باستحالة الترجمة، بل تمخّض ذالك السجال عن ولادة الرأي القائل بأن الاختلاف الشديد بين اللغات هو الشرط الأساس و الضروري لقيام الحاجة إلى الترجمة، و هي القيمة الإيجابية التي يعزوها *هومبولت* لتباعد اللغات واختلافها، حيث رأى أنّ جوهر الترجمة و روحها إنّما يكمن في الحفاظ على هذا الاختلاف و صونه، وأنّ الترجمة لا تدرك منتهى غايتها إلاّ إذا جعلتْ المتلقّي يستشعر وجوده من خلال غرابة الآخر.

تقوم النظرية الهومبولتية على تصوّر أنّ كلَّ نظام لغويٍّ يمدُّ المتكلّمين بطريقة خاصّة لتحليل العالم الخارجي يختلف بالضرورة عن تحليل المتكلّمين في سائر اللغات، وهو مستودع تجربة إنسانية متراكمة جيلا بعد جيل يقدّم لكلّ جيل موشورا ينظر إلى الكون عبره، و يفسّر من خلاله العالم غير اللغوي.[1]

فاللغة وسيلة الناس لفهمهم للواقع و خلق تصوّرهم له قبل أن تكون أداة للتعبير عنه، فكلّ لغة وفق هذا المنظور تُنشئُ صورة للواقع كاملة ومكتفية بنفسها، و لا ترد عناصر الواقع اللغوي في لسان مطابقة تماما للوجه الذي ترد عليه في لسان آخر، و بذلك يختلف النظر إلى التجربة الواحدة و يختلف تقطيعها، إذ كيف نصف بلغةٍ ما عالما مختلفا عمّا اعتادت هذه اللغة وصفه ؟

إنّ هذه الشواهد و غيرها كثير لا يتّسع المجال لبسطه، تحاولُ توضيح سلطة اللغة على الفكر، فلو كان الفكر مستقلاّ عن اللغة لكانت الترجمة مكنة و لا تثير سوى صعوبات لغوية، لذلك تتناول بالريبة و الشكّ كلّ إمكانية للترجمة إذ لا مجال لعزل الفكر عن اللغة، والإحاطة بكلّ الدّلالات الدقيقة للوحدات اللغوية، لأننا « حين نتكلّم عن العالم بلغتين مختلفتين فإننا لا نتكلم عن عالم واحدٍ تماما...فالترجمة بالتالي غير ممكنة ماديا بالمفهوم العلمي»[2]، و ذلك لأننا «نشرّح الطبيعة وفق خطوطٍ رسمتها لغاتنا الأم سلفا.»[3]

و و غير بعيد عن *هومبولت* يتساءل معاصره ***أوغست فيلهلم شليغل****(1767-1845)* ***August Wilhelm Schlegel*** و هو الشاعر و الفيلسوف الألماني، و أحد أكبر منظري الرومانسية الألمانية عن جدوى ترجمة الشعر، ويرى بأنّها يجبُ أن توفر لأولئك الذين لا يملكون حيلة للوصول إلى الأصل، فرصة المتعة بقراءته كأصفى و أجمل ما يكون قدر المستطاع، و من ثمّ يجب ألا يعيد المترجم طرح المشكلات التي سبق حلها في النص الأصل، كما دعا إلى أنّه من المفيد أيضًا أن ترافق الترجمةَ، التي قد تشتت ذهن القارئ

1 - ULLMANN,Stephen, *Précis de sémantique française*, Berne, Francke, 1959, p.300.
2- جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، تر: لطيف زيتوني، مذكور سابقا، ص. 94.
3 - WHORF, Benjamin Lee, *Language, thought and reality*, New York, Wiley and sons, 1958, p. 213.

مقدمةٌ ينقله فيها المترجم إلى جوّ العالم الأجنبي و يساعده على التأقلم معه أولا تمهيدا لقراءة ناجحة، و هو الأمر الذي طبّقه هو نفسه عندما ترجم *روميو و جولييت* لشكسبير إلى الألمانية؛ إذ في كلّ مقطع يجد القارئ الألماني نفسه محشورا في عالم غريب عنه، فيساعده المترجمُ على أنْ يوطّن ذائقته عليه.

و قد وجدنا *جاكبسون* في اللسانيات الحديثة يحمل مسألة التعارض بين اللغات محملا إيجابيا و ينظر إلى الجانب المشرق منها بتفاؤل في مقالته الشهيرة حول الترجمة، إذ يدعم فكرة أن « اللغات تختلف جوهريًا في ما يجب أن تعبر عنه، وليس في ما يمكنها التعبير عنه.»[1]

لقد كانت تلك أبرز التجارب الترجمية التي جعلت من لغة الوصول محورا و من المتلقّي و ذوقه و فهمه قبلة و معيارا في ما قبل ظهور علم اللسانيات، و يكفي لبيان الموقع الذي حظي به التلقّي في الترجمة، الإشارة إلى أن الترجمة قد أصبحت قضية الدولة و قضية الكنيسة ولم تعد مجرد مسألة معرفية، لما كان لها من دور في تشكيل الوعي الاجتماعي ، ناهيك عن أنها قد أسهمت بقسط وافر في تطوير لغات الوصول وإثرائها، كما أنّ لغاتٍ كثيرةً قد بُعثتْ إلى حياة جديدة بفضل الترجمة؛ كالألمانية والإنجليزية و الفرنسية على سبيل المثال.

المبحث الثاني

التلقي في ضوء نظريات الترجمة الحديثة و المعاصرة

يصعب الفصل بين النظرية اللسانية و نظرية الترجمة، لأنّ الترجمة تمثل جزءا عضويا من اللسانيات، بل لطالما عدّتْ فرعا من اللسانيات التطبيقية، بيد أنّه في العصر الحديث بات من الجائز الحديث عن نظرية مستقلّة للترجمة، إذْ لم تعدّ الترجمة مجرّد تطبيق من تطبيقات اللسانيات، غير أنّ ذلك لا يعني أنّ إحداهما قد استغنت عن الأخرى ذلك أنّ موضوع اللسانيات هو اللغة ذاتها كما أنّ الترجمة هي تجلٍّ من تجليات اللغة.

تقدّم اللسانيات نفسها على أنّها نشاط علميّ بحت، غير أنّها لا تملك نظاما انتقال ثابت ما بين البناء النظري والتطبيق التجريبي، و غياب مثل هذه الآلية يفتح الباب واسعا على

1- JACOBSON, Roman, *Essais de linguistique générale*, Les Éditions de Minuit, Paris, 1963, 2003, p.84. ***« les langues diffèrent essentiellement par ce qu´elles doivent exprimer, et non pas par ce qu´elles peuvent exprimer »***

تضخّم التنظير على حساب التجربة و التطبيق، و لا شكّ أنّ مجال الترجمة يوفّر للنظرية اللسانية مساحة مثالية للتجريب، من أجل ذلك يمكن القول إن المشكلات التي تطرحها الترجمة تصبّ في صميم الدرس اللساني.

وإلى جانب المقاربات التي تتخذ من وجهة نظر محدّدة منطلقا للدراسة، مع بقائها مرتبطة بحقولها المعرفية الأصلية و بالخلفيات التي نشأت فيها، نجد عددا من النظريات المتعلّقة أساسا بالترجمة و هي أنظمة مفاهيمية تُعنى بوصف الفعل الترجمي أو شرحه وتفسيره، و تحليل الآلية أو الشروط التي يقوم عليها، و إن استندت إلى مفاهيم موجودة سلفا فإنّها تحاول أن تحقق نوعا من الخصوصية، و تسعى إلى دعم استقلالية الدراسات الترجمية أو الترجميات بوصفها علما قائما برأسه، ثمّ إنّ طبيعة الترجمة تجعل من هذا الحقل مجالا لدراسات متعدّدة التخصصات، تلتقي فيها كثير من المعارف و المهارات.

نشأ علم الترجمة الحديث بعد الحرب العالمية *1945* واجتمعت فيه المعارف والتصوّرات النظرية في الترجمة، فانطلقت دراسة الترجمة بوصفها نشاطا وفنّا و فرعا من العلوم الإنسانية وموضوعا قابلا للملاحظة العلمية بشكل أكثر دقة، و لعلّ ذلك أيضا كان بسبب التقارب الحضاري والثقافي بين الشعوب، وهو الأمر الذي جعل اللغات أكثر احتكاكا بين بعضها من ذي قبل، مما أفرز الحاجة إلى تعليمية الترجمة و التأمل النظري، ففي العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين اكتست الدراسات الترجمية أهمية كبيرة في البحوث الأكاديمية، سواء في الجامعات أو في المؤسسات العامة و الخاصّة، لتصير في الثمانينيات أكثر اتّساعا إذ ضمّت إليها حقولا معرفية كانت من قبلُ حكرا على الفلسفة أو الأدب أو اللغويات.

و قد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تناوبا بلغ أحيانا إلى حدّ التباين بين مدرستين اثنتين تمثلان فرعين رئيسين من الدراسات النظرية في الترجمة؛ الدراسات الترجمية اللسانية، والدراسات الترجمية الأدبية.

نجحت الترجميات اللغوية في أن تحرّر نفسها من ربقة الطبيعة غير المنتظمة للدراسات السابقة، و قد أعطتْ منذ الخمسينات إشارة الانطلاق لسلسلة من التأملات النظرية حول طبيعة الفعل الترجمي وسلسلة من الدراسات التطبيقية حول العلاقة بين اللغات القائمة، و لعلّ خير نموذج يشارُ إليه في هذا السياق نموذج "الأسلوبية المقارنة" *لفيناي و داربلني*،[1] و قد غذّت هذه الأفكار الأمل في إمكانية وضع نماذج لغوية تحدد جميع شروط الترجمة وقواعدها، لاسيما أنّ ذلك قد تزامن مع التجارب المبكرة الناجحة

1 - ***Jean-Paul Vinay*** (1910-1999) و ***Jean-Louis Darbelnet***،(1904-1990) عالما لسانيات ومترجمان فرنسيان، قدّما في ميدان الترجمة مؤلفا من أهمّ الأعمال وأشهرها هو:
« Stylistique comparée du français et de l'anglais : méthode de traduction »

في مجال الترجمة الآلية، مما هيّأ لترسيخ التصوّر القائم على فكرة أنّ الترجمة لا تعدو أن تكون مجرّد نقل لرموز لغوية.

و منذ خمسينيات القرن العشرين وحتى أوائل الستينيات، شغلَ أفقَ الترجمة بشكل واسع الباحثون الذين أرادوا التأصيل لدراسة "علمية" في الترجمة تقوم على تحليل الرموز اللغوية واستبعاد العوامل التي تقع خارج نطاق اللغة، كوصف الفعل الترجمي مثلا، وظلّت تلك هي حال الترجمة حتى نهاية الستينيات، غير أنّه في الوقت نفسه، كان على هؤلاء الباحثين أن يعترفوا بأن المرء لا يستطيع أن يتجاهل السياق الخارجي، ويستبعده من مجال دراسات الترجمة، وفي سياق الدراسات اللغوية، و انطلاقا من ألمانيا بالتحديد ظهرت في أواخر الستينات المقالات الكثيرة حول أنماط النصوص و تصنيفها وظيفيا ***taxonomie/typologie textuelle*** التي ما تزال تمثل إلى اليوم الأساسَ النظري المتين للممارسين والباحثين في مجال الترجمة.

وفي غضون السبعينيات، خرجتْ من رحم الدراسات الأدبية المقارنة مدرسة جديدة أخرى أطلق عليها "الدراسات الترجمية" ***Translation Studies***، قدّمت نفسها منذ الوهلة الأولى على أنها تقف موقف النقيض حيال الترجميات الألسنية ***traductologie linguistique*** والترجميات الأدبية السابقة على حدٍّ سواء ***traductologie littéraire***، وقد عكف فيها أصحابها من الباحثين و المترجمين على بيان الكيفية التي يستجيب النص بها إلى السياق الاجتماعي و الأيديولوجي و الثقافي و السياسي، و دراسة الأثر الذي تحدثه هذه الأسبقة حين ينتقل النص من لغة إلى لغة.

الفرع الأول

التلقي في ضوء النظريات اللسانية للترجمة

لا شكّ أنّ النظريات اللسانية في الترجمة قد شغلتْ حيّزا واسعا في نظرية الترجمة، وأنّ العلاقة بين اللسانيات و الترجمة هي من أوثق العلاقات عُرًى و أكثرها حميمية، فمعظم منظري الترجمة هم في الأصل علماء لسانيات أو لغويون، كما أنّ مصنفات نظرية كثيرة قد وُضعت و بحوث لا تحصى قد أُلّفت في التنظير للترجمة باعتبارها ظاهرة لغوية ابتداءً، و لطالما عدّت الترجمة فرعا من فروع اللسانيات التطبيقية.

و قد تُختزَل النظريات اللسانية في كونها تنطلق في مقاربتها للترجمة من التعريف المتواتر عند كبار منظريها من أنّ الترجمة لا تخرج عن أن تكون عبارة عن انتقال رسالة مكتوبة أو منطوقة من لغة إلى لغة، و لعلّ التصنيف الذي وضعه *جاكبسون*[1] للترجمة لا

1 - JAKOBSON Roman, *On Linguistic Aspects of Translation*, op.cit. pp.113-118.

يدع مجالا للشك، إذ هي في نظره نشاط لغوي إمّا داخل اللغة الواحدة كالشرح أو التأويل، أو من لغة إلى لغة أخرى و هي الترجمة بمفهومها الأكاديمي المتعارف، أو بين نظامين من العلامات مختلفين.

فالترجمة بين اللغات، و هي المعنية بالبحث، يعرّفها *جاكبسون* بأنّها تفسير علامات لغوية من لغة ما بعلامات لغوية من لغة أخرى هي لغة الوصول، و هي العلامات التي يفهمها المتلقّي، فالتلقّي في مثل هذا التصوّر يعكس طبيعة لغوية بحتة، أي إن الرسالة كامنة في العلامات اللغوية وحدها.

و حين التأمّل في مسار تطوّر التنظير الترجمي، يتبيّن أنّ الترجمة ظلّتْ مرتبطة زمنا طويلا باللسانيات المقارنة، ومن أوائل من صاغ النظرية اللسانية في الترجمة فيناي وداربلني

لقد ركّزت هذه النظريات على الخصائص اللغوية للنص، و المحددات اللسانية للفعل الترجمي لدى الانتقال من لغة إلى لغة، ولذلك يتعذّر الوقوف أحيانا على إشارات وتحليلات واضحة تمسّ عملية التلقي بشكل مباشر، على أنه يمكن القول إنّ الباحث يستطيع أن يهتدي إلى بعض التلميحات و الإشارات التي قد يُستنتَج منها موقعُ التلقي ومركزه وسط الفعل الترجمي من منظور النظرية اللسانية، لأنّ الحديث عن العمليات اللغوية و النصيّة في الترجمة، و دراسة طرائق النقل من لغة إلى لغة دون انتهاك لقواعد اللغة المستهدفة، و البحث في سبل إيجاد المكافئات بين اللغات من الناحية المعجمية أوالثقافية و الحضارية، ومحاولة تحديد ماهية وحدة الترجمة، كلّ ذلك يصلح أنْ يُتّخذَ خلفية غنية لمحاولة استنتاج علاقة الترجمة وفق المقاربة اللسانية بفعل التلقّي.

و غنيٌّ عن البيان في نهاية المطاف أنّ الأسلوبية المقارنة إنما هي محاولة لفهم الأعراف اللغوية و الشيات الأسلوبية و القيم الجمالية و البيانية ما بين اللغات و اعتبارها قرائن تعكس عبقرية كلّ لغة، كما أنها بمثابة معايير ثابتة تساعد على احترام لغة الوصول وتطويع الرسالة المنقولة تركيبيا و بيانيا و وظيفيا حتى تكون منسجمة إلى أبعد حدّ مع المقتضيات اللغوية للغة المستهدفة، و على قدر عالٍ من العفوية و الطبيعية من حيث المعجم و التركيب و الأسلوب.

و قد كان ذلك بالضّبط ما أنجزه *فيناي* و *داربلني* في عملهما ذائع الصيت[1]، حيث ركّزا على الأسلوبية المقارنة، و أبدعا في وضع مجموعة من القواعد و الآليات يلجأ إليها

1 - VINAY, J.-P. et J. DARBELNET : 1- ***Stylistique comparée du français et de l'anglais: méthode de traduction,*** Montréal, Beauchemin, 1958. 2 - ***Comparative Stylistics of French and English : a Methodology for Translation,*** traduit par Juan C. Sager et M.-J. Hamel, Amsterdam, 1995.

المترجم حين تعجز الترجمة الحرفية عن نقل الرسالة، و يتعذّر إيجاد المقابل الطبيعي والمكافئ الدقيق، و هي بمثابة أدوات إجرائية في يد المترجم وظيفتها جعل الرسالة موافقة لذوق المتلقّي في اللغة المستهدفة، و التعاطي معها كما لو أنها قد كُتبتْ ابتداءً في لغته.

فهذه الأدوات و الآليات التي حصرها الباحثان في سبعٍ هي ذات طبيعة تطبيقية، كما أنّها من منظور فعل التلقّي عمليات لغوية أو دلالية تسهر على خدمة لغة الوصول بما يضمن سلامة التلقّي، و نظرا لأهميتها و علاقتها عمليا بالتلقّي فإننا سنفردُ لها مبحثا قائما برأسه في الفصل الثالث لمدارستها و تحليلها في ضوء مقولة التلقّي.

لقد سعى الباحثان في عملهما هذا إلى بلورة مقاربة في الترجمة انطلاقا من دراسة مقارنة بين الفرنسية و الإنجليزية، و قد قدّرا أنّ الترجمة من حيث هي عبور رسالة من لغة إلى لغة أخرى، إنما هي عملية قائمة على المقارنة ابتداءً، و أنّ هدف هذه العملية هو شرح الإجراءات و الآليات التي تندرج ضمن مسار الفعل الترجمي، و تيسير تحقّقها و تمثّلها من خلال إظهار القواعد المقبولة في اللغتيْن قيد الترجمة، و من ثمّ فإنّ هذا الفرع من الدراسة الذي يُعنى بتفسير آلية الترجمة هو عينه الأسلوبية المقارنة.

ترتكز الأسلوبية المقارنة على الإحاطة ببنيتيْن لغويتين متجذرتين في ثقافتين تدرك كلٌّ منهما العالم و الحقيقة بطريقة مختلفة؛ فالترجمة و الأسلوبية متلازمان و كلّ مقارنة ينبغي أن تقوم على معطيات متكافئة، « فالإجراءات التي يستخدمها المترجم و تلك التي يستخدمها المختص في الأسلوبية المقارنة بينهما صلةٌ وثيقة، و لو تباينتا؛ إذ تنطلق الأسلوبية المقارنة من الترجمة لاستخلاص القواعد، فيأخذ المترجم تلك القواعد و يوظفها لكي ينجز الترجمات.»[1]

إنّ الترجمة في التصوّر الذي تطرحه الأسلوبية هي الأداة المثلى للمقارنة بين لغتين أو أكثر، و هي التي تهدي البحث اللغوي إلى الوقوف على الآليات التي تشتغل بها لغةٌ ما بالمقارنة مع لغة أخرى، و من هنا كانت الدراسات الترجمية فرعا من فروع اللسانيات، إذ ينبني طرح المقارنة الأسلوبية أساسا على لسانيات *دي سوسير* ***linguistique saussurienne*** في تمييزه بين اللغة و الكلام ***langue et parole*** ، فاللغة تحيل على مجموع القواعد المجرّدة و الألفاظ التي هي ملك مشاع بين المتكلّمين، و متى ما استُعملت هذه القواعد والألفاظ مكتوبةً أو منطوقة فإنها عندئذ تنتمي إلى الكلام؛ فالمرسل يستعمل ذلك الرصيد اللغوي ليبثّ رسالته، و هي رسالة تتسم بالطابع الشخصي و غير متوقّعة من

1- VINAY & DARBELNET, *Comparative Stylistics of French and English: a Methodology for Translation,* op.cit. p.5. « ***The procedures of the translator and the comparative stylistician are closely linked, if in opposite senses. Comparative stylistics begins with translation to formulate its rules ; translators use the rules of comparative stylistics to carry out translations.*** »

جهة المتلقي، ومن ثمّ فغنّ المشكلات التي تعترض مسار الفعل الترجمي ليست مرتبطة باللغة بل بالكلام، و مع ذلك يعزو *فيناي* و *داربلني* بعض العوائق إلى اللغة نفسها من حيث هي إمكانات و خيارات قواعدية و أسلوبية، و على المترجم أن يميز بين ما له صلة باللغة ذاتها مما له صلة بخياراته الشخصية وفق ما يراه مناسبا لأعراف اللغة المستهدفة و الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه الرسالة كي تستقيم مع هذه الأعراف وتكون مقبولة تركيبيا و معجميا و مفهومة دلاليا لدى المتلقّي.

تتوزّع هذه الخيارات على ثلاث مستويات؛ المعجم و النظم و الرسالة، و عنها تصدر كل استراتيجيات الترجمة الممكنة، التي حصرها الباحثان في اثنتين: الترجمة المباشرة أوالحرفية ***traduction directe ou littérale*** ، و هي الترجمة التي يتمّ فيها نقل عناصر اللغة الأصلية إلى ما يقابلها في لغة الوصول، و لكن متى ما تعذر النقل الحرفي و استحال لأسباب تركيبية أو دلالية فإنّ الترجمة غير المباشرة أو المتصرّفة ***traduction oblique*** تفرضُ نفسها كحلّ ضروري، والترجمة المتصرّفة، فضلا عن كونها ملجأ للمترجم، فهي آلية تعكس حضور فعل التلقّي في أفق المسار الترجمي، لأنّ التقنيات و الاستراتيجيات التي تمخضت عنها تحمل بين ثناياها تعزيزا لموقع اللغة المستهدفة وموقع المتلقّي فيها بما تحدثه من تغييرٍ و تكييفٍ و تطويعٍ للعبارات و الدلالات والتراكيب بما يناسب عبقرية اللغة المستهدفة و سمتها الأسلوبي و البياني و قيمها الجمالية.

في *"المسائل النظرية للترجمة"* [1] يطرح **جورج مونان(1910-1993)** ***Georges Mounin*** علم اللغة بوصفه إطارا مفاهيميا مرجعيا لدراسة الترجمة، كما دارت تأملاته كلّها حول محور ارتكاز واحدٍ هو أنّ الترجمة هي احتكاك بين اللغات، و تجسيد للثنائية اللغوية، قد صبّ اهتمامه على كيفية إضفاء طابع "العلمية" على الترجمة، وهو الأمر الذي زجّ به إلى طرح سؤال قد كان وقتئذٍ ملحّا حين تساءل حول مدى وجوب أن تكون الدراسة العلمية للترجمة فرعا من اللسانيات، وهو يقرّ أيضا أنه يدرس المشاكل العامة للترجمة في إطار اللسانيات العامة المعاصرة، و لعلّه من اليسير فهم هذا التصوّر إذا ما أدرك المرء أنّ اللسانيات كانت عشيَّتَئذٍ علمًا مهيمنًا في حقل العلوم الإنسانية، ولقد كان *مونان* مقتنعا بأنّ إشكالية القابلية أو التعذر في الترجمة إشكالية لا يمكن مدارستها إلا ضمن فضاء اللسانيات، كما قد كان هدفه الوصول بالدراسات الترجمية إلى درجة "العلمية" و أنّ ذلك لا يتحقق إلا عبر جسر اللسانيات، و من ّأجل ذلك نادى بأحقية الدراسة العلمية للترجمة أن تصبح فرعا من اللسانيات.

---

1 - جورج مونان ***Louis Leboucher, dit Georges Mounin*** ، عالم لسانيات فرنسي، و أستاذ اللسانيات والسيميولوجا، اهتم كثيرا بالبحث في العلاقة بين اللسانيات و الترجمة، و العمل المقصود هنا هو كتابه: **المسائل النظرية في الترجمة**، و قد تقدّم ذكره في بعض الإحالات السابقة، و قد استعملنا أيضا النسخة الأصلية:
MOUNIN, Georges : ***Les problèmes théoriques de la traduction.*** Gallimard, Paris, 1963.

و لعلّ ما يشدّ الانتباه في مقاربة *مونان* هو التركيز على أنّ اللغات تقوم بتقطيع الحقيقة و الواقع بطرائق مختلفة، و في ذلك عبءٌ ثقيلٌ يقع على كاهل المترجم، كما أنّ *مونان* في تصوّره ذاك يحذو حذو الفرضية *الهمبولتية* التي تقدّم الحديث عنها، و الأفكار التي طرحها كلٌّ من ***سابير و وولف*** ***Edward Sapir et Benjamin Lee Whorf*** فيما عُرفَ نظريا بالنسبية اللغوية « ***relativisme linguistique*** »، وهي تقوم على أنّنا إنما ندرك العالم من طريق اللغة، كما أنّ إشكالية تعذر الترجمة و استحالتها مرتبطة بشكل وثيق بنسبية اللغة، و قد شغلت هذه القضية مساحة واسعة في أطروحات *مونان* غير أنّ إجاباته كانت تتسم أحيانا ببعض اللبس ذلك أنه يرى بأنّ « الترجمة ليست دائما ممكنة... و هي ليست ممكنة إلاّ ضمن حدود معيّنة.»[1]

و في اللسانيات التطبيقية، و هي فرع من اللسانيات، قد عدّت الترجمة لأمدٍ طويلٍ حقلا خصبا مفضّلا للتطبيق اللساني، و خير نموذج لهذه المقاربة كتاب ***كاتفورد*** *(1917-2009)* ***John Catford***، ***"A linguistic theory of translation"***[2]، الذي ركّز فيه على تحليل ماهية الترجمة و تحديد طبيعتها من بغية استخلاص نظرية عامة في الترجمة تكون صالحة للتطبيق في كلّ أنواع الترجمة، و قد حاول دراسة الفعل الترجمي في ضوء اللسانيات المقارنة بحكم أنّ الترجمة تهتمّ بالعلاقة بين اللغات، و قد استلهم طروحات فيناي و داربلني في الأسلوبية المقارنة، و عاود صياغتها ولكن بجهاز مختلف من المصطلحات، فانتهى إلى أنّ الترجمة هي نشاط بين اللغات، أو هو «عملية تجري على اللغات»[3] قائمٌ على إحلال نصّ من لغة محلَّ نصّ من لغة أخرى، مما يجعل الترجمة عنده بمثابة حالة فرعية من نظرية شاملة و عامّة للغة.

و بناءً على هذا التصوّر فهو لدى تعريفه الترجمة يذهب إلى أنّها « إحْلالُ مادةٍ نصية مكافئة في لغة المستقرّ، محلَّ مادة نصية في لغة أخرى هي لغة المصدر»[4]، ويخلُص أيضا إلى وضع "التكافؤ" في قلب كلّ ممارسة أو تنظير للترجمة، و يرى بأنّ «المعضلة الجوهرية التي تعترض الفعل تكمن في إيجاد المكافئات الطبيعية في اللغة المنقول إليها.»[5]

و يميز *كاتفورد* بين نوعين من "التكافؤ"؛ التكافؤ النصّي ***équivalence textuelle***، والتناسب الشكلي***correspondance formelle***؛ فالتكافؤ النصّي وهو ما يبدو من تكافؤ

1 - MOUNIN, Georges, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Gallimard, Paris, 1963.p.81.
2 - CATFORD, John Cunnison , *A linguistic theory of translation: An essay in applied linguistics*. Oxford: Oxford University Press, 1965.
3 - Ibid, p.1.
4 - Ibid, p.20. ***«Translation may be defined as follows: the replacement of textual material in one language (SL) by equivalent textual material in another language (TL).»***
5 - Ibid, p.21. ***"A central problem of translation-practice is that of finding translation equivalents."***

وتقارب بين النص الأصلي والنص الناتج من حيث البناء الفكري العام و تقسيم الفقرات والتسلسل المنطقي للأجزاء، وأمّا التناسب الشكلي فهو أنْ تشغل الوحدات اللغوية المعجمية والتركيبية في لغة الوصول الحيّزَ نفسَه الذي تشغله نظيراتُها في اللغة الأصلية، ثمّ يعرّج على إشكالية عدم القابلية للترجمة ***intraduisibilité*** فيميّز فيها بين حالتيْن: عدم القابلية اللغوية ***intraduisibilité linguistique***، وهي راجعة إلى غياب العديل اللغوي في اللغة المستهدفة، و عدم القابلية الثقافية ***intraduisibilité culturelle*** التي عزاها إلى غياب العناصر الثقافية المكافئة.

و بعد التحليل المقارنة ينتهي إلى استنتاج يقضي بأنّ تعذّر الترجمة الثقافي راجع في نهاية المطاف إلى تعذّرها اللغوي إذ يقول: « إنّ الحديث عن تعذّر الترجمة الثقافي قد يكون مجرّد وجه آخر لتعذّر ترجمة اللغة العاميّة، وهو استحالة وجود العبارة العامية المكافئة في لغة الوصول، و ذلك في حدّ ذاته تعذّر ترجمي ذو أصلٍ لغوي بالأساس.»[1]

من الواضح أنّ هذه المقاربة تعالج مسار الفعل الترجمي من زاوية اللسانيات، حتى وإنْ أقرّ أصحابها أن الاختلافات اللغوية تعكس لا محالة اختلافات ثقافية و تنطوي على تباينات في إدراك العالم من خلال اللغة، فما الفجوات التي تقع في الترجمة بين لغتين سوى نتيجة مباشرة للتباين بين التكافؤ الشكلي و التكافؤ النصّي، و هو ما يطلق عليه *كاتفورد* مصطلح «***shift***»، حين يقول: « نعني بالفجوة ***shift*** الانطلاق من التكافؤ الشكلي في عملية الانتقال من لغة المنطلق إلى لغة الوصول.»[2]

الفرع الثاني

التلقي في ضوء النظرية التواصلية للترجمة

في سياق الدراسات اللسانية أخذت نظريان متجاورتان في التشكّل و التبلور، وقد أسهمتا بقسط وافر في تطوير الترجمة بوصفها تخصصا و فرعا مستقلا، و قد بلغتا أوج

1 - Ibid, p.101. ***" to talk of 'cultural untranslatability' may be just another way of talking about colloquial untranslatability : the impossibility of finding an equivalent collocation in the TL. And this would be a type of linguistic untranslatability."***

2 - Ibid, p.73. ***«By 'shifts' we mean departures from formal correspondence in the process of going from the SL to the TL.»***

عطائهما مع ***نعام تشومسكي***[1] ***Noam Chomsky*** في عمله الموسوم ***Aspects of the Theory of Syntax***، ومع ***يوجين نايدا***[2] ***Eugene Nida*** في كتابه: ***Toward a Science of Translating***، و قدْ أعطى النحو التوليدي التحويلي دفعا قويّا و مصداقية لعلم الترجمة الذي نادى به *نايدا* و الذي بنى قواعده و وضع أصوله انطلاقا من عمله في ترجمة الإنجيل، و دعّم نظريته بمصطلحات *تشومسكي* و القواعد التحويلية التي وضعها، إذ « أخذ النموذج التشومسكي ليُكسِبَ منهجيته في الترجمة طابعا علميا.»[3]

افترض نايدا وجود كيان عميق متماسك و موحّد، و هو موجود بشكل مستقل عن مظاهره الملموسة في اللغة؛ و من المصطلحات التي يستخدمها في ذلك: المركز، النواة، البنية العميقة، الجوهر، الفكر، و كثيرٌ منها مستوحى من معجم تشومسكي اللساني، في و قد ألحّ نايدا على أنّ ثمة بنيات عميقة مشتركة بين كل اللغات يمكن نقلها من لغة إلى أخرى.

و كانتْ تحدو *نايدا*، بوصفه مسيحيا مهتما بالإنجيل، رغبة حثيثة في إنتاج ترجمات تكون بمثابة أدوات للتبشير بالمسيحية، على فرضٍ منه أن الترجمة تقع ضمن المجال العام للتواصل، و قد أسس عمله الترجمي على فرضيتين كبريين؛ تقوم الولى على أن كل رسالة قابلة لأنْ تُنقل إلى أيّ جمهر متلقٍّ و في أية لغة شريطة العثور على أكثر أشكال التعبير فعالية و تأثيرا، و الثانية أنّ البشر جميعا يشتركون في كثير من الخبرات ويتقاسمون كثيرا من المشاعر، مما يجعل مثل هذا التواصل ممكنا و ميسورا.

استعار نايدا مفاهيم اللسانيات و الدراسات السوسيوثقافية وعلوم الاتصال وعلم النفس ليطوّر مقاربة تطبيقية في الترجمة أطلق عليها "التكافؤ الدينامي" ***équivalence dynamique***، وهو مفهوم يعني به تحقيق أكبر قدر ممكن من الوضوح و المقروئية في الترجمة، قد بناه و بلوره انطلاقا من تجربته الطويلة في ترجمة الإنجيل إذ عُني – اهتمّ بالمشكلات اللغوية التي يمكن مواجهتها في ترجمة الكتاب المقدس، ولكن هذه الصعوبات غالباً ما ترتبط بسياقات غير لغوية، أي من خارج اللغة ***extralinguistiques*** كمثل المكوّنات الثقافية والملامح الاجتماعية و المفاهيم، من أجل ذلك ألحّ نايدا على ضرورة أنْ يشرح المترجم في بعض الحالات المعاني و المعلومات المستترة التي تنطوي عليها الرسالة الأصلية.

1 - نعام تشومسكي ***Noam Chomsky*** (1928)، ألسني و مفكر أمريكي، صاحب النظرية النحو التوليدي والتحويلي ***grammaire générative et transformationnelle*** ، مهتمّ بقضايا الترجمة ودراساتها.

2 - يوجين نايدا، ***Eugene Nida*** (1914-2011) ألسني و مترجم أمريكي، اختصّ في ترجمة الإنجيل، وهو واضع مصطلح "التكافؤ الدينامي".

3 - Gentzler,Edwin, *Contemporary Translation Theories*,Routledge,New York, 1993, p.47.

وفي عمله الشهير"نحو علمٍ للترجمة" ***Toward a Science of Translating*** ***(1964)***،اصطنع *نايدا* مفهومين أساسيين وهما: التكافؤ الشكلي و التكافؤ الديناميين، ومن الواضح أنه يولى للقيمة الاتصالية أو التواصلية في الترجمة مكانة جوهرية؛ فالهدف من الترجمة عنده هو إنشاء رسالة واضحة ومفهومة في أي لغة، و الترجمة في تعريفه هي « أنْ يُعادَ، في اللغة المستقبِلة، إنتاجُ أشبَهِ مكافئٍ طبيعيٍّ برسالة اللغة الأصلية، منْ حيث المعنى أولاً ثمّ من حيثُ الأسلوب.»[1]

لقد طوّر نايدا نظريته في خضمّ اشتغاله على ترجمة الإنجيل، و كانت في بداياتها إلى التطبيق العملي أميلَ منها إلى التنظير، وإن كان عمله يندرج من حيث طبيعته في حقل اللاهوت إلاّ أنّه عُدّ فيما بعد دليلا عمليا كان له عظيمُ الأثر على حقل الترجمة ودراساتها؛ ذلك أن ترجمة الإنجيل قد أفرزت مزيدا من المعطيات و المهارات في لغات مختلفة أكثر مما أنجزه أي نوع آخر من أنواع الترجمة عبرها تاريخها الطّويل، لأنها كانت موجّة إلى جمهور أوسع ينتمي إلى ثقافات و لغات مختلفة، كما كان لها إضافات أدبية لأنّ النصوص المترجمة كان على وفرة من الشعر و النثر و القصص والأمثال و الحكم والمقاطع الحوارية والقوانين، ثمّ إنّ ما اكتنزته من أمثلة و ما وفّته للمترجم من خيارات قد جعلها المصدر الأكثر ثراء في جميع دراسات الترجمة.

و من الإشارت التي تعكس اهتمام نايدا في مقاربته بالمتلقي و فهمه وبلغة الوصول، ما يذكره في تقييمه لما عُرف في ترجمة الإنجيل بالنسخة الأمريكية المعيارية ***American Standard Version*** ، من أنّها لم تكن ذات تأثير واسع على الجمهور المتلقّي، رغم أن علماء اللاهوت يُعلون من شأنها، إذ يرى بأنّ « الألفاظ في هذه النسخة إنجليزية، بينما النحو فيها ليس كذلك، وأنّها تفتقر إلى المعنى.»[2]

و لمّا كان مشروع ترجمة الإنجيل عند نايدا يهدف إلى تحويل الشعوب إلى اعتناق المسيحية فإنّ الاستراتيجية الترجمية الأساسية التي كانت مهيمنة و اصبغ بها عمله هي الإيمان بأنّ الإنجيل كلمة الله، وكلمة الله ينبغي أن تكون مفهومة لدى كلّ شرائح المجتمع، وعلى هذا التصوّر قد قامت مقاربته، و انطلاقا من الأهمية القصوى للرسالة الأصلية في أي ترجمة للكتاب المقدس، فإنّ المبدأ الأساس في مقاربة نايدا كان محددًا سلفًا، وهو نقل

1 - Nida. E, Charles R. Taber. *The Theory and Practice of Translation*. Op.cit, 2003. P.12. ***"Translation consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source-language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style."***

2 - Ibid, pp. 20 – 21.

روح الرسالة الأصلية متجاوزا اختلاف اللغات و الثقافات، ذلك أنّ الشكل الذي صيغت فيه الرسالة يعدّ ثانويا شريطة أن تكون الرسالة واضحة و مفهومة.

إنّ مهمة مترجم الإنجيل، وفق نايدا، هي التفسير و الشرح و ليس التأويل؛ كما أنّ دوره لا يتجلّى في نقل الثقافة الإنجيلية للقارئ المعاصر، بل في نقل محتوى الرسالة إلى العالم الحالي، بما يعني أن "كلمة الربّ" يجب أن تكون متاحة للجميع، و ذلك ما حدا به إلى إبراز القيمة العملية و الوظيفية للنص المترجم لا سيما في علاقته باستجابة المتلقي وطبيعة هذه الاستجابة، وقد وظّف لأجل ذلك شبكة من المفاهيم المفتاحية يأتي على رأسها: التواصل، الوظيفة، المثاقفة، المقام التواصلي، والوضع العملي للنص، و كل هذه المفاهيم إنما تحيل على الموقع المفصلي الذي يتربع عليه فعل التلقي في مقاربته.

يعترف يوجين نايدا بإمكانية وجود عدة ترجمات صحيحة لنص واحد، و يوجّه مقاربته في التلقّي نحو القارئ العادي، فهو يريد من الترجمة أن تكون مفهومة لدى المتلقّي/القارئ العادي، و بيت القصيد في تصوّره هذا هو ما ينبغي على الترجمة أن تُنجزَه؛ و هو أنْ تُحدِثَ أثرا في متلقّي الترجمة مماثلا و مكافئا للأثر الذي أحدثه النص الأصلي في متلقي اللغة الأصلية، ذلك أنّ استجابة المتلقّي إنما هي المعيار الحاسم و الفاصل في تقييم الترجمة الناجحة، بما يتماشى مع مقاربته التي تُعلي من شأن المعنى على الشكل.

ثمّ في مرحلة تالية تتجه مقاربته صوب اللسانيات الاجتماعية، حيث يركّز على البعد الاجتماعي و أثره في فعل التلقّي و توجيه استجابة القارئ، مؤكّدا في الوقت نفسه أنّ الاختلافات الثقافية تشكّل عقبة كأداء أمام المترجم أكثر مما تفعل الاختلافات اللغوية، لأنّ البنيات و المفاهيم الثقافية تمثّل تحديا كبيرا في سبيل الترجمة السليمة، لا سيما إذا تباعدت اللغات و الثقافات، و ذلك لأنّ « مجموع تجربة شعبٍ أو بلدٍ معيّنٍ، و هو ما يدعوه علماء الأعراق بالثقافة، لا يطابق تماما مجموع تجربة شعبٍ آخر، مهما قلّ التباين.»[1]

كما أنّه وظّف في الترجمة أفكار نعوم تشومسكي حول اللغة، و استخدم أساليب الترجمة التقنية في ترجمة نصوص الإنجيل، يريد من ذلك أن يصل كلّ القرّاء، أي "المؤمنين" بالمفهوم الديني، إلى فهم رسالة الإنجيل، وهذا يبيّن بوضوح أنّ في كلّ ترجمة و في كلّ نظرية أو استراتيجية ترجمية يوجد أيديولوجية معيّنة، و أنّ توجيه القارئ في لغة الوصول يتأثّر بالتوجّهات الأيديولوجية للمترجم نفسه.

إنّ المترجم "الدينامي" – أي الذي يختار التكافؤ الدينامي أسلوبا في الترجمة - قد يكون، بحسب نايدا، أكثر "وفاءً و أمانة للنص الأصلي" من المترجم "الشكلي" – أي

1 - جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، مذكور سابقا، في تقديم الكتاب بقلم: دومينيك أوري، ص. 46

المترجم الذي يختار التكافؤ الشكلي أسلوبا، ذلك أنّه بفضل التفسير، والحذف، والتحويل، وما إلى ذلك، ينقل إلى القارئ قدرا كبيرا من المعنى و يمدّه بمعلومات أوفى، و ما من شكّ في أنّ نايدا يقيس جودة الترجمة بمقدار المعنى الذي ينجح المترجم في نقله للقارئ، و بمدى إدراك القارئ و فهمه لهذه المعاني.

قد يتسنّى للمرء بعد هذا أن يستنتج أن التكافؤ الدينامي هو الوجه الثاني لحضور المتلقّي في الفعل الترجمي، و ذلك لأنه يحيل رأسا على اللغة المستهدفة و آليات إنتاج المعنى فيها بناءً على ما ترسّب من مكوّنات دلالية في ذهن المترجم الذي يعالجها من منظور ما سيكون مقبولا دلاليا و تركيبيا و أسلوبيا في لغة الوصول، و يكون مدركا ومفهوما عند المتلقّي، حتى يكون المعنى الناتج أقرب ما يكون إلى إحداث أثرٍ شبيهٍ إن لم يكن مطابقا للأثر الذي أحدثه في قارئ النص الأصلي، فالتكافؤ الدينامي موجّه إلى لغة الوصول و هو استراتيجية لإعادة صياغة المعنى وفق أعراف هذه اللغة و عبقريتها وطقوسها التعبيرية.

أما التكافؤ الشكلي فإنّه أسلوب ترجمي يستحضر البنيات التركيبية و الوحدات المعجمية للغة الأصلية و يبحث لها عما يعادلها شكلا في لغة الوصول، في حين أنّ الترجمة لا ينبغي أنْ تصبّ اهتمامها على النص من حيث هو ملفوظ، لأنّ ذلك لا يفضي إلى ترجمة سليمة بقدر ما يفضي إلى إحداث تداخلٍ فيما بين النظامين اللغويْن، بل ينبغي أن تهتم الترجمة بالرسالة في ذاتها،[1] و لمّا كان مجالُ الترجمة هو نفسه مجالَ الألسنية فهي مفتوحة على جملة من التخصصات و الحقول المعرفية الأخرى، أو هي بالأحرى كما يرى *موريس بيرنييه* أنّ الترجمة إنما هي لسانيات تنداح في جميع الاتّجاهات وفق ما يقتضيه الهدف الذي ترمي إليه، إلى الحدّ الذي تضمّ فيه علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا في طرف، و علم الأعصاب و البيولوجيا في الطرف الثاني، وأكّد ضمنيا على أنّ المفاهيم و الإجراءات التي توفّرها اللسانيات غير كافية لتحليل الفعل الترجمي، و نادى بالحاجة إلى استدعاء تخصصات أخرى من أجل الإحاطة بظاهرة الترجمة، لينتهي إلى تعريف الترجمة بأنها «أفضل قراءة يمكن إنجازها للرسالة»[2]، والقراءة، أية قراءة، تستحضر لا محالة منظومة من المهارات والإجراءات التي لا تقتصر على حقل معرفي واحد و إنما تتوزع على عدة تخصصات علمية و إنسانية.

تهتمّ اللسانيات الاجتماعية بدراسة اللغة في سياقها الاجتماعي من خلال دراسة الكلام الذي هو النتاج الفعلي المتحرّك و المجسّد للغة، وقد أفادت من حقل علم الاجتماع و إسهامه في دراسة اللغة، و نظيرا لذلك اهتمّت الدراسات الترجمية التي تأسست على

1 - PERGNIER, Maurice, *Les Fondements sociolinguistigue de la traduction,* Librairie Honore , 2e edition, Paris, 1980, p.50.

2 - Ibid, p.63. ***« la traduction est la meilleure lecture qui puisse être faite d´un message »***

مباحث اللسانيات الاجتماعية ***a traductologie sociolinguistique*** بجميع الظواهر المرتبطة بالمترجم في حدّ ذاته، وبنشاط الترجمة في سياقه الاجتماعي؛ فهي تدرس الاختلافات الاجتماعية والثقافية، والتفاعلات، والسياسات اللغوية، و غير ذلك مما له صلة بحركة اللغة في المجتمع الواحد أو حركة اللغات في انتقالها من فضاء ثقافي واجتماعي إلى آخر، و أنّ عملية الفهم تتجاوز الإطار اللساني البحت لتشمل الأبعاد الاجتماعية، و قد أفرز هذا الاتجاه اهتماما كبيرا بالمتلقّي و بوضعه الاجتماعي والثقافي، ولكنه ظلّ محافظا على المعطى اللساني في دراسة الفعل الترجمي، وتلقّي الترجمات.

فالترجمة في ضوء اللسانيات الاجتماعية تنظر إلى الرسالة من حيث انخراطها في سياق اجتماعي معين، و إلى التغيرات اللسانية على أنها تجلّيات تعكس انتماءات إلى طبقات اجتماعية أو فئات لغوية؛ فنظم الرسالة و بناؤها في حدّ ذاته محمّل بإيحاءات ودلالات ذات أبعاد اجتماعية، و إلى الكاتب و المترجم و المتلقّي كلّ أولئك على أنهم أفراد في مجتمع، فإنتاجهم للكلام و فهمهم للرسالة و الخطاب يخضع دائما لجملة من المحدّدات الاجتماعية.

و لعلّه من المفيد إجراء موازنة يسيرة بين التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي لبيان أنّ مفهوم التكافؤ في حد ذاته يقتضي وجود متلقٍّ، كما أنّ الفارق بين الشكلي و الدينامي إذا ما حللناه من منظور التلقي، هو في الحقيقة قرينة دالّة على طبيعة التلقّي من حيث هو نشاط متوقّع في كليهما، و في الخطاطة الآتية إشارات ربّما زادت هذا التصوّر وضوحا:

التكافؤ الشكلي	التكافؤ الدينامي
- يركّز على الشكل - أقرب إلى اللغة الأصلية - يترجم ما قيل (اللفظ) - يفترض السياق الأصلي - يبقي على الغموض - يحدّ من إمكانات التأويل - ينتج أسلوبا ركيكا في لغة الوصول	- يركّز على المعنى - أقرب إلى لغة الوصول - يترجم المقصود (المعنى) - يفترض السياق المعاصر - يزيل الغموض - يسمح لإمكانات التأويل - ينتج أسلوبا طبيعيا في لغة الوصول

لا شكّ أن التكافؤ الدينامي هو آلية يحرص المترجم من خلالها على أن يضع نصب عينيه مستوى التلقّي في لغة الوصول، ومن الملامح التي تشي بموقع التلقّي التكافؤ الدينامي، أنّ الترجمة وفق هذه الاستراتيجة تركز على المعنى دون الشكل، و تكون الصياغة و التعبير أقرب إلى لغة الوصول، و الأساليب التي طبيعية، من أجل ذلك فهو يفسح المجال للتأويل من أجل إزالة الغموض الذي يعيق عملية الفهم، ويستحضر السياق المعاصر للنص الناتج، أي السياق الذي ستندرج فيه عملية التلقي.

و ذلك ما دعا كثيرا من المنظرين إلى تصنيف مقاربة نايدا ضمن النظريات اللسانية الاجتماعية في الترجمة، فالشكل التقليدي يصوّر الترجمة على أنّها انتقال من لغة الأصل إلى لغة الهدف، و لكنّ نايدا قد تخلّى في مقاربته عن مصطلح "لغة الهدف" ليستعمل بدلا منه "المتلقي" ***«récepteur»*** و" لغة الاستقبال" ***«langue réceptrice»***، و في ذلك إشارة لا تخفى على كلّ ذي نظر إلى أهمية التلقي في الترجمة، و مكانة لغة الاستقبال في المقاربة التي يتبناها نايدا لتوصيف الفعل الترجمي.

يبدو جليا إذن ارتباط هذه النظرية بالنظرية التواصلية، و اهتمامها الشديد بتكييف الرّسالة و تطويعها لكي توافق ذهنية المتلقي، و إن كانتْ قد انطلقت في بدايتها من أصول ألسنية بحتة و لكنها تبلورت لتتجه نحو الألسنية الاجتماعية، كما أنّ أثر تشومسكي و النحو التوليدي جليٌّ حينما يهيب نايدا بالمترجم أن ينجز مقاربة توليدية للغة، لأنّ ذلك يمدّه بالوسيلة الفعالة لتخليق النص في لغة الهدف،« فاللسانيات التوليدية مطلب على درجة من الأهمية بالنسبة للمترجم، ذلك أنها تمدّه أولا بأدوات التحليل لعملية تفكيك رموز النص الأصلي، ثمّ تهيّءُ له إجراءات التوصيف لعملية تخليق العبارات والصيغ المعادلة التي توائم لغة المتلقّي.»[1]

و لقد استقرّ في عرف المنظرين للدراسات الترجمية لا سيما في اتجاهها اللساني، أنّه« ليس ثمّة من لغتيْن متماثلتيْن إلى حدّ التطابق التام، في المعاني و الرموز والأسلوب وطرائق التعبير، مما يعنى أنّ لا وجود لترجمة نهائية في غاية الدقة والصحّة»[2]، ولما كانت اللغات مختلفة ومتباعدة أحيانا من الناحية الثقافية والمفاهيم الحضارية، كان من النادر، أن تكون استجابة المتلقّي متطابقة من لغة إلى لغة تبعا لآلية التكافؤ الدينامي والأثر، على أنّه ينبغي تحقيق درجة عالية من التكافؤ في هذه الاستجابة، وأثرٍ مشابه،

1 - Nida, Eugene, *Toward a Science of Translation*,op.cit. p.60. ***" For the translator, especially, the view of language as a generative device is important, since it provides him first with a technique for analysing the process of decoding the source text, and = =secondly with a procedure for describing the generation of the appropriate corresponding expressions in the receptor language."***

2 - VENUTI, Lawrence, *The Translation Studies Reader,* London, Routledge, 2000, p.126.

وإلاّ فإنّ الترجمة لم تفلح في بلوغ غايتها وتحقيق غرضها الذي أنشئتْ من أجله، و ما دام التكافؤ المطلق التامّ أمرٌ لا يمكن بلوغه، فإنّ على المترجم أن يسعى جهده إلى العثور على المكافئ الطبيعي الأقرب.

الفرع الثالث

التلقي في ضوء النظرية الثقافية للترجمة

كانت مهمة برمان الرئيسية هي يُعيد للترجمة مكانتها وعمقها في إطار النقد الأدبي، فقد تملّكه شغفٌ للترجمة كالشغف الذي تملّك الرومانسيين للأدب، و يكاد خطابه لا يقوم على نظرية و إنما هو تجارب و تأمّلات، من خلال تحليل بعض الترجمات الملموسة في عمله الشهير: "الترجمة و الحرف، أو مقام البعد"[1]

ينظر برمان إلى الترجمات التقليدية على أنها ترميم للمعنى المنقول و وتجميل له؛ حيث يدعُ المترجمُ القارئَ قدر الإمكان و لا يزعج سكونه، بل يجعل الكاتب الأصلي يخرج لمقابلته، و يعدُّ هذا الإجراء مرفوضا و متطرّفا لأنه يقوم على معيار عرقي، و من جانب آخر، و على خلاف ما تقدّم، يترك المترجم الكاتبَ الأصلي في سكينة و سلام ويجعل القارئ يتحرّك و ينتقل إلى لقائه، و هي الصيغة التي كانت مفضّلة في الرومانسية الألمانية بغية تطوير اللغة الأم من خلال تأثرها بلغة أخرى وعالم آخر.

إنّ الترجمة في تصوّره هي طاقة متحركة و مصدر للإبداع، و هي من ثمّ فضاء لضيافة الآخر الغريب، و انفتاح على ثقافته و تحاور معه، من أجل ذلك وجب على

1 - أنطوان برمان، الترجمة و الحرف أو مقام البعد، تر: عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط 1، 2010.

المترجم مناهضة النزعة العرقية في الثقافة و اللغة، و هدم التمركز العرقي على الذات عبر الترجمة، و ذلك بغرض الحفاظ على غرابة النص الأصلي، لأنّ الترجمة التي يدعوها "الترجمة المتمركزة عرقيّا" ***traduction éthnocentrique*** تعمل على تحويل كل مكوّنات النص الأصلي إلى ما يوافق ثقافة اللغة المستهدفة في محاولة لإثرائها، و تطرح كلّ ما تراه مخالفا و غير منسجم معها، حتى تبدو و كأنها « نوع من التحويل الشكلي والمحاكاة الساخرة والانتحال لتوليد نصّ انطلاقا من نصّ آخرَ موجودٍ سلفا.»[1]

إنّ الهدف الذي يسعى إليه برمان هو الحكم على الترجمة الأدبية من وجهة نظر نقدية بحتة، أيْ باعتبار الترجمة تفكير و تجربة شخصية يخوضها المترجم بناءً على ما تمكّن من "اقتناصه" و إدراكه من النص الأصلي[2]، و لقد كان هذا الشكل من الترجمة هو الشكل الذي تبنّاه كثيرٌ من المترجمين و الناشرين و النقاد و عدّ لقرون المعيار الطبيعي للترجمة، و لبس غريبا أن يكون محلّ نقد غزير لأنّ الترجمة في مثل هذه الحال تقوم بتطويع كل الموادّ النصية لتناسب ثقافة الهدف، و تلفظ كلّ ما يقع خارج هذه الثقافة بدعوى أنها ثقافة غير مفهومة.

ينتقد برمان المترجمين الذين يعتقدون أنه ينبغي إزالة أيّ أثر للغة الأصلية، أو الحدّ منه على الأقل، لأنّ المترجم و الحال هذه، ينصّب نفسه في موضع الكاتب الأصلي، أي إنّه يأخذ مكانه ولكن في لغة الوصول.

و من الجليّ وفق هذا الطّرح أنه متى ما أثيرت قضية الترجمة بوصفها "اقتناصا" للمعنى، فإن اللفظ أو "الحرف" يتوارى عن اهتمام المترجم إذا لم تتفاعل الترجمة من حيث هي تجربة، ولعلّ ذلك حسب برمان هو جوهر تمجيد الوحدة بين اللفظ و المعنى، كما أنّه يجرّ مأساة حقيقية و محنة على المترجم نفسه و على النص أيضا، و لكنّها معاناة جديرة بأنْ تُخاض، فعلى حدّ قول *جاك دريدا* بأنّ « البنية اللفظية عنصرٌ لا يمكن نقله إلى لغة أخرى، وهو نفسه الجزء الذي تتغاضى عنه الترجمة، و إنّ هذا التغاضي هو في حدّ ذاته جوهر الترجمة و مصدر الطاقة فيها.»[3]

و هي الإشكالية التي لطالما أثارها شلايرماخر[4] من أنّ المترجم يجد نفسه أمام خيارين؛ فإما أن يقرّب المؤلف من القارئ، و في هذه الحال يلغي خصوصية العمل ويدجّنه ليوافق القارئ، و إما أن يقرّب القارئ من المؤلف و هو بذلك يعمد إلى تغريب القارئ عن فضائه اللغوي و الثقافي إلى فضاء غريب بالنسبة إليه عليه أن يكتشفه ويفهمه.

1 - نفسه، ص.47

2 - DAVREU, Robert, *«Berman, penseur de la traduction»*, Revue de la Poésie, n° 37, Paris, 1986. P.20.

3 - DERRIDA, Jacques, *L'Ecriture et la Différence,* Paris, Seuil, 1967, p. 312

4 - SCHLEIRMACHER, Friedrich, Des *différentes méthodes du traduire,* op.cit. p.49.

و انطلاقا من الخلفية التي أسسها شلايرماخر في الأدب الألماني، والذي تأثر برمان بأفكاره بعد أن ترجمه، يحدّد العلاقة بالغريب، ويصفها بأنها تشبه « اللقاء بما هو معارض لنا و مناقض لطبيعتنا الخاصة»[1]، و هو من أجل ذلك يهيب بالمترجم أن يحترم "المسافة الثقافية"، لأنّه يسعى في خدمة سيّدين كما يرى، و إذا كان صاحب النص الأصلي هو السيّد الأوّل فإن المتلقي في لغة الهدف هو السيّد الثاني، و هو الذي سيستقرّ بين يديه ناتج الترجمة، كما أنّ ذلك يعكس أيضا طموحا في إزالة القداسة والتمركز عن اللغة الأمن و دعوتها او ربما إجبارها أحيانا إلى التفكير في ذاتها من حيث هي لغة من بين اللغات.

إنّ كلمة "الغريب" التي وضعها أنطوان برمان لكتابه، هي ترميز للسؤال الأبدي الذي يطرحه الفعل الترجمي في علاقته بالمتلقّي، و هو ما الذي يفلح المترجم في نقله و ما الذي يخسره في الترجمة؟ و الغرابة تشمل الكاتب الأصلي و لغته، كما تشمل أيضا القارئ أي متلقي النص المترجم، و في هذه الوضعية غير المريحة للمترجم الذي هو وسيط يسعى إلى تمرير الرسالة من لغة إلى أخرى، وهو ما عبّر عنه *برمان* بالمحنة، والمأساة المحتومة التي يعانيها المترجم.

ولقد أشار عبد الفتاح كيليطو إلى معنى قريب من هذا في قوله: « و الحال انّ الأمر يتعلّق بمجهود، بمعاناة، و هذا شيءٌ يُرى و يُسمع عندما يتكلّم الأجنبيّ، إنّ نطقه ملتوٍ وكلماته اتّفاقية صدفويّةن و جمله شاذّة باروكية، فمن خلال كلامه يوجّه لنا الرسالة التالية: أنا غريبٌ لستُ واحدا منكم.»[2]

و هي المحنة التي اختزلها *فرانز روزنزفايغ*[3] بالمفارقة الشهيرة "خدمة سيّديْن"، المؤلّف الأصلي و هو الغريب الأجنبيّ، و القارئ وهو المتلقّي الرّابض في اللغة التي ينقل إليها المترجم، و على المترجم أن يسعى للتوفيق بين الغرابة التي يفد بها النص الأصلي إلى لغة الوصول من جهة، و رغبة المتلقّي في تملّك النص و إدماجه في قيمه و ثقافته، و هذا ما يوقع المترجم في محنة قوامها الحيرة والتردّد بين رغبة الوفاء وهواجس الخيانة.

و في مقاله التأسيسي الشهير"مهمة المترجم" ***la tache du traducteur*** ، يتناول ***والتر بنيامين***[4] ***Walter Benjamin*** بعض مشكلات الترجمة من منظور فلسفي حين أشار إلى ما سمّاه "التفاوت الضروري" ***décalage nécessaire*** بين الأصل و الترجمة و إلى الفجوة

1 - BERMAN, Antoine, *l'epreuve de l'etranger*, op. cit, p. 101.

2 - كيليطو، عبد الفتاح، لن تتكلّم لغتي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2002، ص.105.

3 - ينظر الصفحة 03 من الفصل الأول.

4 - فيلسوف و مؤرّخ للفن، و ناقد أدبي و مترجم ألماني (1892 – 1940)، من روّاد مدرسة فرانكفورت، اشتهر بترجمة بلزاك و بودلير و بروست.

الحتمية بين المؤلّف و المترجم في جهة و المتلقّي في الجهة المقابلة، ويرى بأنّ «الترجمة شكلٌ، و من أجل القبض على هذا الشكل ينبغي الرّجوع إلى الأصل لأنه يتضمّن قانون هذا الشكل»[1]

فالترجمة انطلاقا من التصوّر الذي يطرحه *بنيامين* لا ينبغي أن تطمح إلى تعويض الأصل و تكون بديلا عنه، بل يجب أن تكون شفافة بفضل حمولتها الأدبية المشحونة بالمشاعر و العاطفة، مع بقاء الفجوة الحتمية التي لا يمكن تعويضها.

كما تعترض المترجم في مراحل مختلفة من عمله إشكالية أخرى متمثلة في مقاومة النصّ للترجمة، إذ ينتصب ككتلة متصلّبة عصيّة عن الترجمة، أو في شكل نتوءات ومساحات مبثوثة في النص، أو«عدم القابلية المتناثرة للترجمة»[2] وهو حدسٍ يعتري المترجم في شكل اعتراف مسبق بعدم القابلية للترجمة، و بأنّ الأصل يظلّ أصلا و لا يمكن أن تكون للأصل نسخة ثانية، ولا أنْ يتكرّر الأصل، والمترجم يعيش باستمرار وهْمَ الترجمة الكاملة، و كأنما ثمّة حكمٌ نهائي أنّ كلّ ترجمة من حيث هي ترجمة لا يمكن أن تكون إلا ترجمةً رديئةً، وهذا التراجع عن فكرة الترجمة المثالية و النهائية هو نفسه الموقف الذي يسمح للترجمة بالوجود و العيش بوصفها عجزا مقبولا،و لكنّ المترجم على الرّغم من محنته القاسية قد يجد بعض الرّضا و الارتياح فيما يسمّيه *بول ريكور: "الضيافة اللغوية"* ***hospitalité langagière***، من خلال إجبار لغته على التشبّع بالغرابة وإجبار اللغة الأخرى على النزوح إلى لغته الأم[3]، ففي كلّ فعل ترجمي يمكن ملامسة نوع من أنواع التنازل بين اللغتين لصالح إحداهما و على حساب الأخرى لكي تتمّ عملية العبور و الانتقال، و هو ما عبّر عنه الجاحظ فيما ذكره حول الترجمة من تأملات وإشارات من أنّه « متى وجدناه [المترجم] قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضَّيْمَ عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها»[4]، ولعلّ ذلك هو ما يُعرفُ اليوم بالأنتروبيا ***Entropie***، و هو المصطلح الذي تعرّفه جووال رضوان في قولها:« إنّ إحدى المشكلات التي تعترض المترجم أثناء البحث عن المكافئ، هي الخسارة أو الأنتروبيا، حيث تجد اللغتان نفسيْهما في حالة مواجهة خاضعتيْن لقوانين لفظية، و لتقطيعٍ للواقع غالبا ما يكون مختلفا.»[5]

1 - BENJAMIN, Walter, *Œuvres de Walter Benjamin*, traduit par : Maurice de Gandillac, tome1 : *Mythe et violence*, collection les lettres nouvelles, Paris, 1971, p.262.

2 - بول ريكور، عن الترجمة، تر: حسين خمري، سابق، ص.19.

3 - BERMAN, Antoine, *l'epreuve de l'etranger,* op.cit, p.18.

4 - الجاحظ، الحيوان، سابق، ج. 1، ص 76.

5- REDOUANE, Joelle, *La traductologie: Science et philosophie*,O.P.U,Alger,1985, p.149

و هو موقف يشبّهه *بول ريكور*[1] بموقف جامعي التحف من النسخة الأحسن لعمل فنّي وأنّها لا يمكن أنْ تكون الأصل، و قد عبّرت ***مدام دوستايل***[2] عن معنى قريب من ذلك حين رأتْ بأنّ «الموسيقى الموضوعة لآلة عزف معيّنة، لا يمكن أنْ تؤدّيها بنجاح آلةُ عزفٍ أخرى... ثمّ تقترح صورة أكثر خصوبة؛ ألا و هي صورة نفس الموسيقى معزوفةً على آلتيْن من صنفيْن متباينيْن.»[3]

كما تحّث برمان عن إعادة الترجمة...

«إن اللغة في النصّ المتخصص هي أداة و وسيلة للتواصل، و أمّا اللغة في الأثر الفنّي فهي وسيط للإيحاء بالكينونة في هذا العالم»[4]، فنقلُ نصّ من لغة إلى اخرى سواء أكان تقنيا متخصصا أم فنيا أدبيا لا بدّ أن يخضع لجملة من المحددات، كالحرص على نقل الجانب المعرفي و المعلومات كأوضح ما تكون، و لمّا كان النصّ الأصلي منجزا للتلقّي عند جمهور معيّن، فإنه ينبغي لدى نقله إلى لغة أخرى أن يخضع لبعض التعديلات لكي يناسب جمهورا جديدا و متلقيا معينا في لغة الوصول،ثمّ إن ترجمة نصّ ما تقتضي إلى حدّ ما إجراء تكييف في بنيته الخطابية وفقا لما يستدعيه فعل التلقّي، وذلك لكي يحقق قدرا من القبول ودرجة من المقروئية.

لا شكّ أنّ الأثر الفنّي هو بناءٌ في صلب اللغة، و يتشكّل باللغة، و من ثمّ فإنّ ما يُقال في لغة نزّاعٌ بطبيعته لأنْ يُقال في لغاتٍ أخرى، و يحمل في داخلة إمكانية ان يصير كونيا حين يهاجر من لغة لأخرى و يتقلّب بين اللغات، ولكنّ هذه الهجرة و هذا الانتقال يؤثر لا محالة على الإشعاع الأصلي للأثر و على قيمته الدلالية و الجمالية.

و من خلال هذا النقل والاتّصال يتمّ توسيع اللغة المنقول إليها لتحتوي الأصل وتستوعبه ضمن عبقريتها وأعرافها الفنية واللغوية، وبفضل الحميمية العميقة التي يتمتع بها الأصل، فإن أيّ نقل له إلى لغة اخرى هو في الحقيقة نقل أيضا لبعض من تشكيلاته اللغوية التي اصطبغ بها لدى نشأته الأولى، كما أنّ توسيع اللغة المستهدفة عن طريق ترجمة الآثار الفنية رهنٌ ببعض القواعد التي تفرضها درجة انفتاح هذه اللغة وفقا للثقافة المستقبِلة و جماليات التلقّي، فكل لغة تجد في الترجمة، عامل إغناء لها من الناحية اللغوية وإثراءً لمعجمها و تراكيبها.

---

1 - بول ريكور، عن الترجمة، سابق، ص.17.

2- ***Anne-Louise-Germaine Necker, baronne de Staël-Holstein***، (1766-1817)، روائية وفيلسوفة فرنسية.

3 - إدمون كاري، الترجمة في العالم الحديث، تر: عبد النبي ذاكر، منشورات مخبر "تعليمية الترجمة وتعدد الألسن" جامعة وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع ـ الجزائر2004 ص .17.

4 - جورج شتاينر و مجموعة من الكتاب، علم الترجمة دراسات في فلسفته و تطبيقاته، تر: حميد العواضي، دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2009، ص 75.

و قد يندرج مبدأ "الحسان الخائنات" ضمن هذا المنظور، وهو المبدأ الذي أعاد *جورج مونان* بعثه و استحياءه في عمله الشهير ***les belles infidèles***، وهي عبارة كانت ذائعة قبل *جورج مونان*، و كانت ميزة للذوق العام الذي خيّم على الترجمات الكلاسيكية، و قدْ اقتُبست من حُكمٍ أصدره الكاتب الفرنسي ***جيل مينَاج Gilles Ménage (1613-1692)*** في ترجمات *دابلانكور*[1] ***Perrot d'Ablancourt*** ، إذ ذكر بأنّ تلك الترجمات « تذكّره بامرأة كان يحبّها، لقد كانت جميلة و لكنّها لمْ تكن وفية.»[2]

إن مصطلح "الحسان الخائنات" يورد لوصف ترجمة أنيقة و جميلة، لكنها بعيدة في شكلها وبنائها اللغوي عن النص الأصلي، بل استُخدم أحيانا للدلالة على أنّ جودة الترجمة إنما تكمن في مدى مفارقتها للأصل، أي الترجمة الأدبية ذات التمركز الإثني المكيّفة وفق إرادة الجمهور المتلقّي.

فالترجمة إما أن تكون أنيقة و لكنّها غير أمينة للنص الأصلي، أو تكون أمينة للأصل و لكنها غير أنيقة و لا جميلة، وهذان هما طرفا هذه الجدلية منذ أمدٍ بعيد، فإذا كانت الترجمة حرفيّة جدًا، و أمينة جدّان فإنها ستكون غير أنيقة وغير طبيعية ، ولن تشدّ إليها القارئ، و لا تستهويه، و لكي تكون جميلة وممتعة بل و "مرغوبة" يجب أن تخوض مغامرة " الخيانة"، التي تعني فيما تعنيه عدم الالتزام بحرفية الأصل.

و لربّما ارتبطت بهذا المفهوم كثير من المعاني النفسية و الاجتماعية و تداخلتْ، فالجمال يقتضي الإغراء و يستثير الرغبة في امتلاك النص أو "المرأة"، كما أنّ الجمال قيمة أنثوية في أساسها، و أما القبح فإنّه لا يحمل طاقة إغرائية، و الغريب أنّ الخيانة وإنْ كانت خطرا على الأخلاق غير أنها ضرورية لخلق المتعة و الإحساس "بلذّة النص".

إنّ حسّ الرغبة في التملّك هو الذي يدفع المترجم إلى إجراء تعديلات واعية أو غير واعية على النصّ حتى يصير مرتبطا به أكثر من ارتباطه بصاحبه الأصلي، و إنّ « كلّ ترجمة تملّك سواء كان جيّدا أو رديئا، و هذا التملّك بقدر ما هو نتيجة لإكراه ما، بقدر ما هو تأكيد لحرية...حتى يظل التلاقي بين النصوص أمرا مضمونا.»[3]

---

1 - نيكولاس بيرو دابلانكور ***Nicolas Perrot d'Ablancourt*** (1606 – 1664)، مترجمُ فرنسي، بوحي من طريقته في الترجمة نشأت العبارة الشهيرة: ***« les belles infidèles ».***

2 - Amparo Hurtado Albir, *La notion de fidélité en traduction*, Paris, Didier Érudition, 1990, p. 231.

3 - إسرائيل فورطوناطو، الترجمة الأدبية؛ تملّك النص، تر: مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد، الرباط، عدد 10، سنة 1998، ص.130.

و لا ينبغي النظر إلى الترجمة على أنها ليست أكثر من مرآة ينعكس عليها ظلّ النص الأصلي، بل هي فضاء حي و متحرك تتفاعل فيه الثقافات و القيم، « فهي لا تهدف إلى استجلاء علاقة الذات بالآخر، و إنما لتبيان علاقة الذات بذاتها»[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه هو معرفة العلاقة التي يرغب المرء في إقامتها، من خلال ترجمة لغة "الآخر وثقافته"، هل من الضروري، في المقام الأول، قبول رغبة القارئ في الاستيلاء و التملك ، تملك الأفكار والعمل الأجنبي، وترجمة ذلك كما لو كان المؤلف قد كتب أصلاً بلغة الوصول اللغة المنقول إليها ، من اجل احترام ذوق الجمهور المتلقّي، وتلبية توقعاته، أو تكون الترجمة عن طريق إحداث محاولات استيعاب؛ أي ينبغي تهيئة فضاء في قلب لغة الوصول لسماع كلّ الأصوات الوافدة من الخارج والمحمّلة بغرابة "الآخر" الأجنبي، و ذلك يقتضي ضيافة داخل اللغة و باللغة، و السماح للغريب الأجنبي بأن يقدّم نفسه كما هو، و أن يظلّ محافظا على كينونته من دون تنكّر للغته وثقافته، وهو الشقّ الثاني من الثنائية التي وضعها شلايرماخر من أنّ على المترجم أنْ يترك المؤلّف هادئا قدر الإمكان و يجعل القارئ هو الذي يذهب لمقابلته، ولكنّ ذلك محفوف بالمخاطر، ذلك أن الأجنبي قد يبدو لأوّل وهلة غير مرغوب فيه، أو ربما مثيرا للسخرية في اللغة المستهدفة، أو قد يكون الغريب، لشدّة غرابته، غير مستأنس و لا مرحّباً به لدى المتلقّي.

لا مراءَ أنّ منظري هذا الاتجاه يرون أنّ المترجم قد يخطئ حينما يبالغ في الحفاظ على لغته التي ينقل إليها في كلّ تفاصيلها، و يربأ بها عن أن يمسّها خدشٌ من تغيير أوانزياح، بينما عليه أن يُخضعها للارتجاج العنيف الذي يُصيبها من جرّاء لقائها بلغة أجنبية غريبة، فالترجمة لا ينبغي أن تكون مجرّد نقل خطّيٍّ قائم على آليةٍ طرفاها؛ المصدرُ و الهدف، و إنما هي تقريب و مقابلة و دمج لجملة من المنظومات الثقافية التي يتمّ استحضارها بفعل الترجمة، و توجيهها بفعل التلقّي.

و في صميم هذا التصوّر يندرج أيضا انتقاد الألمان للترجمات الفرنسية المتمركزة عرقيا، إذ يرى الشاعر الألماني الكبير « أننا – و يقصد الألمان – حينما نترجم كالفرنسيين، فإننا نجبر أنفسنا على الانتقال إلى وضع البلد الأجنبي لا لشيء سوى لتملّك روح الأجنبي و تمثّله، ثمّ تقديمه على أنه روحنا المحض»[2]، و من الممكن أن يتساءل

1- قادة مبروك، فن الترجمة الأدبية: دراسة تطبيقية، دار ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص.24.
2 - GOETHE, Johann Wolfgang von, *Le Divan occiental-oriental*, tr. H. Lichtenberger, Paris, Aubier-Montaigne, 1963, p. 431.

المرء ههنا مع *ميشال آوستينوف* فيما إذا كانت الترجمة « ترمي إلى أن تكون الأصل في حدّ ذاته و ليس مجرّد نسخة ثانية.»[1]

و من اللافت انّ السّجال حول الترجمة و أساليبها في النظرية الثقافية قد أخذ أبعادا اجتماعية و أيديولوجية، و مسّ أخلاقيات الترجمة، و احترام الأجنبي و الضيافة بين اللغات و الثقافات، و نأى بجانبه عن النقاش التقليدي حول الوفاء للفظ أو للمعنى، أي الثنائية التقليدية منذ سيسرون و سان جيروم، و إن كانت تلك الثنائية التأسيسية ما تزال قائمة و لكن في تجلّيات و مفاهيم مختلفة، لقد بات يركّز على اكتشاف أفق رحب جديد أمام المتلقّي من دون أن يفصله عن عاداته و قيمه.

لا شكّ أنه في مثل هذه الحال يكون المتلقّي قادرا على العطاء من خلال القراءة في لغته لنصّ كتب قبل ذلك بلغة أخرى دون أن يفقد النص الأصلي أصالته وجماله، بل وطابعه بما هو نصّ أجنبي، كما لا يتضرر في الوقت نفسه جوهر اللغة المستقبِلة، «وإذا كان ينبغي على المترجم أن يُمسك بناصية اللغة التي ينقل إليها، فلا ينبغي أن يُكْرِهَها على ركوب المحال، بل يتوسّل إليها و يخضعها أحيانا للامتحان، دون أنْ يُنزِلَ بها العذاب أو ينتهك حرماتها.»[2]

فالترجمة و الحالة هذه لا تعني إعادة الإنتاج، و إنما تعني التكييف و المواءمة، وتُدرك على أنها عبور من ثقافة إلى أخرى بكلّ ما تحمله الثقافة من عناصر لا يمكن تجاوزها و القفز عنها، و قد يتعلّق المر احيانا باستقبال الغير أو الآخر، أي الغريب مع احترام هذه "الغيرية" أكثر من تعلّقه باستيعاب الآخر و احتوائه.

لأنّ المترجم « يكابد و يعاني التعارضات التي تتناول مجال الترجمة، مثل التعارض بين اختلاف اللغات و تشابهها، و التعارض بين قابليتها للترجمة و عدم قابليتها لها، والتعارض بين استرجاع المعنى و استنساخ المبنى.»[3]

تُعرَف النظرية التفسيرية أيضا بنظرية المعنى، و يُطلق عليها أحيانا نظرية مدرسة باريس، و تقوم هذه النظرية على مبدأ أساس مفاده أنّ الترجمة ليست اشتغالا على اللغة و على الكلمات،و إنما هي اشتغالٌ على الرسالة و على المعنى.

و سواء أكانت الترجمة شفهية أو مكتوبة، أدبية أو تقنية، فإنّ الفعل الترجمي يقوم دائمًا على شقين؛ الفهم أولا ثم إعادة الصياغة من أجل الإفهام، و يتعلّق الأمر بتجريد

1 - OUSTINOFF, Michael, *la traduction*, presses universitaires, , Paris, 2. ed, 2009, p.63.
2 - جورج شتاينر و مجموعة من الكتاب، علم الترجمة دراسات في فلسفته و تطبيقاته، مذكور سابقا، ص. 104.
3 - طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة: الفلسفة و الترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999، ص. 177.

المعنى و سلخه من اللفظ بعد فهمه ***(deverbalisation)***، ثم إعادة الصياغة أو إعادة التعبير في لغة الوصول، و يعود الفضل إلى ***دانيكا سليسكوفيتش Danica Seleskovitch*** و ***ماريان ليديرار Mariane Lederer***، اللتين أنشأتا هذه النظرية و دافعتا عنها بحماس شديد، وحاولتا من خلال أعمال كثيرة أن هذا المسار و هذه الآلية ليست مهمّة فحسب و إنما هي عملية طبيعية جدّا.

تقتضي هاتان العمليان أن يكون المترجم محيطا بقدر كبير و واسع من المعارف والمهارات؛ المعرفة و الإلمام بلغة النص و ثقافتها، و فهم الموضوع، و إتقان لغة الصياغة و التعبير وهي اللغة المستهدفة، و على المترجم أن يتبنى منهجية قائمة على استجابات دقيقة تيسّر له الخلوص إلى نتائج مُرضية من التكافؤات، و أن لا يظلّ حبيس المقابلات اللغوية البسيطة.

فالنظرية التفسيرية تنبني أساسا على « عملية فهم النص الأصلي ثمّ تجريده أوتعريته و"سلخه" من شكله اللغوي، لتنتهي إلى إعادة بناء المعنى و صياغته في لغة الوصول، والتعبير عن كل المشاعر و الأحاسيس المدركة، و هي عملية يمكن تطبيقها في الترجمة الشفوية أو التحريرية على حدّ سواء.»[1]

يستند المترجم في ذلك على جملة من الأمثلة و الشواهد الأدبية و الفنية على حدّ سواء، يستلّها من ممارساته العملية و خبرته في الترجمة ليستدلّ بها على أنّ الفعل الترجمي يستدعى عملا مضنيا في البحث عن المعنى، تلي ذلك مرحلة إعادة الصياغة وإعادة بناء المعنى في لغة التلقي انطلاقا من إرساء المكافئات الطبيعية.

يستند المترجم في ذلك على جملة من الأمثلة و الشواهد الأدبية و الفنية على حدّ إن النظرية التفسيرية و إن كانت مبادؤها صالحة أيضا للتطبيق في ميدان الترجمة التحريرية، فقد ألقت بثقلها على الترجمة الفورية الشفوية، و قد حدّدت دور المترجم في ضمان فهم تام و كامل فيما بين الأطراف المعنية بالتواصل، أي بين المتكلم/المؤلف من جهة والمتلقّي من جهة ثانية، و ذلك حرصا على نقل «كل الشيات و الإيحاءات الدقيقة لأفكارهم ومشاعرهم»[2]، و يعيد المترجم إنتاج الخطاب الذي سمعه للتو بعد ان يكون قد قيّد عنده عددا من الإشارات والعلامات التي يهتدي بها، إذ لا يستطيع حفظ الكلمات جميعها على المستوى المعجمي، ولكي تكون ترجمته على قدر من الفعالية و الإصابة، فإنه لا ينبغي أن يصبّ اهتماهه في عمله الترجمي على الكلمات و لا على اللغة من حيث

1 - LEDERER, Marianne, *La traduction aujourd'hui, Le modèle interprétatif,* Hachette, collection F, 1994, p.11.

2 - SELESKOVITCH, Danica, *Langage, langues et mémoire. Étude de la prise de notes en interprétation consécutive*, Paris, Minard, 1975, p.34.

هي لغة، بل على المعنى، إذ عليه أن يصوغ رسالة مكافئة ، لتحقيق النتيجة نفسها، و إحداث الأثر نفسه.

فالترجمة على نحو من النحاء فعلٌ تأويلي من حيث المبدأ، « وعلاقة الترجمة بالتأويل شبيهة إلى حدّ بعيد بعلاقة اللغة بالكلام»[1]، و التاويل من جهته وثيق الصلة بعملية الفهم، و الترجمة تنتقل من الفهم أولا لتصل عبر إعادة التعبير والإنشاء إلى مرحلة الإفهام في اللغة المستقبلة، و تلك إشارة قريبة إلى النوع الثاني الذي اقترحه *نيومارك* في تقسيمه الترجمة إلى نوعين، «أحدهما دلالي يقوم على النحو و الإعراب متقيّدا بالأصل، و الثاني تبليغي هدفه الإفهام و التأثير في المتلقّي»[2]، و قريب أيضا من التكافؤ التأثير/الدينامي كما طرحه *نايدا* ، و لعلّ الواجب الذي يقع على كاهل المترجم بالإضافة إلى الفهم الدقيق للرسالة أي المعنى، هو أنّه مطالب من جهة لغة الوصول أن يحسن نقل المعنى بما يضمن الفهم، و كلّ ذلك انطلاقا من مهارات يكون قد تعلّمها و أتقنها، و بما يضفيه على النص الناتج من نبض لغة الوصول و حيويتها و حرارتها، حتى لكأنه ينطق بثقافتها ويعكس ذوقها و عبقريتها، و ينزل عند ذوق المتلقّي، فهل يعني ذلك أنّه « مطالبٌ بأن يُخرج نصًّا يوحي بأنه كُتب أصلا باللغة المترجم إليها، أي إنه مطالب بأن يبدوَ كاتبا أصيلا و إن لم يكن كذلك.»[3]

كما أنّ أحد أنواع الترجمة التي يفصّل في بسطها و تعريفها الفيلسوف المغربي طه عبد الرّحمن[4]، و إن كان يخُصّ بذلك النصّ الفلسفي أو الترجمة الفلسفية، غير أنّ توصيفه ذلك يمكن تعميمه على الترجمة في مختلف أنواعها، لأنه يشير إلى مكانة المتلقّي في الفعل الترجمي، و يرتبط على نحو ما بالنظرية التفسيرية، لا سيما النوع الذي يطلق عليه "الترجمة التأصيلية"، فقد جعل الترجمة أنواعا ثلاثة: فأما الأول فهو الترجمة التحصيلية، وهي ترجمة حرفية تلتزم بالأشكال التعبيرية للأصل، « والمترجم التحصيلي إذن هو عبارة عن المترجم الذي ينقل النص الفلسفي على مقتضى التحصيل، لا فرق بينه وبين المتعلم، إلا أن هذا يتلقى تعلمه بقصد التمكن فيه، وهو يتلقاه بقصد تمكين المتلقي منه»[5]، و أما الثاني فيسمّيه الترجمة التوصيلية، و هي الترجمة الأمينة التي لا تلتزم بحرفية النص الأصلي في لغته و تراكيبه و انماطه التعبيرية، غير أنها تتمسك بما يسمّه الحرفية المضمونية، في شكل من أشكال المحاكاة للمضمون الأصلي، لكنّها متحرّرة من هاجس اللغة و الألفاظ، و لكنْ يستحوذ عليها هاجس المعرفة والأفكار.

1- أحمد إبراهيم، و آخرون، التأويل و الترجمة؛ مقاربات لآليات الفهم و التفسير، تأليف جماعي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009، ص.11.

2 - محمد الديداوي، الترجمة والتواصل، دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص. 80-81.

3 - محمد عناني، فن الترجمة، الشركة المصرية العامة للنشر، ط1، 1992، ص.7.

4 - طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة: الفلسفة و الترجمة، مذكور سابقا، ص. 236-362.

5 - نفسه، ص. 305.

« و المترجم التوصيلي إذن هو المترجم الذي ينقل النص الفلسفي على مقتضى التوصيل، لا فارق بينه وبين الراوي، إلا أن هذا ينقل ما علم به بقصد إخبار المتلقي، بينما هو ينقله إليه بقصد تعليمه»[1]، أي تعليم المتلقي.

و أما النوع الثالث، فهو الترجمة التأصيلية، و هي التي تستند في النقل إلى التصرّف في النص الأصلي إن في الأشكال أو في المضامين، و ذلك ليستجيب لعبقرية اللغة المستهدفة، و يناسب أفق انتظار المتلقّي بالمعنى التداولي، حتى ينزّل النص المترجم عند المتلقي منزلة الأصل، بما يُكسبُ المتلقي مُكنةً و مقدرة على فهم المنقول و التفاعل معه، «فالمترجم التأصيلي هو المترجم الذي ينقل النص الفلسفي على مقتضى التأصيل، لا فارق بينه وبين المؤلف سوى أن هذا ينشئ ابتداءً من نصوص متفرقة معلومة وغير معلومة، دامجاً بعضها في بعض، وذاك ينشئ ابتداء من نص واحد معلوم دامجا بعضه في بعض.»[2]

تحاول النظرية التفسيرية من جهة اخرى ان تجيب عن السؤال الذي تراه مغلوطا وغير مطروح بشكل سليم حول الأمانة و الخيانة، و ترى بأن المترجم إذا استطاع أو كان عليه لزاما أن يتصرّف بحرية في شكل النص الأصلي، فإنه لا يملك القدر نفسه من الحرية حينما يتعلق الأمر بالمعنى، و معيار الحرية في الترجمة هو درجة الوفاء للمعنى، المعنى مدرَكا ليس بوصفه مقابلا للفظ، و إنما بما هو أثر عام ناشئ عن النص برمّته، و موجَّه إلى المتلقّي، كما أنّ المؤلف الأصلي غير موجود بالنسبة للمتلقي، فالمترجم يمحوه ثمّ يعوّضه.

إنّ الترجمة من منظور النظرية التفسيرية إنْ هي إلا حلقة في سلسلة التواصل التي تزجّ بالقارئ في علاقة حميمة مع مؤلف النص الأصل من خلال المراحل الثلاث التي يستدعيها التفسير، و هي مراحل متداخلة في جوهرها و يصعب الفصل بينها عمليا، لأنها تنشأ و تتجلى كعمليات ذهنية مندمجة و ليست متتابعة ميكانيكيا، و إنما يتمّ الفصل بينها من أجل تيسير فهمها و تقريب تمثّلها و تصوّرها في مسار الفعل الترجمي، و تقوم كما أسلفنا على: فهم المعنى أولا ثمّ تعريته من ألفاظه الأصلية، فإعادة الصياغة و التعبير، وتكتسي مرحلة التعرية أهميتها من جهة أنها تجنّب المترجم الوقوع في نوع من الترجمة الحرفية التي تفرز في الغالب إلى المحاكاة اللغوية الممجوجة.

ذلك أنّ عدم تجريد المعنى و تعريته من بنيته المعجمية يفضي بالضرورة إلى ترجمة حرفية، وترى *لودبرير* أن هذه المرحلة في المسار الترجمي مرحلة ضرورية من الناحية المنهجية، وأن المترجم الذي يغفل عنها أو يتجاهلها إنما يجعل مهمته أكثر صعوبة

1 - نفسه، ص. 336.
2 - نفسه، ص. 262.

وتعقيدا، و أنّ الذين لا يدركون أهميتها، على حدّ قولها، « إما أنهم يصوغون ترجمتهم وأعينهم مشدودة إلى النص الأصل، وإما أنهم لا يصوغون الجمل و العبارات صياغة ذهنية قبل أن يحرروها على الورق، وتكون النتيجة كارثية إذا عبروا عن فكرة متحررة كليا من دثارها اللفظي»[1] مما يوقع المترجم في كثير من الأخطاء، و لقد كان ينبغي من أجل التعبير عنها تعبيرا سليما أن يتم فهمها بعيدا عن بنيتها اللغوية.

إن المترجم يفسر كلمات النص الأصلي من أجل فهم معناه، ثم يعيد صياغته لينتج نصا ثانيا في اللغة المستقبلة، على أن يكون تأثيره في المتلقّي الثاني هو نفسه تأثير النص الأول في قرائه، و إذا كان هدف الترجمة في عرف النظريات اللسانية هو نقل المادة اللغوية، فإنه في النظرية التفسيرية هو نقل معنى القول ذلك إن المعنى مهما كانت قيمته التواصلية هو الغاية القصوى التي تسعى اللغة إلى بلوغها، وهو جوهر العلاقات بين البشر، كما أنه الهدف الذي ترمي إليه الترجمة.

كما تتعامل النظرية التفسيرية مع النص على أنه بنية ديناميكية لا تتوقف عن إنتاج المعنى، و أنه وحدة مفتوحة ذات أبعاد ثلاثة؛ بعد أفقي تمنحه إياه النظرية اللغوية، وبعد عمودي يتمثل في ارتباط الأفكار والحجج التي يعرضها، وبعد عرضي تعكسه علاقة النص بنصوص أخرى، على خلاف النظرية اللسانية التي ترى في النص وحدة مغلقة ذات بعد واحد، مؤلفة من مجموعة متتالية من الألفاظ و الجمل في تراكيب قارّة.

«و لما كان النقل المطابق من لغة إلى أخرى ضربا من المستحيل، فقد كانت الترجمة في حقيقتها ضربا من التأويل، الأمر الذي يجعل نقل نصٍّ من لغة إلى أخرى فعلاً لا يمكن تصوّره بمعزل عن أساليب القراءة والتأويل، وعندما يجري الانتقال بنصّ من فضاء ثقافي إلى فضاء ثقافي آخر، فإنّ عمليات التأويل تصبح أشدّ تجذرا و تعقيدا.»[2]

1 - LEDERER, Marianne, *La traduction aujourd'hui*,op.cit. p.37.

2 - يوسف سلامة، ما الترجمة، الترجمة بين النقل و التأويل، مجلة الآداب، عدد 5، سنة 1999، ص.42.

الفصل الثالث

موقع التلقّي في تقنيات الترجمة

تمهيد:

إنّ تقنيات الترجمة أو اساليبها و مفاتيحها على اختلاف في التسمية، هي مجموعة من الآليات و الأدوات الإجرائية يلجأ إليها المترجم لحل مشكل يعترض سبيله عند النقل من لغة إلى أخرى، حين تنقطع به السبل و تعجز الترجمة الحرفية عن الوفاء بالمعنى.

لا شكّ أن الحاجة إلى اللجوء إلى هذه التقنيات للبحث عن المعادلات الطبيعية، تكون أكثر إلحاحا كلما كانت اللغتان المعنيتان بالترجمة أشدّ تباعدا من الناحية الثقافية ومن جهة السلالة اللغوية.

ولعلّ ما يدعو إلى استعمال هذه الإجراءات، و يلجئ المترجم إلى ركوبها هو الحفاظ على مضمون الرسالة، و الحرص على ان تصل إلى المتلقي في اللغة المستقبلة واضحة سليمة التركيب مقروءة، و منسجمة مع قواعد لغة الوصول و أعرافها.

لقد كان العمل الشهير في الأسلوبية المقارنة [1] لفيناي و داربلني – و هو الذي سنعتمده أساسا في هذا الفصل، و نرمز له في الإحالات بالرمز **SCFA** – قد كان البداية الأولى للتنظير لهذه التقنيات، و إن كان واقع الممارسة الترجمية يقرّ أن هذه التقنيات من حيث هي قواعد للحفاظ على المعنى والحرص على حسن اندماج الرسالة في لغة الوصول، كانت موجودة من الناحية العملية، و إنما جاءت الأسلوبية المقارنة لشرحها و تصنيفها.

يحصي المؤلفان فيناي و داربيلني، إجراءات كثيرة و متعدّدة لكنهما يختزلانها في سبعة فقط، ذلك أن هذه الإجراءات و إن بدت متعددة غير أنّه يمكن أن ترجع في نهاية المطاف إلى سبعة:

« Ces procédés apparaissent multiples, mais se laissent ramener à sept. »[2]

و يمكن استعمال إجراء واحدٍ على حدة، كما يمكن استعمال أكثر من إجراء في الوقت ذاته، أي أنْ تستعمل الإجراءات مركّبة وفق ما تقتضيه طبيعة النص المترجم ونوع المشكلة الدلالية او اللغوية التي تعترض سبيل الترجمة؛

« ...et peuvent s'employer isolement ou à l'état combiné.. »[3]

كما تنقسم إجراءات الترجمة إلى قسمين يتوزّعان إجراءات الترجمة، إذ تنضوي تحت كل قسم منهما جملة من التقنيات:

- تقنيات الترجمة المباشرة: ***Traduction directe***

- تقنيات الترجمة غير المباشرة ***Traduction indirete, ou oblique***

فأما الفئة الولى فإنّ المترجم يلجأ إلى استعمالها حينما يكون بين النصين أو اللغتين نوع من التقارب و التوازي على المستوى البنيوي و التركيبي، و كذلك على المستوى المفاهيمي أي المعارف غير اللغوية ***extralinguistiques*** لكن إذا ما اعترضته "ثغرات" و فجوات في لغة الوصول كغياب المعادل الطبيعي أو اختلاف على مستوى التركيب، فإنه مضطرّ إلى للجوء إلى النوع الثاني، لأنّ النص لا يسلس قياده إلا بها، ثمّ غنّ هذا التصنيف في حدّ ذاته متعلّق بالكيفية التي يوجّه بها المترجم عمله و الاستراتيجية التي يوظفها و الخيارات التي يتّخذها، و إذا كانت إجراءات الترجمة المباشرة تتجه نحو لغة الانطلاق، فإن إجراءات الترجمة غير المباشرة تتجه صوب لغة الوصول و ثقافتها، وغذا كانت الأولى تعاج بالمشكلات اللغوية و البنيوية، فإن الثانية تشتغل على تذليل الصعوبات

1 - VINAY, J.-P. et J. DARBELNET : 1- ***Stylistique comparée du français et de l'anglais: méthode de traduction,*** Montréal, Beauchemin, 1958.
2 - SCFA, p. 46.
3 - Ibid, même page.

المفاهيمية و الثقافية و الحضارية بين اللغتين، و لكنّ الهدف الذي تسعى إليه جميعها هو ان تقدّم للمتلقّي رسالة سليمة تركيبيا و مفهومة دلاليا و مقبولة أسلوبيا.

نسمي "اقتراضا" في اللسانيات، و تحديدا في علم الاشتقاق والألسنية المقارنة عملية إقحام لفظة أو عبارة في البنية المعجمية للغة ما، بعد أن يؤتى بها من لغة أخرى، ويكون الاقتراض إما مباشرا (*أن تقترض لغة – أ – من لغة – ب- دونما وساطة*) ، وإما غير مباشر (*أن تقترض لغة – أ – من لغة – ب – عبر لغة أو لغات أخرى وسيطة – ب -*)

يقوم الاقتراض على إيراد كلمة أو صيغة كما هي بحذافيرها بغية سد فجوة في اللغة الهدف أو في ثقافتها، أو من أجل إضفاء نكهة محلية[1]، كما هي الحال في ترجمة المقطع الآتي من قصة " ألف ليلة و ليلة "[2] : (*ولما كان ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة* ***الوزير*** *إلى شباك لتتفرج*)

« and one of those days whenpeople were assembledto play with the ball, the daughter of the Visir sat at the lattice window to amuse herself by looking at them. »

ويعد الاقتراض أيسر مفاتيح الترجمة ، و يكون إما معجميا أو تركيبيا أو دلاليا؛ فأما الاقتراض المعجمي فيقوم ، كما يوحي اسمه، على استعمال لفظ في اللغة الهدف، هو في الأصل أجنبي عنها (*لا ينتمي إلى معجمها الطبيعي*)

و أما الاقتراض التركيبي ، فيقوم على استقدام تركيب نحوي هو حكر على لغة أجنبية، كالعبارة التي تستعمل أحيانا في "الكيبيك" : ***la personne que je sort avec***، بدلا عن : ***la personne avec laquelle je sors***، *(فالأولى* اقتراض *من التركيب النحوي الإنجليزي)*، أما الاقتراض الدلالي، فهو لإسناد معنى جديد إلى لفظ موجود سلفا في لغة ما ؛ فاللفظ الإسباني ***panel*** الذي يعني مأطورة من خشب أو مادة أخرى، قد اكتسب معنى اللفظ الإنجليزي ***panel*** الذي يعني ثلة من الأفراد قد اجتمعوا لغـــرض محدد: لجنة تحـقيـــق، لجنة قضائية ...إلخ

و الاقتراض في تعريف آخر، هو استخدام عنصر معجمي على أصله في اللغة المتن بغرض التوظيف، أو لغياب المكافئ، أو لإضفاء مسحة بيانية، ولما كان الاقتراض أسلس مفاتيح الترجمة وأقربها مأخذا، لم يكن ليشتغل بال المترجم، إذا لم تدعه الحاجة أحيانا إلى اللجوء إليه مختارا لتحقيق بعض السمات الأسلوبية

1 - SCFA, p.47.

2 - محمد الديداوي، الترجمة و التعريب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2002، ص. 85.

وثمة ألفاظ قد اقترضت قديما، لم تعد تُرى كذلك في نظر المترجم، لأنه ومع مر الزمن، أمكن للاقتراضات القديمة أن **تُمَعجَم أو تتمعجم**[1] بحكم الاستعمال ، حتى يزول عنها أثر الاقتراض، بما أنها أُدمِجت في صميم مفردات اللغة المقترِضة، و أصبحت ذات وظيفة فيها.

فعدد غير يسير من الألفاظ المقترَضة هي من القِدَم بحيث لا يتأتى إلا للبصير بعلم الاشتقاق تمييزها بأنها اقتراض، ومثال ذلك في الفرنسية ***alcool*** التي ترجع إلى العربية ***paquebot*** و ***redingote*** اللتان تعودان إلى الإنجليزية ، وهلم جرا، وفي العربية ألفاظ اقتبستها من بعض اللغات لا تحس فيها " **ريح** الاقتراض " ، ومنها على سبيل الاستدلال:

من الآرمية : اسبوع ، أنبوب ، تلميذ ، تنين ، ثريا.

من الفارسية : أسطوانة ، إستبرق ، إيوان ، برنامج ، برهان ، بنفسج.

من اللاّتينية : إمبراطور ، بارجة ، بلاط ، قرصان ، منديل.

من العبرية: آمين ، تابوت ، حاخام ، سبت ، شيطان.

من الفرنسية: برلمان ، جنرال ، مليار.

من الإيطالية: بارون ، برتقال ، برميل ، بورصة.

من الإسبانية: بطاطا ، تبغ ، ريال.[2]

إن الألفاظ الناشئة عن الاقتراض، مع أنها طبعا، أقل عددا من الألفاظ المتوارثة في اللغة الأم، إذا استثنينا اللغات المَزيج كلغات المستعمرات ***crèoles***، أوالرطانة الإنجليزية التي تستخدم في بعض الموانئ الصينية لأغراض تجارية **pidgins** ، إلا أنها متداولة على أوسع نطاق في مفردات اللغات، لأنها تمد اللغة مثلا بأسماء الابتكارات الحديثة ، والمسألة برمتها تكاد أن تكون عملية لا واعية لدى المتكلمين.

غير خاف أن المتكلم الغفل (العادي)، لا يعي دائما بأنه يستعمل في كلامه ألفاظا أجنبية، فهي لا تبدو كذلك في نظره لأن بعض الألفاظ المقترضة قديما، قد تم تعديلها بما يتماشى وأنظمة اللغة الهدف(النظام الصوتي، النحوي، الصرفي، الإملائي).

1- اللفظ من اقتراحنا، تمعجمَ اللفظ إذا صار من صميم مفردات لغة ما بعد أن تكون تبنّته عبر الاقتراض، و هو في الأصيل أجنبي عنها دخيل.

2 - هذه الأمثلة من الاقتراضات و غيرها، يسوقها محمد الديداوي في الترجمة و التعريب، ص. 87.

بينما تظل بعض الكلمات في المقابل أجنبية، وهي تلك التي لم تتمثلها لغة المستقر تمثلا كاملا، إما لأن رسمها أو نطقها بعيد عن الأعراف الإملائية و الصوتية للغة الهدف، أو لأنها ذات استعمال نادر أو محدود.

و إذا حدث و أن كان مرادف الكلمة المقترضة موجودا في اللغة الهدف، فمن المحتمل أن يتجاور الاثنان و يتعايشا، إلى أن يزيح أحدهما الآخر، أو يتغير معنى أحدهما لتفادي الحشو و الإطناب.

فاقتراض اللفظ الأجنبي رغم وجود نظير أصيل له يعبر عن المعنى نفسه، يؤدي إلى تطور في دلالة اللفظ الأصيل، فينزوي إلى ركن متواضع من الدلالات الأصلية، قانعا بها و لا يتعدى حدودها، أو يقتصر استعماله على مجال معين أو وسط اجتماعي خاص، و تغدو السيادة حينئذ للفظ الأجنبي، فإذا لم يندثر اللفظ الأصيل و لم تنكمش دلالته، عاش مع اللفظ الأجنبي ، ليكونا مترادفين.[1]

ومثاله أن العرب قديما قد عرفوا لفظ "الحرير"، ثم استعاروا له لفظا من لغات أخرى " السندس – استبرق – الديباج"[2] ، و أبى تجار العرب إلا أن يخصوا تلك الألفاظ الأجنبية بصفات خاصة طلبا لرواج بضاعتهم، حتى انزوت دلالة الحرير واقتصرت على المعنى العام.

وللإيضاح يمكن أن نسرد حقائق عن الاقتراض في الفرنسية :

إذ من بين 35000 كلمة في قاموس عادي، نجد 4200 كلمة هي من أصل أجنبي؛ وتتوزع نسب اللغات الأصول لهذه الاقتراضات كالآتي

الإنجليزية (25%) - الإيطالية (16,8%) - الفرنسية (13%)- العربية (5,1%)

و تؤكّد باحثة من اللغويين المحدثين أنها فحصت معجما فرنسيا يشتمل على 4635 كلمة، فوجد فيها 2028 كلمة فقط من الأصل اللاتيني الذي يعد المصدر الأصيل للغة الفرنسية، أما باقي الألفاظ فأصولها من لغات مختلفة، موزعة كما يلي: [3]

من اليونانية 925 – من الألمانية 604 – من الإيطالية 285 – من الإنجليزية 154 – من العربية 146 – من الإسبانية 119 – من اللغات الأسيوية 99 – من اللغات الأمريكية

1 - إبراهيم انيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 2 ، 1963، ص. 150.

2 - ورد في اللسان: **الاستبرق** ما غلظ من الحرير، **السندس** هو رقيق الديباج و رفيعه، **الديباج** الثياب المتخذة من الإبريسم.

3 - WALTER, Henriette, L'aventures des mots français venus d'ailleurs, Laffont, paris, 1997, p.61.

الهندية 62 – من العبرية 36 – من التركية 34 – من السلافية 25 – من البرتغالية 10 – من لغات أفريقيا 6 – من الهنغارية 4 – ولغات أخرى ....

يعد الاقتراض إجراء لسانيا يقوم على نقل كلمة أو عبارة نقلا صوتيا من لغة إلى لغة أخرى، وهو ظاهرة موجودة في جميع اللغات بفعل التأثير و التأثر، و لكن ينبغي عدم اللجوء إلى الاقتراض إلا في حالة فقدان المكافئ، كما ينبغي عدم المغالاة في استعماله تفاديا لاستغلاق النص أو التباسه حتى على الناطقين باللغة المنقول إليها، فالمترجم إنما يلجأ إلى الاقتراض في الغالب، إذا استثنينا بعض الحالات المخصوصة، حينما يكابد مشقة للتعبير عن بعض المفاهيم الحضارية في اللغة المستهدفة ، ويجوز له – من أجل ضبط المعنى – أن يعزز الكلمة المقترضة بشروح توضع بين قوسين أو بهوامش تعرف في حقل الترجمة: **"بملاحظة المترجم"** « note de TN translator's note traducteur NDT »، ريثما تتبنى لغة الوصول الكلمة المقترضة فتصير من صميم معجمها و عاملا من عوامل إثرائها.

تكتب الكلمة المقترضة بخط مميز عن بقية الجملة أو النص ***(مائل مثلا*** *Italique)* إلا إذا عوملت على أنها اغتدت من جملة مفردات اللغة المقترضة

ومن أكثر حالات الاقتراض المصطلحات المستجدة، التي قد تستعصي على النقل ابتداء، وتظل على حالها، ومن أكثر وسائل الاقتراض شيوعا في العربية **"التعريب"** أي نسج المصطلح على المنوال العربي مع الحفاظ على جذوره الأصلية، ومن هنا كان الاقتراض من الوسائل الترجمية التي تتفاعل بها اللغات و تتكامل، و قد يكون حلا مؤقتا و مرحليا إلى حين التأقلم أو الاستعاضة.

لكن الاقتراض من الناحية العلمية، قد يأخذ شكلين من أشكال التوليد في اللغة العربية هما: التوليد عن طريق التعريب، مثلا: فونيتيكا، مورفيم، مورفيمات، و ذلك بتطبيق القواعد الصرفية على الكلمة المعربة، التوليد عن طريق الاقتران المتنافر و هذا من خلال ترجمة الجزء الأول من المصطلح المقترض مع تحويره، و الاكتفاء بتعريب جزئه الثاني.[1]

دواعي الاقتراض

لا شكّ ان فهم دواعي الاقتراض يساعد على تقريب فهم العلاقة بين هذه التقنية وبين فعل التلقّي، فما هي الدواعي التي تدفع إلى اقتراض كلمة و استعمالها كما هي في لغة الوصول.

1 - إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، مشاكل و حلول، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2003، ص. 136.

ترجع ظاهرة الاقتراض بين اللغات إلى عوامل كثيرة و متضافرة، من دون أن يلغي بعضها بعضا، و من تلك الدواعي افتقاد الدال في اللغة المقترضة لمدلول ظهر حديثا، كما هو الشأن عند اكتشاف نباتات أو حيوانات لم تكن معروفة، يتمّ اقتراض اسمائها رأسا من لغات البلاد التي عرفت فيها أول مرة : cafè تعود إلى الكلمة العربية **"قهوة"** ، انتقلت إلى التركية على هيئة: qahve ثم دخلت إلى الفرنسية، و كلمة Alcôve دخلت إلى الفرنسية عبر الإسبانية alcoba ، وكذلك alcade القاضي و algèbre الجبر.

يغدو الاقتراض، عند الاحتكاك الحضاري و اللغوي لأسباب تاريخية، أمرا متواترا وشائعا، فلفظة wassingue المستعملة في شمال فرنسا، هي اقتراض من **الفلمندية** [1] لأن هذه الضواحي من فرنسا كانت على اتصال مع لبلدان التي تتحدث هذه اللغة، و لقد زودت "الفرنسيك" اللغة الفرنسية بعدد هائل من المفردات؛ فالشعوب المتجاورة لا تتبادل السلع و الأفكار فحسب، بل والكلمات أيضا، و لنا أن نستحضر هنا مثلا الكلمات الفارسية التي تسللت إلى العربية، لأن الحضارتين كانتا متناخمتين، وإن بعض الكلمات الأجنبية قد وقع اقتراضها لأنها ربما كانت أكثر تداولا من الكلمات الأصلية.

ومن عوامل الاقتراض أن تكون لبلد ما غلبة سياسية أو ثقافية أو اقتصادية ؛ إذ إن لغة البلد المهيمن يكون لها سلطان في إمداد لغات أخرى بالألفاظ و المصطلحات.

فالقاموس العسكري، و الألفاظ المتعلقة بالرتب و التصنيفات العسكرية في معظم الجيوش الأوروبية، مستمد من اللغة الفرنسية حين كانت فرنسا في فترة من الفترات نموذجا يحتذى في التنظيم العسكري، وكذلك الشأن مع اللغة الإيطالية في ميدان الموسيقى (adagio piano) ، واللغة الإنجليزية في مجال الإعلام الآلي (bit , bug)، أو في مجال التسيير (manager, staff, marketing, budget)

وما انفكت اللغة العربية تمد لغات أوروبا ببعض مصطلحات العلوم،لاسيما في الكيمياء والفلك وعلم الهيئة، غداة كانت الحضارة الإسلامية ترفل في أنوار العلم والمعرفة، بينما كانت أرجاء أوربا تترنح في ظلمات الجهل، وما تزال تلكم المصطلحات قابعة في قواميس عديد من اللغات الأوروبية شاهدة على ذلك، و تنطق بالريادة العربية.

Almicantarat, algorithme, alizarine, arak, élixir, calibre, amalgame ...etc

1 - **FLAMAND** : n.m ; ensemble de parlers néerlandais utilisés en Belgique et dans la région de Dunkerque.

قد يكون الاقتراض أيضا ملمحا من ملامح " الموضة "، أي مجرد رغبة في تقليد ثقافة يرى مقلودها أنها ذات بريق و سحر، وفي مثل هذه الحال لا تكون الكلمة المقترضة سوى رديف لكلمة موجودة أصلا، كما أن مثل هذا الاقتراض يصنف، لدى خضوعه لمعايير اللغة وسننها، على أنه فساد في الذوق وضعف في التعبير و كسل عن الإبداع اللغوي؛ فاستعمال الفعل poster في الفرنسية بدلا عن publier ، يعد "**نَجْلزة**"،[1] على الفعل poster ليس له ذات المفهوم الذي للفعل to post في اللغة الإنجليزية، *(إذهما صديقان كاذبان) (des faux-amis)* و الفعل publier أنسب، ثم إن اقتراضا هذا شأنه، لا يعدو أن يكون ترفا لغويا ليس إلا، ومن ثم لا تتبناه اللغة المقترضة و لن يجد له فيها قرارا.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنه قد تمت بعض الأنواع من الاقتراض للحاجة الملحة، دون أن يكون للبيئة المستعار منها أي أثر ثقافي أو نفوذ سياسي في البيئة المستعيرة، في وقت ليست فيه تلك الأمة المستعار منها محل إعجاب أو موضع تقدير لحضارتها أورقيها الاجتماعي أو نهضتها السياسية، **الشمبانزي** مثلا أصلها إحدى لغات أفريقيا القديمة، و**الشيكولاته** أصلها مكسيكي...

ويحس بنا في هذا المقام أن نعرج، من باب تعميم الفائدة، على مفهوم " **الصديقان الكاذبان** – ***les faux-amis*** " لما له من صلة بالاقتراض، وبفعل الترجمة عامة، إذا قد يكون للاقتراض يد في إيجاد هذه الظاهرة.

يدخل تحت هذا المعنى الكلمات التي تتشابه لفظا أو رسما و لكن لا يمكن ترجمة إحداهما بصاحبتها، ومثل هذا التشابه الذي يقضي الالتباس، لا يكون إلا بين اللغات المتقاربة مثل الفرنسية و الإنجليزية، ويشمل هذا المصطلح الكلمات التي تتشابه في الجذور الاشتقاقية و في الرسم، غير أنّ المعاني فيها مختلفات متباينة.

و التسمية الإنجليزية *false friend* إن هي إلا محاكاة للتسمية الفرنسية، ناهيك عن أن بعض الألسنيين الإنجليز إنما يكتفون بإقتراض الصيغة الفرنسية كما هي *faux-amis* غير أن الحريصين منهم على اللغة يفضلون الصيغة: *false cognate*.

الصديق المزيف: كلمة لها مبنى واحد أو متشابه في لغتين اثنين، لكن لها في كل لغة معنى مختلفا، وهذا الاشتباه قد يفضي بمتعلم اللغة إلى الالتباس و استعمال اللفظ لغير معناه، ذلك أنه و إن تشابهت الكلمتان قليلا أو كثيرا، إلا أنه لا يصح ترجمة إحداهما بصاحبتها.

1 - اللفظ من اقتراحنا، "**نجلزة**" ليقابل ***Anglicisme***: *donner un air, un accent anglais*

و الكلمات الإنجليزية التي هي من قبيل **"الصديق المزيف"** ، هي الكلمات التي توحي إلى الذهن بكلمات أخرى مشابهة لها في اللغة الفرنسية، على أنه لا ينبغي الخلط بين هذه وتلك، و إن وجود مثل هذه الكلمات قلما يكون وليد المصادفة، إذ قد يرجع السبب في الغالب، إلى الاشتراك في الجذور اللغوية، أو إلى الاقتراض المتبادل بين الفرنسية و الإنجليزية .

تطبيع الألفاظ المقترضة

إنّ تطبيع الألفاظ المقترضة، و تعديلها بما يتناسب مع لغة الوصول، لهو خير دليل على تحقيق فرصة الفهم لدى المتلقّي، إذ تقوم آلية التطبيع على جعل الكلمات من حيث هي كلمات موافقة لأنظمة اللغة المستهدفة، و موافقة للقواعد المعجمية و الدلالية والتركيبية التي يألفها المتلقّي في لغته.

التطبيع الصوتي:

لا شك أن الأنظمة الصوتية للغات مختلفة لا تكون متشابهة بله متطابقة، إلا في القليل الناذر، لذلك فالألفاظ المقترضة حينما " تهاجر" من لغة إلى أخرى، تكون معرضة لتكييف صوتي، أي تطويع أصوات الكلمة بما يتماشى و النظام الصوتي للغة المستهدفة، و بخاصة إذا كان الاقتراض قد تم عبر لغات أخريات و ليس بشكل مباشر.

فلفظة "قهوة" مثلا، ذات الأصل العربي، يتعذر نطقها في الفرنسية، لأن هذه اللغة خلو من صوت (القاف) وصوت (الهاء)، لذلك حولت القاف إلى K ، لوجود تقارب نسبي بينهما، بينما طرحت الهاء تماما لأنه لا نظير لها، صوتيا، في اللسان الفرنسي.

و متى كان البون شاسعا و الاختلاف كبيرا بين النظاميْن الصوتييْن للغتين موضوع الترجمة، كان من العسير التعرّف إلى الكلمة المقترضة و ذلك لما يطالها من تحريف صوتي يبتعد بها كثيرا عن الأصل الذي صدرت عنهن و يخرج بها عن وجهها الأول.

التطبيع النحوي:

و من جهة أخرى، فإن اللفظ عندما ينتقل من لغة إلى لغة، يصبح غير قابل للتحليل الصرفي، و إنّ مما يعزز نجاعة **المَعْجَمَةِ** *(إدماج اللفظ الأجنبي في معجم اللغة المستهدفة)* أن اللفظ المتبنى يخضع نحويا لقواعد اللغة المقترضة، فالاسم *taliban* مثلا هو في العربية اسم مثنى *(مثنى طالب)*، لكن الفرنسية تعامله معاملة الاسم المفرد، وتجمعه *talibans* بزيادة حرف (s) فقط إلى آخر الاسم، جريا على قواعد الفرنسية في جمع الأسماء، كما هي الحال مع الاسم *touareg*، الذي هو في الأصل العربي جمع مفرده تارقي، و بعد تطويعه ليناسب قواعد اللغة الفرنسية، كتب: *un / des touareges*

touareg مع أن بعضهم يلح على أن يقال *un targui / des touareg* ، إلا أن التطويع النحوي يجعل اللفظ المقترض غير خاضع للتعليل و التحليل.

و نجد على نحو مشابه أن **القشتالية** *Le castillan* في جنوب أمريكا، لم تتورع عن تطويع الكلمات التي اقترضتها من الإنجليزية مثلا: فالفعل *to rent (استأجر)* يغدو بشكل طبيعي ***rentar*** ، و *to check (فحص و حقق)* يفضي الى ***checar.***

وذلك بما يناسب نظام هذه اللغة في صوغ الأفعال، كما نلاحظ غلبة بعض القوالب القياسية في تطويع الأفعال التي اقترضتها الفرنسية، إذ إن معظم هذه الأفعال يتبع في صيغته المصدرية *l'infinitif* نظام المجموعة الأولى **er** مثل *kindapper*.

التطبيع الدلالي:

و قد يحدث أثناء الاقتراض أن تتغير دلالات الكلمات المقترضة، لا سيما إذا كانت اللغات التي تتبادل الكلمات متباعدة في المنشأ و السلالة، فإذا نحن رجعنا إلى المثال السابق: taliban، نقف على أن قاموس" Le Petit Robert " يعرفه كالتالي: "عضو في حركة اسلامية مقاتلة في افغانستان، وتزعم تطبيق أحكام القرآن حرفيا (وتدعو الى تطبيق احكام الشريعة)" في حين أن اللفظ لا يحيل في العربية إلا على معنى بسيط هو: طالب في علوم الدين،(أي طالب يدرس الشريعة الإسلامية)، وقد اقترضت الفرنسية هذه الكلمة خلال الأحداث التي شهدتها أفغانستان و تمخضت عن نشأة هذه الحركة، مع أن اللفظ " طالبان " لا يوحي في العربية بأي معنى سلبي، ثم إنه ليس حكرا، من حيث دلالته الأصلية على الأفغان وحدهم، إلا أن اللفظ يفقد أحيانا دلالته الأصلية نتيجة تقلبه و تطوره في اللغة التي نقل إليها.

و لعلنا نسوق هنا من بين أمثلة كثيرة، المفردة : *truchement* و معناها الأصلي: مترجم وسيط بين شخصين، وهو ذات المعنى الذي تحمله كلمة " ترجمان " في العربية، و مع تقلبه في الفرنسية تغيرت دلالته إلى معنى "وسيط " – كلّ وسيط – و هي في الغالب وساطة مادية، في العبارة الفرنسية *par le truchement de*، أي: بواسطة كذا.

ومن جهة ثانية، يمكن تفسير كثير من الكلمات التي تنضوي تحت ظاهرة "الأصدقاء المزيفون " بأنها إنما نشأت أول مرة نتيجة اقتراض جرى عليه تطويع دلالي، ومثال ذلك: *journey* في الإنجليزية تعني (*voyage* : **رحلة**)، و هي صديق مزيف للكلمة الفرنسية *journèe* التي تعني *(النهار)*، لكن الكلمة الإنجليزية هي في الأصل

اقتراض للكلمة الفرنسية مع تطويعها دلاليا، و ربما استوعبنا هذه العلاقة إذا تصورنا أن الرحلة كانت تتم خلال النهار أو خلال نهار واحد.

يجب اذن أن لا تخطئ النظر في أن اللفظ المقترض يفد أحيانا مفرغا من كل الإيحاءات و الدلالات السياقية الثانوية، بل و حتى من معناه القار في المعجم خارج السياق، لأن اللغة المقترضة لا تحتفظ أحيانا سوى بجانب واحد من الحقل الدلالي، أو قد تكسو اللفظ المقترض معنى آخر بعيدا تماما، يخصص الدلالة أو يختزلها في واحد من مكوناتها المعجمية .

و لعله من الجائز أن يقفز إلى ذهن المرء أن مصطلح " الاقتراض " غير دقيق، لأن اللغة في الواقع لا تقترض لفظا، و إنما تأخذه إليها بالكلية، ثم إنها لا ترد هذه الكلمة أوتلك بعد اقتراضها، ناهيك عن أن اللغة المقترضة لن تخسر بذلك شيئا، بل إن متكلميها لا يعون بالضرورة هذه الكلمات التي هي موضع اقتراض، مع أنه تجذر الاشارة إلى أن ثمة حالة من الأهمية بمكان، هي حالة الذهاب و الإياب بين اللغات: أي أن بعض الألفاظ قد تهاجر من لغة إلى أخرى من طريق الاقتراض، ثم تعود أدراجها، بفعل الاقتراض أيضا، وربما في هيئة مختلفة، إلى اللغة التي خرجت منها أول مرة ، لكأنما قد اقتُرِضتْ مرتين، وهي في حالة من الاقتراض يمكن أن نصطلح على تسميتها " **الاقتراض المكرور".**

ونذكر على سبيل المثال، لتوضيح حالة الذهاب والإياب هذه، أوما أسميناه الاقتراض المكرور، الكلمة الفرنسية *budget*، وهي اقتراض من الإنجليزية *budget* ولكن الإنجليزية نفسها كانت قد اقترضتها عن الفرنسية القديمة *bougette*، بمعنى حقيبة صغيرة من الجلد *(تصغير للكلمة bouge)*، والأمر نفسه ينسحب على الكلمة الفرنسية *tunnel* التي اقترضتها من الإنجليزية، بعد أن اقترضتها الإنجليزية نفسها ذات عصر من الفرنسية القديمة *tonnelle*، و جدير بالإشارة أن *bougette* ليست مستعملة في القاموس الفرنسي الحالي.

فاللغات يقترض و يستعير بعضها من بعض، إما لأن الألفاظ المستعارة تعبر عن أشياء تختص بها في بيئة معنية ولا وجود لها في غير هذه البيئة، أو تكون الاستعارة لمجرد الإعجاب باللفظ الاجنبي، وقد استعار العرب من الفرس و اليونان ألفاظا للتعبير عن أشياء ليست في بلاد العرب، وعمدوا إلى تلك الكلمات فحوّروا من بنيتها، وجعلوها على نسج الكلمات العربية و سموها بالمعربة، و تركوا البعض الآخر على صورته وسموه بالدخيل، فمئات من الألفاظ قد استوعبتها اللغة العربية على امتداد القرون، وقد يكتب للاقتراض التوفيق فيكون مقبولا مستساغا، أو قد يكون غير موفق فيغدو ممجوجا و

عبئا على اللغة؛ ومن الأمثلة الناجحة للاقتراض في العربية الحديثة: مناورة *manœuvre* تلفزة *télévision* ساتل *satelite* ، و من المحاولات غير الموفقة روتوشات و ميكانيزمات، بدلا عن "لمسات" و "آليات".

كما استعارت اللغات الأجنبية من اللغات العربية ألفاظا استعملتها و ما تزال تستعملها بعد أن غيرت من صورتها مثل: شراب *sirup -sirop*، الكحول *alcohol -alcool* ، منارة *minaret*.

و هناك نوع من استعارة الألفاظ يتم في ظروف أخرى تكشف عن إعجاب أمة بأمة و تأثرها بثقافتها، أو خضوعها لنفوذها السياسي، و هنا نلحظ أن مجموعة كبيرة من ألفاظ الأمة صاحبة النفوذ و السيطرة تغزو الأمة الأخرى، و تنافس ألفاظها الأصلية، فيصبح للمعنى الواحد لفظان أحدهما أصيل، و الآخر أجنبي دخيل، يسودان معا جنبا إلى جنب زمنا، ثم ينزوي اللفظ الأصلي أو يندثر، و حينئذٍ يستأثر اللفظ الأجنبي بالاحترام و التقدير لدى شريحة من المتلقّين في الأوساط الاجتماعية الراقية و في المجال الثقافي، و تلك هي الاستعارة التي تكون وليدة الحاجة الضرورية، فلا نكاد نلمح لها أثرا في تطور الدلالات أو تغييرها، بل هي مجرد تنمية لألفاظ اللغة و إضافة جديدة فيها.

و ليست كل الألفاظ قابلة للاقتراض، بل منها ما يمكن أن يسم ى"**الألفاظ العصية على الاقتراض**"، وهي عناصر قديمة في اللغة و أصيلة بحيث تعد من مميزاتها، كألفاظ الاعداد، و الضمائر، و ألفاظ الإشارة وغيرها، و الاقتراض ظاهرة طبيعية و مألوفة بين اللغات، و له أثر في تطور الدلالات، بل هو دليل على حياة اللغة و حراكها، حتى إننا نكاد لا نعثر على لغة " نقية " خلو من أي عنصر أجنبي، اللهم إلا بين عدد قليل من لغات القبائل البدائية.

تستعرض " إنعام بيوض " آراء بعض منظري الترجمة في الاقتراض نوجزها في ما يلي :

يحتل الاقتراض المكانة الاولى من بين أساليب الترجمة التي يقترحها ***نيومارك***، ويسميه الكتابة الصوتية *(transcription)*، وهو يميز بين الاقتراض الثابت في اللغة المستهدفة و المتمثل في الكلمات المتبناة (*Adopted words*) وبين الاقتراض غير الثابت و التمثل في الكلمات المستعارة (*Loan words*) ويقر **نيومارك** بأن بعض أساطين الترجمة لا يعترفون بهذا الأسلوب كواحد من أساليب الترجمة، لكنه يرى أنه من الضروري أن يعد كذلك، إذ كيف نسمي الحالة التي يستعمل فيها المترجم كلمة من اللغة المتن كما هي في نصه.

لا ينبغي استعمال هذا الأسلوب حسب **نيومارك**، إلا فيما يتعلق بالمفاهيم والأسماء أو الكلمات الثقافية، مثل أسماء الأشخاص (*أسماء العلم*)، أسماء البلدان وأسماء الدوريات و الجرائد و عناوين الأعمال الأدبية غير المترجمة و الأفلام و أسماء الشركات و الهيئات الخاصة، و أسماء الشوارع...[1]

يرى **لادميرال** أن بإمكان المترجم أن يلجأ إلى "الحل اليائس" – يعني بذلك الاقتراض – عندما تواجهه كلمة لا مقابل لها، و أنّ الاقتراض قد يكتسب قيمة أسلوبية بإضفاء "النكهة المحلية" (*Couleur local*)، و لكنه يعتقد من جهة أخرى أنه مادام الاقتراض يستورد دالا من اللغة المتن "*Signifié source* " ، فمن المفترض أن يكون مشفوعا بشرح في شكل تذييل ملاحظة أو حاشية أو بسياق يزيل الغموض عنه، على أن **لادميرال** يرى أن الاقتراض لم يبلغ بعدُ درجة الترجمة *pas encore de la traduction*.[2]

يصف **جورج مونان** الاقتراض بأنه " لايترجم qui ne traduit pas " ، لكنه من ضروري لوجود بعض الصعوبة في الترجمة، لا يفرضها مجرد الانتقال من لغة إلى لغة، بل من حضارة إلى حضارة، و عندما لا تسافر بعض الألفاظ، فإن انتقالها من حضارة إلى أخرى كمفهوم يتم على شاكلة الاقتراض المشروح(*L'emprunt glosé*)، وهكذا تنتقل إلى اللغات آلاف الكلمات مع مفاهيمها إلى أن تصبح من الألفة بحيث تبطل الحواشي و الشروح، مما يشكل – كما يذكر **مونان** – معينا تجابه به اللغات إشكالية تعذر الترجمة.

المحاكاة:

المحاكاة نوع من الاقتراض، فهي اقتراض للصيغة التركيبية برمتها من لغة أجنبية مع ترجمة مكوناتها (المفردات) ترجمة حرفية، وهي، في تعريف آخر، نقل لتعبير من لغة إلى أخرى مع ترجمة العناصر التي تكونه حرفية، و كما هي الحال في الاقتراض، توجد محاكيات قديمة ترجع إلى عهد بعيد، وقد طرأت عليها تغييرات دلالية و ثبتت في المعاجم، إلا أن ما يعني به المترجم إنما هو الحالات الحديثة و المعاصرة من المحاكاة التي تنتج عن محاولة لتفادي الاقتراض بسد ثغره أو تعويض نقص في اللغة المستهدفة.

تعرف المحاكاة في اللسانيات المقارنة، و في ميدان الترجمة تحديدا، بأنها اقتراض على نحو مخصوص، من جهة أن التعبير المقترض قد ترجم ترجمة حرفية من لغة إلى أخرى مع استلهام الألفاظ معجميا قبل النظر في معانيها و مقاصدها.

1 - نيومارك، بيتر، الجامع في الترجمة، تر: حسن غزالة، د ط، دت، ص.108.

2 - **LADMIRAL, Jean René,** *Traduire: théorèmes pour la traduction*, op.cit, p.114.

المحاكاة هي أحد مفاتيح الترجمة و تقوم على ترجمة تعبير أو لفظ ترجمة حرفية، وذلك بنقل مكوناته كلمة بكلمة من لغة المتن إلى لغة المستقر، و تكتسي في اللغة الهدف، و يغدو جزءا منها. فعبارة "*science-fiction*" بدأت حياتها كمحاكاة للإنجليزية، لكنها اليوم، وبكل بساطة، جزء من الفرنسية.

المحاكاة نوع من الاقتراض، لمنه اقتراض لمركب تعبيري *(جملة فعلية أو اسمية)* ، مع ترجمة مكوناته (المفردات) ترجمة حرفية، و كما هي الحال مع الاقتراض، فإن من المحاكاة ما هو قديم قد استقر في اللغة و تبنته، وهذا النوع لا يشغل بال المترجم، إن ما يسعى إليه المترجم و يعنى به إنما هو المحاكيات الجديدة و المبتكرة، يمكن أن نستنتج أن المحاكاة أقل ابداعية من توليد لفظ جديد، و لكنها أحسن حالا من محض الاقتراض.

تقضي الترجمة كلمة بكلمة في الغالب إلى معان " *هزلية مضحكة* " و لكنها قد تحافظ إلى حد ما على بعض السمات الأسلوبية للغة المتن، لا سيما إذا كان النص المصدر مبهما و مستغلقا حتى على المترجم نفسه.

إن حظ المحاكاة من التوفيق، في الغالب ضئيل، لأنها تمثل الحل السهل لدى بعض ممارسي الترجمة، و بخاصة الصحفيين، إذ إننا نسمع و نقرأ عبر وسائل الإعلام ما لا يحصى من التعبيرات التي ليس لها مرجعية في اللغة العربية، و من ذلك قولهم : " *وضع اليد في العجين* " و هو محاكاة للتعبير الفرنسي : " *mètre la main à la pate* " [1]

و هو تعبير يعني في الفرنسية الشروع الجدي في عمل ما، لكن هذه الإيحاءات والدلالات المصاحبة (*les connotations*) غير موجودة في العربية، بل و قد يفهم التعبير على معناه الحقيقي مما يؤدي إلى مفاجآت لغوية مضحكة، وشبيه به قولهم: " *مازال هناك خبز على اللوح* " محاكاة التعبير: " *il y'a encore du pain sur la planche* "

و قد نشرت إحدى الصحف الصادرة باللغة العربية في "سيدني" نصا مترجما عن خبر محلي يتحدث عن ضرورة قيام حكومة الولاية باستثمار المواقع الأولمبية حيث تحدث رئيس حكومة الولاية بهذا الصدد قائلا:

We dont want to leave the olympic venues to become a white elephant.

و جاءت الترجمة على الشكل التالي : " *نحن لا نريد أن تتحول المنشآت الأولمبية إلى فيل أبيض* " فكان المترجم أمينا في كل شيء و نقل الجملة إلى اللغة العربية بلباس

1 - إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، مذكور سابقا، ص. 74-75.

إنجليزي بحث، وهي ترجمة ليس لها معنى على الإطلاق، فما العلاقة بين الفيل الأبيض و المواقع الأولمبية ؟ و لماذا استخدم المتحدث هذا التعبير المجازي؟

فالفيل الأبيض مخلوق غير موجود في عالم الفيلة، و إن وجد يبقى نوعا نادرا يفيد العرض لا الفائدة العلمية، و بالتالي تحويل المواقع الأولمبية إلى فيل أبيض يدل على عدم جدواها من الناحية العلمية و اقتصارها على العرض المتخفي، على أن الذهنية العربية للقارئ العربي غير العارف باللغة الإنجليزية لن تتقبل صورة الفيل الأبيض كما هي لأنها لا تشكل لديه مقابلا تأويليا صحيحا، الأمر الي كان يستدعي من المترجم فهم الخلفية الدلالية للعبارة و البحث عن المضمون الدلالي لها في اللغة العربية، و هذا يؤكد على أن الترجمة فعل تأويلي لسياق النص.

وبقطع النظر عن الركاكة التي تدخلها مثل هذه المحاكاة على الأعراف الأسلوبية العربية، وناهيك عن أنها تزيل العربية عن وجوهها، فإن القارئ أحادي اللغة يعاني من صعوبة أو سوء في الفهم، لا سيما إذا كانت المحاكاة تعبيرية و تركيبية في آن معا، والمحاكاة مثل الاقتراض ينبغي أن تشكل "*الحل اليائس* " و الأخير.

إن ثمة علاقة وطيدة بين الاقتراض والمحاكاة، غير أن الاقتراض يكشف علانية عن طابعه الأجنبي، بينما تراوغ المحاكاة و لا يكتشف طابعها الأجنبي إلا من خلال المرجعية *référence* التي يمتلكها مزدوج اللغة.

وغالبا ما تكون المحاكاة من إفرازات الترجمة الحرفية؛ ذلك أن المترجم يجعل إلى الترجمة الحرفية دونما تلبّث، ومن غير تأمل في المعاني و الأسقية، فيدخل إلى اللغة المستهدفة نسقا من التعبير أو التركيب جديدا غير مألوف و لا جارٍ على كلام.

كما يمكن أن ننظر إلى المحاكاة على أنها نتيجة للتأثير السحري الذي تمارسه بعض العبارات الأجنبية *(لا سيما الاستعارة و الكناية و التشبيه)* التي يعتقد أنها ذات شحنة تعبيرية قوية و متفردة، أو على أنها لمسة أسلوبية تبعث الحيوية في اللغة المستهدفة و تزرع فيها نبضا جديدا.

ومنهم من يسمي المحاكاة "*تعريب الأساليب* " أو كما يعرفها الديداوي[1] "*الاستعارة التعبيرية* " هي النقل الحرفي للتعابير الاصطلاحية، وهي من الطرائق التي تسهم في تقارب اللغات من حيث التركيب، وتسهل الترجمة الحاسوبية الآلية، و يرى أن التعابير المستعارة كثيرا ما تترسخ بالاستعمال، ومن أهم الفئات التي تستعير التعابير المترجمون والصحفيون فهم أول من يتلقى الصدمة التعبيرية الأولى.

1 - محمد الديداوي، الترجمة و التعريب، ص 87.

فالمحاكاة هي اقتراض مركب لفظي و ترجمة عناصره حرفيا؛ إذ توظف المحاكاة العناصر المعجمية للغة الهدف، أي مفرداتها، و لكن في تراكيب اللغة الأصل ومعانيها.

يمكن تعريف المحاكاة أيضا بأنها ترجمة للاقتراض، سواء كان مألوفا من عنصر واحد (لفظ واحد) أو من عناصر متعددة، لذلك جاز القول إن المحاكاة ترجمة اقتراضية، (*loan translation*)، و تصنف المحاكاة في العموم إلى صنفين :

- *محاكاة تعبيرية (أو أسلوبية)، محاكاة الأساليب.*
- و محاكاة تركيبية (*أو بنيوية*)، محاكاة التراكيب .

المحاكاة التعبيرية: (*محاكاة الأساليب*)

تحترم المحاكاة التعبيرية تراكيب اللغة المستهدفة، فهي لا تغير في النظام التركيبي لهذه اللغة، و إنما تقحم إليها نمطا تعبيريا جديدا، أي أسلوبا غير معهود، وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسية المستعملة في الكيبيك *(كندا)*، و بتأثير من التجمعات الناطقة بالإنجليزية، قد اعتادت على هذا النوع من المحاكاة، فكثير من التعبيرات الكيبيكية إن هي إلا محاكاة للإنجليزية مثل:

Prendre une marche / take a walk, pour: faire une promenade.
Meilleurs vendeurs / best sellers, pour: articles les plus vendus.
Traverse de chemin de fer / railing crossing, pour: passage à niveau.

المحاكاة التركيبية: *(محاكاة التراكيب)*

تُدخِل المحاكاة التركيبية إلى اللغة المستهدفة تركيبا جديدا غير مألوف، أي نسقا مختلفا في نظم الكلام:

Terme original anglais	Calque (structural) francais
Science fiction	Science-fiction **(littérature d'anticipation)**
Surprise party	Surprise-party
motor school	Auto-école

سمى بعض التراجمة العرب المحاكاة " **تعريب الأساليب** "، و لعل دواعي الاقتراض، كما أشرنا إلى ذلك في بابه، هي ذاتها دواعي المحاكاة، كانعدام المقابل أوهيمنة اللغة ثقافيا و حضاريا، أو مجرد الرغبة في تقليد بعض التعبيرات الأجنبية التي

يعتقد أنها ذات شحنة أسلوبية متفردة، و للجهل و الخطأ حظّهما، إذ قد ترجع المحاكاة إلى أن بعض التراجمة و الصحفيين يعْجلون إلى ترجمة بعض التعبيرات و تداولها ونشرها، دونما تلبّث للنظر في انسجامها مع اللغة المستهدفة من جهة التركيب والأسلوب، و من غير سعي للبحث عما يقابل هذا التعبير أو ذاك، ولعله أن يكون موجودا، بيد أنهم لا يأبهون له في غمرة الهرولة الحثيثة نحو السبق الصحفي أو ما شاكل ذلك.

فوسائل الإعلام لها اليد الطولى في نشر المحاكيات و ترسيخ بعضها، ثم إنه من نافلة الحديث الإشارة إلى أن الاحتكاك بين اللغات عبر التاريخ، مثل ما أنه يسهل انتقال الكلمات من طريق الاقتراض، فإنه ييسر أيضا انتقال الأساليب و التراكيب من طريق المحاكاة، وإن معظم أساليب المحاكاة التي تُتداول في العربية بحيث نستطيع تصنيفها على النحو الآتي :

الأساليب العربية الأصلية التي يوجد مثلها في اللغات الأجنبية، مثل : *"افتح اذنيك"* في طلب الانتباه، و في الفرنسية يقولون : " *Ouvrez les oreilles* " أو لوصف عدم الاكتراث: " *يدخل من أذن و يخرج من الأخرى* " و في الإنجليزية يقولون :" *to go in at one ear and out at the other* " و نحن نقول : " *خانته قواه* "، وهم يقولون : " *ses forses le trahient* ".

الأساليب التي تسربت إلى العربية في العهود الأخيرة من اللغات الأخرى، و لكن البعض يزعم عروبتها إذ يمكن ردها إلى الأعراف الأسلوبية العربية مثل : "*بكى دموعا حارة*"« *Pleur à chaudes larms* »، فهذا عندهم ليس أسلوبا إفرنجيا محضا لأن العرب، و إن لم يصفوا الدموع بالحرارة ، فقد وصفوها بمرادف لها و هو " السخونة " ، من حيث توهموا أن دموع الحزن سخينة و دموع الفرح باردة، فقالوا " *أقر الله عينه* "و " *أسخن الله عينه* "، على أن التعبير العربي ينسب الصفة إلى العين نفسها و ليس إلى الدمع.

الأساليب التي لا نزاع في عجمتها، وهي التي لا تمتُّ إلى سمت الأسلوب العربي بصلة، مثل:

- عاش ستة عشر ربيعا « *il a vécu seize printemps* »
- لا جديد تحت الشمس « *Rien de nouveau sous le soleil* »
- أعطاه صوته (في الانتخاب) « *Donner sa voix* »
- لعب دورا « *jouer un role* »

يرى بعضهم أنه لا ضير في استعمال بعض أساليب المحاكاة ما لم تخرج بالعربية عن وجوهها خروجا سافرا، وما لم تُفْضِ إلى فساد بين في المعنى و ترهل شديد في التراكيب، و متى كانت متلائمة مع الذوق العربي السليم.

الأساليب الموغلة في العجمة، وهي التي تنم عن جهل بقواعد العربية و سننها، بحيث تؤدي المحاكاة هنا إلى الخروج السافر عن ترتيب عناصر الجملة و تنسيقها و الربط بين أجزائها، ناهيك عن الفساد في الصياغة مما تمجّه الذائقة العربية، ويزداد الأمر سوءا إذا كان لهذا التعبير نظير يعادله، مثل :

This is the pupil number one in the school
- هذا هو التلميذ رقم واحد في المدرسة

ولا تعد المحاكاة أمرا لافتا أو ذا بال إلا إذا أدخلت طريقة جديدة في استعمال اللغة، أو استحدثت نسقا جديدا في نظم الكلام و تنسيق الجملة، فليست المحاكاة إذا هي كيف تعبر اللغة عن معنى من المعاني إذا تركت لحالها. و ينظر إلى المحاكاة عادة على أنها التأثير السلبي الذي يحدثه لسان ما على آخر.

وكان قد استوقفني أمر قرأته – لست أذكر أين – و أثار استغرابي، وهو أن أحدهم، في معرض شرحه لبعض الأمثال العربية و البحث في مقابلاتها الإنجليزية، أورد المثل العربي : "*بلغ السيل الزبى* " ثم قال : و يقابله في الإنجليزية:

It's the last straw that breaks the camel's back.

لكن المتأمل في هذا المقابل الإنجليزي الذي اجتهد الباحث في العثور عليه، يدرك أنه لا قِبَلَ للإنجليزية بمثل هذا التعبير، و إنما هو محاكاة بيّنة للتعبير العربي : "*القشة التي قصمت ظهر البعير*"، إذ ليس في الثقافة الإنجليزية مرجعية تتناسب مع الموقف، ثم إن لفظ *camel* في حد ذاته، إن هو إلا اقتراض من العربية، مما يشي دون موارية أن التعبير المذكور إنما هو ذو أصل عربي بحت.

الترجمة الحرفية:

الترجمة الحرفية هي الانتقال من لغة إلى أخرى، مع الاهتمام بما تقتضيه اللغة فقط، أي الإجبارات اللسانية : النحو، قواعد التركيب، النظم ... في اللغة الهدف، و الخلوص إلى نص سليم و مطابق للاستعمال، فلا يوظف المترجم في الترجمة الحرفية أي أسلوب من أساليب الترجمة الأخرى.

تكون الترجمة الحرفية متواترة، و أمثلتها متكاثرة، حين تتم بين اللغات التي تنتسب إلى عائلة واحدة، (الفرنسية و الإيطالية مثلا)، و بخاصة إذا كانت هذه اللغات تنتمي إلى ثقافة واحدة، لأن اللغات إذ ذاك، تكون متقاربة في طرائق التفكير، و أنماط صوغ الكلام و أنظمة التركيب.

ولكن إذا حدث وأن كانت الترجمة الحرفية " *غير مقبولة* "، واتضح أنها لا تفي بالغرض، و جب حينئذ اللجوء إلى الترجمة المتصرّفة *(غير المباشرة)*.

و المراد بترجمة " غير مقبولة " أن الرسالة الناتجة تتسم بأحد هذه العيوب:

- أن لا يكون لها معنى.
- أن تفضي إلى معنى آخر مختلف.
- أن تكون ركيكة أو مستحيلة *(غير ممكنة)* لأسباب بنيوية تركيبية.
- أن لا تمت بصلة إلى الأعراف اللسانية للغة المستهدفة (سمت الكلام و الشيات الأسلوبية).
- أن تحيل على معنى ما، لكنها تقع في مستوى مختلف من مستويات اللغة.

و فيما يلي نسوق مثالا لاستجلاء الفكرة و توضيحها:

لتكن الجملتان

- *He looked at the map*
- *He looked the picture of health*

نستطيع ترجمة الجملة الأولى بتطبيق قواعد الترجمة الحرفية : نظر إلى الخريطة *il regarda la carte*. بيد أننا لا نستطيع ترجمة الجملة الثانية على النحو التالي: بدا صورة الصحة *il paraissait l'image de la santé*. فإذا انتهى المترجم إلى جملة من مثل : بدا موفور الصحة *il se portait comme un charme*. يكون قد أتى بما يعادل المعنى *(معادل الرسالة)*.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يلجأ إلى مفاتيح الترجمة، و أساليبها الأربعة الأخرى، المسماة " ملتوية" ، إلا إذا كانت الترجمة الحرفية غير مفهومة أو شوهاء أو مغلوطة.

يكون النص الناتج، في الترجمة الحرفية، أقرب ما يكون إلى نص المنطلق، و لكن من دون خرق للغة المستقر *(في أساليبها و تراكيبها)*، إنها ترجمة لا تحدث من التغييرات إلا بمقدار ما تحافظ به على القواعد الأساسية للغة الهدف.[1]

فالترجمة الحرفي, للجملة : *She looked at him*، هي *elle la regarda* حيث إن غاية ما أجري من تغيير إنما كان لأجل مطابقة التركيب؛ حذف أداة الجر (At) لأن الفعل (regarder) يتعدى نفسه، و كذلك زحزحة الضمير (Le) إلى ما قبل الفعل بما يقتضيه بناء الجملة الفرنسية.

1 - PERRIN, Isabelle, *l'anglais : comment traduire,* Hachette, Paris, 2000, p.55.

الترجمة الحرفية إجراء يقوم على ترجمة النص المصدر كلمة بكلمة، دونما تغيير في ترتيب الألفاظ، أو في البنى النحوية، على أن يكون ناتج الترجمة صحيحا وموافقا لأنظمة اللغة المستهدفة، فهي شكل من الترجمة يحاول فيه المترجم أن يحافظ إلى أبعد حد ممكن على البنية التركيبية و العناصر المعجمية للغة الأصل.

ويسميها الديداوي[1] الترجمة شبه الحرفية *la traduction presque littérale* ويعرفها في الترجمة إلى العربية مثلا، بأنها إيراد جملة عربية صحيحة و سلسة وواضحة، منسوجة على منوال اللغة المترجم منها و متطابقة معها في أجزائها، مع ضرورة تحقيق الحد الأدنى من هندسة الجملة بحيث لا يتأثر المعنى و لا يختل التركيب، مثل:

This is the first session of the committee هذه هي الدورة الأولى للجنة.

ثم يورد قولا نفسيا لسليمان البستاني يصف فيه الترجمة الحرفية الصرف، و قد اجتزأتُ منه ما يلي: (الإشارة هنا للترجمة كلمة بكلمة)

" إنها رديئة إذا أريد بها استجماع تحصيل المعاني، و هي أيضا تذهب بطلاوة التركيب... و لا ترتاح إليها نفس مطالع؛ و قلما تجد قارئا يقوى على استتمام صفحة منها؛ و لكنها مع هذا مفيدة لطالب اللفظ دون المعنى. "

فالترجمة الحرفية إذن هي الانتقال من اللغة المتن إلى اللغة المستهدفة للحصول على نص صحيح من الناحيتين التراكيبية والدلالية مثل :

I went to the market to buy some appels
ذهبت إلى السوق لأشتري بعض التفاح.

ولا يتحقق هذا الإجراء إلا عندما يكون استبدال كلمة بكلمة ممكنا في يسر، دون تجاوز قواعد اللغة المستهدفة، لكن ذلك نادر جدا، اللهم إلا إذا كانت اللغتان، موضوع الترجمة، متقاربتين إلى حد التطابق، و تنتميان إلى ثقافة واحدة.

و الترجمة الحرفية في الواقع، لولا اختلاف اللغات في بنياتها و ثقافتها، يفترض أن تكون هي القاعدة و الأصل في الترجمة، و مع ذلك، يصح تصنيف الترجمة الحرفية إلى مستويين؛ أحدهما سليم، و الثاني سقيم، فأما السليم، فهو الذي تتطابق فيه اللغتان تطابقا كليا أو شبه كلي، من حيث الطبيعة النحوية و المعجمية و التركيبية، غير أنه أمر نادر الوقوع.

1 - محمد الديداوي، الترجمة و التعريب، ص. 91 - 92.

وأما السقيم، فهو ما تبينت فيه اللغتان تباينا صارخا، و في هذا النوع تنحرف الترجمة الحرفية بالمعنى الأصلي عن وجهته، أو تفضي إلى تراكيب غير ممكنة، أو إلى كلام لا معنى له لضياع بعض الدلالات المصاحبة *connotations* أو انعدامها في ثقافة اللغة المنقول إليها، كما يحدث في نقل الأمثال و الحكم نقلا حرفيا.

وتمثل الترجمة الحرفية من حيث المبدأ حلا فريدا و إرجاعيا و كاملا؛ فريد إذ تنعدم إمكانية الترجمة بأسلوب آخر، و إرجاعي إذ يمكن الرجوع إلى النص الأصلي عبر إعادة الترجمة من اللغة المستهدفة، هذه المرة، إلى اللغة المتن، و كامل لأنه يكتفي بذاته لإعطاء نتيجة مقبولة، و مثال ذلك :

For/their/souls/dwell/in/the/house/of/tomorrow

غد / ال / مسكن / ال / في / تسكن / أرواح / هم / لأن

إن تقطيع جملة اللغة المتن و ترجمتها كلمة بكلمة ينتهي بنا إلى نص مفهوم في اللغة المستهدفة، و إن كان لا يستوفي الشروط التراكيبية لهذه اللغة، و كذلك فإن تقطيع النص في اللغة المستهدفة و إعادة ترجمته إلى اللغة المتن، لا يعطينا النص الأصلي إذا استعملنا طريقة الترجمة كلمة بكلمة.

من أجل ذلك، لا توجد قرائن كافية للتمييز بين المفهومين، كما أن الحدود الفاصلة بينهما تكون دوما عرضة للتخطي أثناء ممارسة الترجمة، ثم إن الترجمة كلمة بكلمة، في رأي بعض المنظرين، تمثل أسلوبا غير ملائم بالنسبة للغة المستهدفة، حتى بين اللغات الأشد تقاربا، و قد يتضاءل الفرق بين الترجمة الحرفية و الترجمة كلمة بكلمة، فتصيران متطابقتين و يصعب التمييز بينهما.

و الفرق بينهما يكمن في أن الترجمة كلمة بكلمة تتبع النظام التركيبي للغة المتن، بينما تحافظ على التكافؤ الدلالي بين أجزاء اللغة المتن و أجزاء اللغة المستهدفة، أي التقابل بين الوحدات المعجمية، في حين تتبع الترجمة الحرفية النظام التركيبي للغة المستهدفة، مع الحفاظ أيضا على التكافؤ الدلالي، ليس بين الوحدات المعجمية فحسب، بل وبين الأجزاء النصية أيضا، من دون اللجوء إلى أي إجراء آخر من إجراءات الترجمة.

فكأنما ترنو الترجمة الحرفية بعين إلى الوحدات المعجمية للنص المصدر وترنو بعين أخرى إلى مراعاة تراكيب اللغة المستهدفة، بينما ترنو الترجمة كلمة بكلمة بعينين اثنتين إلى النص المصدر، واحدة إلى المعجم و الثانية إلى التراكيب، سواء وافق ذلك تراكيب اللغة المستهدفة أم لم يوافقها.

ويمكن القول أيضا إن المحاكاة التركيبية هي، على الراجح، وليدة الترجمة كلمة بكلمة، بينما تنشأ المحاكاة التعبيرية عن الترجمة الحرفية.

و لتوضيح شيء من ذلك نسوق المثال الآتي: [1]

النص في اللغة المتن : *Man is mortal*
النص في اللغة المستهدفة : 1) إنسان يكون فانيا. – ترجمة كلمة بكلمة –
2) الإنسان يكون فانيا. – ترجمة حرفية –

لا تتضمن الترجمة كلمة بكلمة، في المثال السابق، أي ترتيب فيما يتصل بقواعد النحو العربي، بينما تقترب الترجمة الحرفية إلى حد ما من الاستعمال العربي، ولكنها ما تزال غير مقبولة، إذا دخلت إلى العربية سمة غير مألوفة و هي إقحام فعل الكون بين المبتدأ و الخبر، و هي سمة حتمية في اللغة الإنجليزية، فالترجمة الأكثر ملائمة هي: *الإنسان فان.*

يعتقد نيومارك أن الترجمة الحرفية صحيحة و يجب عدم تجنبها و بخاصة إذا كانت تضمن التكافؤ المرجعي و الذرائعي للأصل، كما يرى أن الترجمة كلمة بكلمة تحول قواعد اللغة المصدر و ترتيب كلماتها، و كذلك المعاني الأساسية لكلماتها جميعا إلى اللغة الهدف[2]، و يقصد بالمعاني الأساسية معاني الكلمات يمعزل عن السياق، أي المعاني القاموسية، ولا يتسنى ذلك إلا مع الجمل القصيرة و البسيطة ذات المعنى العام غير المجازي.

تتدرج الترجمة الحرفية، عند نيو مارك، من كلمة بكلمة، مثل بهو، *salle ، hall* ، ثم مجموعة مقابل مجموعة *group to group* ، مثل *a beautiful garden* ، *un beau jardin* ، حديقة جميلة ، عبارة تآلفية أو تلازم لفظي مقابل عبارة تآلفية collocation to *collocation* ، مثل *make a speech ، faire un discours* ، ألقى خطابا، ثم يصل هذا التدرج إلى جملة مقابل جملة ، *the man was in the street* ، *l'homme était dans la rue* ، الرجل كان في الشارع.

وهكذا كلما كانت الوحدة الترجمية (UT) أطول قل احتمال استعمال الترجمة كلمة بكلمة، و العكس صحيح، أي :

« Plus la traduction est littérale, plus les UT sont petites. »[3]

و يقر بعض الدراسين أن هناك بعض النصوص لا تضيرها الترجمة الحرفية، و ذلك رهن بطول النص و نوعه، و لعله من المفيد أن نشير أيضا إلى أنه من اليسير أحيانا أن نأتي بعدة ترجمات حرفية لنص واحد، و ذلك من خلال التنوع في توزيع العناصر المعجمية بين ترجمة و أخرى و مطابقتها المتفاوتة لمعاني عناصر النص الأصلي، هذا ما

1 - إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، ص . 78.
2 - بيتر نيومارك، الجامع في الترجمة، ص. 89.
3 - RADOUANE, Joelle, *La traductologie*, op.cit, p. 111.

تورده إنعام بيوض متسائلة عن الحدود التي تقف عندها الترجمة الحرفية، و عن مدى القبول بالترادف...[1]

إلى أن تنتهي إلى قناعة مفادها أن المترجم في مثل هذه الحالات المركبة يلجأ إلى حدسه الخاص و ذوقه في تفضيل كلمة على أخرى، و هذه "العشوائية" كما تسميها، جعلتها تصنف الترجمة الحرفية إلى ثلاثة أنماط :

الترجمة الحرفية المطلقة : يكون التطابق فيهما تاما بين مدلولي الكلمتين في اللغة المصدر و اللغة الهدف، فلا تسمح عملية الاستبدال إلا بخيار واحد فقط يقبله سياق النص الأصلي، مثل: *البحر Sea و الأم .Mother*

الترجمة الحرفية النسبية : تكون نسبة التطابق فيها 1 إلى 2، و تسمح عملية الاستبدال بخيارين، مثل : Mist (ضباب ، سديم).

الترجمة الحرفية غير المقيدة : تكون نسبة التطابق فيها فضفاضا بنسبة 1 إلى 3 أوأكثر، و تسمح عملية الاستبدال بأكثر من خيارين، مثل :

To climb : صعد ، ارتقى ، تسلق ، اعتلى ، سما ...

وفي مثل هذه الحال، يجب اللجوء إلى تحليل العناصر المعجمية من أجل تحديد شيات المعاني و اختيار أنسبها، ثم إن رؤية كل مترجم للنص و تصوره للسياق قد يشكل معيارا لاختيار هذه المفردة أو تلك، إذ لا جدال في أن السياق هو الكفيل بتحديد المقابل الأكثر ملائمة، و تورد الدكتورة إنعام بيوض في دراستها ترجمات مختلفة، قام بها كل من ميخائيل نعيمة و ثروت عكاشة، و يوسف الخال لكتاب " النبي " لجبران خليل جبران، أمثلة كثيرة في باب الترجمة الحرفية نسوق بعصا منها لبيان تعدد الترجمات الحرفية للنص الواحد :

1) « *And you vast sea , sleeping mother* »

نعيمة : "*و أنت أيها البحر الشاسع، أيتها الأم الغافية الحالمة.*"
عكاشة : "*و أنت أيها البحر الفسيح، بل الأم الهاجعة.* "
الخال : "*و أنت أيها البحر الوسيع، يا أمّا راقدة.* "

2) « *And shall my desires flow like a fountain.* »

نعيمة : "*أم تتفجر رغباتي فورات.*"

1 - إنعام بيوض، الترجمة الأدبية، ص. 144-145

عكاشة : " *و هل تتدفق أماني كالمنهال.* "
الخال : " *و هل تفيض رغائبي كالينبوع.*"

3) « sons of my ancient mother. »

نعيمة : " *يا أبناء أمي المثقلة بالسنين.*"
عكاشة : " *يا أبناء أمي الأزلية.*"
الخال : " *يا أبناء أمي القديمة.* "

التكافؤ الشكلي

و يعرف أيضا عند بعض المنظرين بـــ**"التكافؤ النصي"**، أو **"التكافؤ النظمي"**، أو**"التكافؤ التركيبي"** ، و هو إعادة إنتاج، أو هو النقل الحرفي للنص الأصلي، شكلا ومضمونا، بحيث يتسنى للمتلقي في اللغة الهدف أن يدرك الرسالة نفسها، سواء في محتواها أو في شكلها (*أي بنيتها اللغوية*)، لذلك فالتكافؤ الشكلي، في الواقع، ليس شيئا آخر غير الترجمة الحرفية.

و من ملامح الترجمة عن طريق التكافؤ الشكلي، أن تكون موجهة صوب النص الأصلي لأنه يتخذ، في مثل هذه الحال، معيار لإثبات مدى الخيانة أو الوفاء، و إن تكن الترجمة بأسلوب التكافؤ الشكلي، أي الترجمة الحرفية، إن تكن لها نقائص و عيوب من حيث سهولة القراءة أو الاحتفاظ بالمعاني الأصلية و الغرض العام ، إلا أنها تساعد على فهم الطرائق و الصيغ التي تعبر بها اللغة المتن عن المعاني.

التعديل: (التطويع)

التعديل هو تبديل في شكل الرسالة يقوم به المترجم لاحترام زاوية النظر الخاصة للتعبير باللغة الهدف (طريقة أخرى لتوضيح فكر، و تسليط الضوء على الرأي)، وتصبح هذه التقنية ضرورية عندما لا تؤدي الترجمة الحرفية أو لإبدال الغرض من الترجمة لاختلاف وجهات النظر.

يتمّ فيه الحفاظ على الرسالة أثناء العبور من لغة إلى أخرى، ولكن طريقة التعبير تختلف، لأنّ رؤيا العالم و إدراكه و تقطيع الواقع، و العلاقات المنطقية تختلف من ثقافة إلى أخرى.[1]

إن المترجم يلجأ لاستعمال تقنية التعديل لاحترام الاستعمالات اللغوية للغة الهدف ومراعاة لعبقريتها، و هناك نوعان من التعديل كما هي الحال مع الابدال:

1 - PERRIN, Isabelle, L'anglais ; comment traduire, op.cit.p.59.

- التعديل الإجباري: و هو الواقع بفعل قوة الاستعمال

- التعديل الاختياري أو الحر: و هو الذي يمنح المترجم ميزة الحرية في الاختيار بين الصيغة الأصلية و صيغة أخرى، و في اللغة الثانية تختلف في الوجهة فقط و المثال الشائع هنا الانتقال بين النفي و الاثبات و على عكس الفرنسية تبقى الترجمة مفتوحة بحسب السياق.

a) il n'est pas difficile de démonter
b) il est facile de demonter.

أ- ليس من الصعب علينا أن نبرهن.....
ب- من السهل علينا أن نبرهن....

إن أي مترجم محنّك ليتردد في استعمال هذه التقنية متى ما صارت إجبارية و يحكمه في ذلك مراعاة درجات التعبير، ووتيرة التداول، والانتباه لأفق الاستقبال في اللغة المستهدفة، و ذوق المتلقّي.

و نشير إلى أن الفرق بين النوعين من الإبدال هو الفرق في الدرجة، كما يمكن أن يتحول في التعديل غير المقيد ليصبح مقيدا في سجل الاستعمال بحكم تواتره، و اتفاق المتكلمين و مستعملي اللغة على استعماله.

يقر الكاتبان فيناي و داربلني أن أي تعيير في نوع التفكير يمكن أن يؤدي إلى تغيير في ترتيب المقاطع النحوية للجملة، و عليه يصعب التفريق بين الإبدال و التعديل.

و من ناحية منهجية أخرى نلاحظ أن استعمال التعديل " الشارح الموضح " يتطلب في الغالب، إضافات و توسيع في عملية الترجمة، و هذا ما يؤدي إلى إجراء يعرف في الترجمة بالتضخيم او التوسيع « *Ettofement* »

و لا نجد خلافا في هذا الباب لدى المترجمين و المنظرين على اعتبار التعديل من تقنيات الترجمة، و إن اغلبهم يصنفونها في قسم أساليب الترجمة غير المباشرة عموما وهذا أوجان نيدا(*Eugene Nida*) يقول:" تقوم الترجمة الدينامية على إحداث تكافؤ في الاستجابة لا على التكافؤ الشكيلي، ومن الممكن أن نصنفها على أنها ترجمة تجعل من متلقيها مزدوج اللغة و الثقافة يقّر و بشكل قاطع: " هذه هي بالضبط الطريقة التي نقول بها هذه العبارة."[1]

1 - NIDA, Eugene, *Toward a Science of Translation*, op.cit, p. 66.

يبقى أن نشير في الأخير أن هناك تقسيما آخر للتعديل يطرحه المؤلفان و هو كالتالي: التعديل المعجمي، و التعديل التركيبي: *lexicale ,et syntaxique*.

فالتطويع المعجمي و على تعدده، يقوم على الكيفيات التي يتم بها توزيع مختلف العناصر المعجمية بين اللغتين، و يبقى في متناول المترجم لتجاوز صعوبات الترجمة يحكمه في ذلك مدى انتقاله من مستوى الكلام إلى مستوى اللسان عن طريق التداول والاستعمال بحيث تصبح العبارة متبنّاة في القواميس على اعتبارها من التعابير الصحيحة في اللغة، أما التعديل التركيبي فيتم على مستوى تراكيب المقولات مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الفوق- لسانية (*Métalinguidtique*) الموجودة في اللغتين.

و يجتهد المؤلفان في توضيح أنواع التعديلين، المعجمي و التركيبي من خلال الأمثلة الثرية و المستفيضة بين اللغتين، و هما يذكراننا بهذا العمل بعلم البيان في اللغة العربية، و أنواع المجاز، و تأثيره على الأسلوب و مكانة التعابير الخالصة و ما يتعلق بخصوصية التعبير، و عبقرية اللغة عموما، و هو كما نرى بحث غني في المجال البلاغي لأي لغة، و خصوصا ما يتعلق منها بجانب الأسلوب.

التكافؤ:

التكافؤ و هو مصطلح مقترض من الرياضيات، و صار تقنية في الترجمة لها مثلها مثل التصرف، لا يعمل بها المترجم إلا بعد استنفاذ جميع التقنيات السابق ذكرها، والسبب في ذلك أن سوء استعمالها و « و الإفراط في توظيفها غير السليم قد يؤدي إلى نوع من الترجمة المتحررة. التي تعصف بمعالم النص الأصلي.»[1]

و مرجع في ذلك أن هاتين التقنيتين تتمان على مستوى الرسالة مباشرة، و على عكس التقنيات الأخرى ، فالتكافؤ ينطلق من مفهوم الرسالة/الوضعية أي المقام في اللغة الأصل ليعبر عنها في الوصول بطريقة مخالفة لا مكافئة من حيث جميع العناصر إلا المعنى، نظرا لعدم وجود مقابل مباشر في لغة الوصول، أو لاختلاف التصور في الثقافة و العادات و غيرها من المرجعيات، بل يشمل حتى ردود الأفعال و المواقف الخاصة، والأصوات المتميزة...إلخ، و عليه فإن معظم التكافؤات تعد صيغا في السجل اللغوي العام بوصفها مدونة كلامية مكونة من تعابير اصطلاحية، و أمثال، وحكم و أقوال سائرة.

إن التكافؤ باختصار وهو استبدال مقام في لغة الوصول بمقام مكافئ له في لغة الانطلاق، بما يقتضي تغييرا شاملا في القاموس التعبيري بين اللغتين، إذ لا عبرة بالعبرة

1 - PERRIN, Isabelle, L’anglais ; comment traduire, op.cit. p. 62.

بالمكوّنات المعجمية للرسالة، و إنما بالمقام الذي تؤديه الرّسالة و تعبّر عنه، و إن اختلفت و تباعدت الوحدات المعجمية التي تتألف منها الرسالة.

و لذلك نجد بعض القواميس الثنائية المعروفة، تجتهد في تخصيص جزء من المعجم، و الأقوال المترجمة بين لغتين، بل هناك قواميس متخصصة في هذا المجال، غير أنه يجب الإشارة أن حصر تلك النصوص هي مهمة صعبة بحكم التطورات المستمرة في اللغة و تعدد المصادر في هذا المجال.

و بغض النظر عن مصطلح التكـــافؤ في الترجمة و ما يثيره من نقاش، و كذا أنواع التكافؤ و درجاته، فإن للمترجم دورا خاصا في إنجاز التكافؤات أثناء عمله الترجمي متحملا بذلك مسؤولية نجاحها أو فشلها، و لذلك فإن « الإبداع الفردي و الطفرات الخلاقة غير المتوقعة لدى المترجم، تلعب دورا كبيرا في عملية الترجمة، و في موضوع التكافؤ بالذات، مما يجعل التنظير المجرد له بعيدا نوعا ما عن الواقع العلمي» ، على أنّ ممارسة الترجمة المتواصلة هي الحلقة الرابطة بين التطبيق و التداول، و الجانب النظري في هذا العلم.

و أكثر ما يكون التكافؤ شيوعا، و تواترا في ترجمة الأمثال و الحكم، و الأقوال المحمّلة بالشحنة الثقافية و الاجتماعية للغة، و إنّ بعض التكافؤات قد أقحمها مترجمون و من كان في موقفهم في اللغة الهدف دون مراعاة المتطلبات الحقيقية لهذه التقنية، حيث يربط الدارسون هذه الحالة بالوضعية الازدواجية حين يغلب طابع حضاري برأي آخر.

و إنّ مثل هذا الإقحام تنتج عنه ترجمات، بعيدا عن تواتر استعمالها ، تكون مثقلة بالوزن اللغوي المحض، و تقع في حدود مجال الترجمة المباشرة ، قريبا من النسخ والترجمة الحرفي، حتى إنّ الكثير من هذه الترجمات و التي كان من المفروض اللجوء فيها إلى التكافؤ الحقيقي، صارت بفعل الاستعمال، و قوة الإقحام من أقول اللغة المنقول إليها، و هذه أحد عيوب الترجمة.

و يمكن النظر إلى التكافؤ على أنه جملة من التطويعات المركبة، و أنه العقبة التي يتخطى فيه الفكر الحرف بمراحل كبرى، للبحث عن طريقة الكتابة باللغة الهدف؛ وحينذاك يمكن الحديث عن المترجم الحقيقي، وحينذاك يمكن الحديث عن الترجمة حقا، حتى إن المترجم في بعض الحالات لا يجد الموقف تماما في اللغة الهدف، وهنا عليه أن يخترعه و يركبه بما يلائم الوضعية العامة للنص و يخدمها.

إن التكافؤ يقوم أساسا على مبدأي التعويض و الاستبدال لعبارة من لغة الوصول بعبارة في لغة الانطلاق دون تكافؤهما شكلا، أو لسانيا أو معجميا كما هي الحال في

ترجمة الحكم و الأمثال، والأهم في ذلك أن يحصل التكافؤ و بدرجة نسبية بمقابلة المقام الحال بين العبارتين على مستوى الرسالة.

التصرف:

و هو آخر التقنيات الترجمة التي تقترحها الأسلوبية المقارنة و هي حالة خاصة في التكافؤ، و حيث الوضعية التي يقف أمامها المترجم لا توجد على الإطلاق في اللغة الهدف، بل أكثر من ذلك ترجمتها تؤدي إلى الإبهام، و إلى انتفاء المعنى عموما ويحدث ذلك بين اللغتين المتباعدتين ثقافيا و اجتماعيا، و دينيا، " فهناك بعض المعطيات الثقافية في اللغة المتن يصعب نقلها بحذافيرها إلى اللغة المستهدفة و ذلك إما بسبب عدم وجودها إطلاقا في ثقافة اللغة المنقول إليها أو لمُنافاتها و تعارضها مع آداب متكلمي هذه اللغة و تقاليدهم أو أخلاقهم، و لعل خير مثال يذكر فنياي و داربلني يعبر عن التصرف هو التالي :

« He kissed his daughter on her mouth. »

"قبّل ابنته في فمها"؟ في حين لا يتعلّق الأمر إلا بأب رؤوف يدخل على أهله بعد سفر أو غياب، فقد تمّ إقحام عنصر غير موجود في لغة الوصول، في الوقت الذي ينبغي على المترجم أن يجد وضعية مكافئة، فيترجم العبارة مثلا:

"احتضن ابنته في رأفة و حنان".[1]

كما قد تكون الترجمة إلى العربية كذلك "وضع قبلة على جنين ابنته" على أكثر تقدير، أو احتضن الوالد ابنته مثلا، أو غيرها مما يلائم الوضعي، و لا يتنافى مع أخلاق المتلقّي و تقاليده.

و عموما فإن التصرف تقنية ليست في متناول جميع المترجمين، بل تستدعي من المترجم أن يكون محيطا بثقافة اللغة المستهدفة، و ملمّا بالوسط و خصوصيات البيئة، وعلى اطلاع واسع بالخصوصيات الحضارية حتى يكون عمله الترجمي على درجة من الدقّة و الوعي بلغة الوصول و المتلقّي الذي يخاطبه في ترجمته.

كما نشير في الأخير إلى أن التصرف كثيرا ما يدخل مع التكافؤ سواء في الممارسة لدى البعض أو حتى في كتب التنظير و بعض مؤلفات الترجمة بالرغم من الفرق التي توضحها لنا الأسلوبية المقارنة، و يبقى العمل الخلاق من اختصاص مترجمي النصوص

1 - SCAF, op.cit, p. 53.

الأدبية، و ذلك مستوى آخر من الترجمة قد لا تتجلّى إلا في الأعمال الفنية والأدبية الكبرى.

الخاتمة

لا مُشاحّة أنّ الطموح الذي انطلق به هذا البحث كان أكبر و أكثر ألقا و بريقا من النتائج التي قد أفضى إليها، غير أنّ عزائي و سلواي في ذلك أنني مع كلّ الكبوات والعثرات، و خيبات الأمل الصّغيرة هنا و هناك لم أخرج من البحث خالي الوفاض أجرّ خفي حنين، ثمّ إنّ تلك الثمار تفاوتت في جودتها و قيمتها؛ فمنها ما أدّعي و أتوهّم أنه يطاول النضج و يتشرّف إلى أنْ يؤتي أكله، و إن يكن غضا طرياّ لمّا يشتدّ عوده و تقوَ شوكته، ومنها ما لم يزل فجا و حصرما.

و مهما يكن من الأمر فإنّ دروب البحث، و تضاعيف السؤال قد ساقتني سوقا إلى جملة من النتائج التي إخال أنها و إن لم ترقَ إلى الإجابة على كلّ الأسئلة المتناثرة بين ثنايا البحث، إلا أنها مما قد يُستأنسُ به في أقلّ الأحوال، و ما يصلح أن يتخذ علامة يُهتدى بها من أجل بحث في هذا الباب يكون أرسخ قدما، و أعلى كعبا، و أعمق وأوعى، و لعلّ من أظهر ما أعدّه نتائج تكلّل بها البحث ما يلي:

- إنّه لا بدّ من الرّبط بين التلقّي و الترجمة، إن على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق، ذلك أنّ الدراسات الترجمية كثيرا ما تغفل هذا المكوّن المهم، وتعامله على أنّه مجرّد تابع أو تحصيل حاصل في الترجمة.
- إن أهمية التلقي في الفعل الترجمي تستدعي إفراد الدراسات و البحوث في محاولة تشريح فعل التلقّي في صلته بالترجمة، مما يستدعي ربط نظريتين كبريين في الأدب و النقد، وهما: نظرية الترجمة و نظرية التلقّي.
- لقد بات راسخا أنّ فعل التلقّي ماثل و قابع في كلّ ما يتصل بالترجمة، ما دامت الترجمة أصلا حدثا تواصليا، و جسرا لتحقيق التقارب بين اللغات و الشعوب والثقافات.
- على الرّغم من الصعوبة في إحصاء تعريفات الترجمة و الإحاطة بها، إلا أنّ النتيجة التي يخلص إليها المرء من خلال النظر في تعريفات الترجمة على اختلاف مشاربها و خلفياتها الفكرية و الفلسفية، أنه يكاد لا يخلو تعريف للترجمة، قديما أو حديثا، من الإشارة إلى فعل التلقّي بوصفه مكوّنا جوهريا و ركنا ركينا في الفعل الترجمي.

- تتفاوت نظريات الترجمة في العناية بدرس فعل التلقّي و إيلائه الأهمية التي يتستحق، ففي النظريات اللسانية مثلا يبدو موقع التلقّي باهتا إلى حدّ ما و إن لم يكن غائبا بالكلية، ثمّ تتدرّج النظريات إلى أن تصل إلى اكثرها اهتماما بالتلقّي فيما أزعم، و هي النظريات الوظيفية، و التأويلية.

- إن دراسة فعل التلقي بوصفه طرفا في الترجمة، سيساعد لا محالة على فهم الفعل الترجمي في حدّ ذاته، و يسهم في تطوير نظرية الترجمة، و تحديد مساراتها، فضلا عن أنه يصلح أن يتخذ مقياسا في تعليمية الترجمة.

- من الجدير أن تتم إعادة قراءة تقنيات الترجمة في ضوء نظرية التلقّي، للخروج بها من إطارها الألسني، إلى فضاء أدبي فني ثقافي أرحب .

- إن فعل التلقّي هو أيضا معيار في نقد الترجمات و الحكم على جودتها.

لا مراء أن البحث قد يصل إلى نهاية، و لكن يخلّف دوما في نفس الباحث حسرة و شيء من حتّى، إذ يحدّث نفسه بأنْ لو كان كذا لكان أفضل، و لو فعلتُ كذا لكان أدقّ و أكمل، فلا يُرى إلا مقصّرا عن الغاية التي كان يستحثّ الخطى في طلبها، ذلك أنّ العمل البشري موكول به النقص.

و الله نسأل التوفيق و السداد و الهدى و الرّشاد.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

القرآن الكريم.

كتب الحديث:

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير** - دمشق بيروت، الطبعة الأولى، 2002
- **الترمذي، أبو عيسى محمد،** صحيح الترمذي، بشرح الإمام أبي بكر العربي المالكي، الأزهر، الطبعة الأولى،- 1934.
- **السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزري،** سنن أبي داود، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، الطبعة 1، 1952.

القواميس العربية:

- **أحمد رضا، الشيخ،** معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، 1959.
- **الجوهري، إسماعيل بن حماد،** تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990.

- **الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،** تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، 1997.
- **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين،** القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005.
- **مجمع اللغة العربية في القاهرة،** المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004.
- **ابن منظور، محمد بن مكرم،** لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1970.
- **ابن النديم، محمد بن اسحاق،** الفهرست ، مكتبة خياط، بيروت، 1964.

المراجع العربية:

- **إنعام بيوض،** الترجمة الأدبية؛ مشاكل و حلول، دار الفارابي، الطبعة الأولى، بيروت، 2003.
- **التوحيدي، أبو حيان،** المقابسات، تحق:حسن السّندوبي، المطبعة الرّحمانية، مصر، الطبعة الأولى، 1929.
- **توفيق يوسف الواعي،** الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، 1988.
- **الثعالبي أبو منصور،** فقه اللغة و أسرار العربية، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2000.
- **جابر عصفور،** في محبّة الشعر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى،2009.
- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر؛**
- 1- البيان والتبيين، تق: حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الثانية، 1932.
- 2 - كتاب الحيوان ، تق: عبد السلام هارون، منشورات مصطفى البابي الحلبي، مصر 1965.
- **حسن حنفي،** من النقل إلى الإبداع، دار قباء، القاهرة 2000.
- **الرفاعي، أحمد فريد،** عصر المأمون، دار الكتب العلمية، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1927.
- **شكيب بن بديرة الطبلبي،**المنطق المُحَيَّنُ، دار المتوسط الجديد، تونس، 2014.
- **طه عبد الرحمان،** فقه الفلسفة: الفلسفة و الترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999.
- **العاملي، بهاء الدين،** الكشكول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة السادسة، 1983.
- **عبد العليم السيد المنسي و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم،** الترجمة، أصولها و مبادؤها وتطبيقاتها، الرياض، دار المريخ، 1988.
- **علي إسحق عبد اللطيف،** ابن الهيثم عالم الهندسة الرياضية، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن،1993.
- **علي حرب، نقد النص،** المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء ، الطبعة الرابعة، 2005.
- **غنيمة، محمد عبد الرحيم،** تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة، تيطوان،المغرب 1953.
- **الغنيمي، عبد الفتاح مقلد،** الحضارة الإسلامية و تحدّيات القرن الحادي و العشرين، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995.
- **قادة مبروك،** فن الترجمة الأدبية: دراسة تطبيقية، دار ابن النديم للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013.

- **كيليطو، عبد الفتاح**، لن تتكلّم لغتي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
- **المتنبي، حمد بن حسين الجعفي أبو الطيب**، ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت 1983.
- **محمد أحمد منصور**، الترجمة بين النظرية و التطبيق ؛ مبادئ و نصوص، دار الكمال للطباعة و النشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006.
- **محمد الديداوي**،

1 - الترجمة و التعريب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2002.
2 - الترجمة والتواصل، دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.
3 - مفاهيم الترجمة :المنظور التعريبي لنقل المعرفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى،2007.

- **محمد عناني**، فن الترجمة، الشركة المصرية العامة للنشر، الطبعة الأولى، 1992.
- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين**، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1973.
- **أبو نعمان محمد عبد المنان خان**،" مذكرة علم الترجمة العربية الفورية"، جامعة دكا، 1992.
- **وديعة طه النجم**، منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان، نصوص ودراسة، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الأولى، 1985.

المجلات و الدوريات:

- **إسرائيل فورطوناطو**، الترجمة الأدبية؛ تملّك النص، تر: مصطفى النحال، **مجلة فكر ونقد**، الرباط، عدد 10، سنة 1998.
- **أسعد الحكيم**، حقيقة الترجمة ، الموقف الأدبي، ع 202 - 203 (2 و3/1988م).
- **جمال عبد الناصر**، الترجمة و التعريب، **مجلة الفيصل الثقافية الشهرية**، الرياض : العدد، 239 جمادى الأولى 1417 ه - سبتمبر/أكتوبر1996 .
- **عبد الرحمن بدر الدين** ، قنسرين أو عش النسور ، **مجلة التراث العربي** ، العدد 98 جمادى الأولى 1426ه / حزيران 2005 ، السنة الخامسة والعشرون ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق.
- **يوسف سلامة**، ما الترجمة، الترجمة بين النقل و التأويل، **مجلة الآداب**، عدد 5، سنة 1999.

المواقع الإلكترونية:

- رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، الأصحاح الثالث: الآية 6 – **المصدر:** موقع الأنبا تكلا هيمانوت - الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مصر https://st-takla.org

المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية:

- **إدمون كاري،** الترجمة في العالم الحديث، ترجمة: عبد النبي ذاكر، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، وهران، 2004.
- **أمبارو أورتادو ألبير،** الترجمة و نظرياتها؛ مدخل إلى علم الترجمة، تر: علي إبراهيم المنوفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 2007.
- **أمبرتو إيكو،** القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي 1996.
- **أنطوان برمان،** الترجمة و الحرف أو مقام البعد، تر: عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.
- **أوليري، دي لاسي،** الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- **بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش،** تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
- **بيتر نيومارك،** اتجاهات في الترجمة؛ جوانب من نظرية الترجمة، تر: محمود إسماعيل صيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **بول ريكور،** عن الترجمة، ترجمة: حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.
- **جان ستار وبسكي،** نحو جمالية للتلقي، ترجمة: محمد العمري، دراسات سال، فاس، عدد 1992/6.
- **جورج شتاينر و مجموعة من الكتاب،** علم الترجمة دراسات في فلسفته و تطبيقاته، تر: حميد العواضي، دار الزمان للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2009.
- **جورج مونان،** المسائل النظرية في الترجمة، تر: لطيف زيتوني،دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994.
- **زيغريد هونكه،** شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبة، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت – لبنان، 1964.
- **فرانسوا راستيي،** فنون النص وعلومه، تر: إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، 2010.
- **نيومارك، بيتر،** الجامع في الترجمة، تر: حسن غزالة، د ط، دت، ص.108.
- **هوراس،** فن الشعر، *ARS POETICA*، تر: لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988.

المراجع الأجنبية:

- **AMPARO, Hurtado Albir,** *La notion de fidélité en traduction*, Paris, Didier Érudition, 1990.

- **BALLARD, Michel,** *De Cicéron à Benjamin. Traducteurs, traductions, réflexions.* Presses Universitaires de Lille, 1992.

- **BARTHES, Roland,** *Bruissement de la langue*. Édition du seuil, Paris. 1984.

- **BASSNETT, Susan,** *Translation Studies,* 3rd edition, Routledge, London & Newyork, 2002.

- **BELL, Roger ,** *Translation and Translaling: Theory and Practice*, London, Longman, 1991.

- **BENJAMIN, Walter,** *Œuvres de Walter Benjamin,* traduit par Maurice de Gandillac, tome1 : *Mythe et violence*, collection les lettres nouvelles, Paris, 1971.

- **BERMAN, Antoine,**

1 - *l'epreuve de l'etranger*, *culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard,1984.

2 - *La Traduction et la Lettre ou l'Auberge du lointain*, Paris, Seuil, 1999.

- **CARY, Edmond**, *Les grands traducteurs français*. Librairie de l´Université Georg & Cie, Genève, 1963.

- **CATFORD, John Cunnison ,** *A linguistic theory of translation: An essay in applied linguistics*. Oxford: Oxford University Press, 1965.

- **David Daniell,** *The Bible in English: Its History and Influence*, 1st ed. New Haven, Yale University Press, 2003.

- **DELISLE Jean,** *Translators Through History.* Benjamins Translation Library, 1995.

- **DERRIDA, Jacques,** *L'Ecriture et la Différence,* Paris, Seuil, 1967.

- **DESFONTAINES, Pierre-François Guyot,** Preface du traducteur aux *Voyages de Gulliver,* Paris, 1728

- **DOLET, Etienne,** *la manière de bien traduire d'une langue en une autre*, Paris, 1950.

- **GENTZLER, *Edwin*,** *Contemporary Translation Theories* ,Routledge, New York, 1993.

- **GADAMER, Hans-Georg,** *Vérité et méthode, Les grandes lignes d'une herméneutique philosophique.* Paris, Seuil, 1996.

- **GARBOVSKY .N.K.** *Theory of Translation*, MSU, Moscow, 2004.

- **GODEAU, Antoine,** *Discours sur les œuvres de M. Malherbe*, réalisé en 1630.

- **GOETHE, Johann Wolfgang Von,** *Le Divan occidental-oriental*, tr. H. Lichtenberger, Paris, Aubier-Montaigne, 1963.

- **HAMMOND,Gerald C.** *The Making of the English Bible*, 1st ed. Manchester, UK, Carcanet Press, 1982.

- **JAKOBSON Roman,**

1 - *On Linguistic Aspects of Translation*, London & New York, Routledge, 2000.

2 - *Essais de linguistique générale,* Les Éditions de Minuit, Paris, 1963.

- **LADMIRAL, Jean René,** *Traduire: théorèmes pour la traduction,* Gallimard, 1994.

- **LARSON, Mildred,** *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. University Press of America, New York. 1984.

- **LEDERER, Marianne,** *La traduction aujourd'hui, Le modèle interprétatif,* Hachette, collection F, 1994

- **LEFEVERE, Andre,**

1 - *Translation, rewriting and the manipulation of literary fame.* Shanghai Foreign Language Education Press. 1992.

2 - *Translation, History, Culture: A Sourcebook,* London and New York: Routledge, 1992.

- **LEWIS, Clive Staples,** *The Literary Impact of the Authorized Version,* 1st ed. London, The Athlone Press, 1950.

- **MARGOT, Jean-Claude,** *Traduire sans trahir, La théorie de la traduction et son application aux textes bibliques,* L'Age d'homme, Lausanne, 1990.

- **MARTIN LUTHER,**

1 - *"An Open Letter on Translating:"* trans: Howard Jones, *(Ein Sendbrief vom Dolmetschen)* Oxford, 2017.

2 - "*Defense of the Translation of the Psalms,*" in E.T. Bachmann, ed., Luther's Works. Vol. 35, Philadelphia, 1960.

3 - *"The Bondage of the Will," Erasmus-Luther: Discourse on Free Will,* trans. and ed. Ernst F. Winter 17, New York, Continuum, 2002

- **MESCHONNIC, Henri,** *poétique du traduire,* Paris, Verdier, 1999.

- **MOUNIN, Georges,**

1 - *Les problèmes théoriques de la traduction,* Gallimard, Paris, 1963.

2 - *Les belles infidèles,* Éditions des Cahiers du sud, Paris, 1955.

- **NEWMARK, Peter,**

1 - *A Textbook of Translation,* Shanghai Foreign Language Education Press, 1988.

2 - *Approaches to translation,* Shanghai Foreign Language Education Press, 2001.

- **NIDA, Eugene,**

1 - *Toward a Science of Translation, With special reference to principles and procedures involved in bible translating*. Leiden. 1964.

2 - *Toward a science of translating*. Shanghai Foreign Language Education Press, Shanghai, 1964.

- **NIDA. E, Charles R. TABER,** *The Theory and Practice of Translation*. Brill NV Leiden The Netherlands. 2003.

- **OSEKI-DEPRE, Ines,** *Théories et pratiques de la traduction littéraire*, Armand Colin, Paris, 1999.

- **OUSTINOFF, Michael,** *la traduction*, presses universitaires, Paris, 2. ed, 2009.

- **PERGNIER, Maurice,** *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Librairie Honore , 2e edition, Paris, 1980.

- **PERRIN, Isabelle,** *l'anglais : comment traduire*, Hachette, Paris, 2000.

- **PYM, Anthony**, *Exploring Translation Theories*, Routledge, 2012.

- **REDOUANE, Joelle,** *La traductologie: Science et philosophie*, O.P.U, Alger, 1985.

- **REISS, Katharina,** "*Type, Kind and Individuality of Text. Decision Making in Translation*" IN " *The Translation Studies Reader"* , edited by Lawrence Venuti, London, Routledge, 2000.

- **SCHLEIRMACHER, Friedrich D.E,**

1- Des *différentes méthodes du traduire,* traduit par **Antoine Berman,** Éd. du Seuil, 1999.

2 - *"On the Different Methods of Translating, in Translating Literature: The German Tradition from Luther to Rosenzweig*", trans.by **André Lefevere,** Assen.Van Gorcum, 1977.

- **SDOBNIKOV .V.V and PETROVA .O.V,** *Theory of Translation*, AST, Vostok – Zapad, Moscow, 2006.

- **SELESKOVITCH, Danica,**

1 - *Interpreter pour traduire*, Didier Erudition, Paris, 1984.

2 - *Langage, langues et mémoire. Étude de la prise de notes en interprétation consécutive*, Paris, Minard, 1975.

- **SEMENOV. A.L,** *Basic Guidelines of General Theory of Translation*, Peoples Friendship University of Russia, Moscow, 2005.

- **STEINER, George,**

1 - *After Babel: Aspects of Language and Translation. New* York & London: Oxford University Press, 1975.

2 - *Après Babel. Une poétique du dire et de la traduction,* Paris, Albin Michel, Traduit de l'anglais par Lucienne Lotringer et Pierre-Emmanuel Dauzat

- **ULLMANN, Stephen,** *Précis de sémantique française,* Berne, Francke, 1959.

- **VAN HOOF, Henri** , *Histoire de la traduction en Occident. France, Grande-Bretagne, Allemagne, Russie, Pays-Bas.* Éditions Duculot, Paris, 1991.

- **VARINAT-NIKOLOV, Marie,** *Miroir de l'altérité : la traduction,* Grenoble, ELLUG, 2006.

- **VENUTI Lawrence,**

1 - *The Scandals of Translation : Towards an Ethics of Difference,* Londres, Routledge, 1998.

2 - *The Translation Studies Reader,* London, Routledge, 2000.

3 - *The Translator's Invisibility. A. History of Translation,* London and New York, Routledge, coll. « *Translation Studies* », 1995.

- **VERMEER, Hans J,** *Skopos and Commission in Translational Action,* edited by Lawrence Venuti, IN " *The Translation Studies Reader"* London.

- **VINAY, Jean-Paul, Jean DARBELNET,**

1 - *Comparative stylistics of French and English: a methodology for translation.* translated and edited by Juan.C.Sager,M.-J.Hamel, Benjamins Translation Library, 1995.

2 - *Stylistique comparée du français et de l'anglais: méthode de traduction,* Montréal, Beauchemin, 1958.

- **WALTER, Henriette**, L'aventures des mots français venus d'ailleurs, Laffont, paris, 1997.

- **WHORF, Benjamin Lee,** *Language, thought and reality,* New York, Wiley and sons, 1958.

REVUES :

1 - DAVREU, Robert, *«Berman, penseur de la traduction»*, **Revue de la Poésie**, n° 37, Paris, 1986.

2 - LADRMIRAL, J.R. *"Traduire, c'est-a-dire ... phénoménologies d'un concept pluriel"* **Meta**, vol.40, no.3.

3 - LEFEVERE, Andre, *'Translation and Comparative Literature : The Search for the Center"*. IlK, vol.4, no. I, 1991.

THESES ET SUPPORTS PEDAGOGIQUES :

1 - GUTU, Ana, *théorie et pratique de la traduction,* support didactique à l'intention des étudiants en filière traduction cycle licence, université libre internationale de moldova faculté langues étrangères département philologie française. 2007.

2 - LILIANE, Okome Engouang, *La traduction entre outil d'enseignement et discipline scientifique : le cas de l'espagnol au Gabon et en Guinee-Equatoriale*. thèse de doctorat de l'Universite Nice Sophia Antipolis, 2013.

3 - **SMITH, Kevin Gary,** *Bible Translation and Relevance Theory. The Translation of Titus,* (a dissertation submitted for the degree of Doctor Litterarum), Stellenbosch Univ, 2000.

ENCYCLOPEDIES ET DICTIONNAIRES

1 - **LE PETIT ROBERT**, Edition 2008.

2 - FAHLBUSCH, Erwin and Bromiley, GEOFFREY William. ***THE ENCYCLOPEDIA OF CHRISTIANITY*.** Grand Rapids, MI: Leiden, Netherlands: Wm. B. Eerdmans; Brill, 1999–2003.

الفهرس

- **الإهداء**
- **كلمة شكر**
- **المقدمة**
- **الفصل الأول – التلقي في ضوء التعريف اللغوي للترجمة.**
- استهلال..... ص 08
- التلقي في ضوء التعريف العربي للترجمة ..... ص 12
- التعريف اللغوي للترجمة ..... ص 13
- التلقي في ضوء التعريف اللغوي للترجمة ..... ص 16
- التلقي في ضوء المفهوم العربي للترجمة ..... ص 20
- التلقي في ضوء مفهوم الجاحظ للترجمة ..... ص 27
- التلقي في ضوء إشارات تراثية أخرى ..... ص 36
- التلقي في ضوء بعض التعريفات العربية الحديثة للترجمة ..... ص 38
- التلقّي في ضوء التعريف الغربي للترجمة ..... ص 42
- التعريف اللغوي الغربي للترجمة ..... ص 45
- التلقي في ضوء التعريف الاصطلاحي الغربي للترجمة ..... ص 46
- في ضوء المقاربة اللسانية ..... ص 49
- في ضوء المقاربة الثقافية ..... ص 56
- في ضوء المقاربة التأويلية ..... ص 61
- في ضوء المقاربة الوظيفية ..... ص 66
- في ضوء تعريف المدرسة الرّوسية ..... ص 70
- التلقي من خلال مصطلحات الفعل الترجمي ..... ص 73
- **الفصل الثاني – التلقّي في ضوء نظريات الترجمة**
- تمهيد ..... ص 80
- التلقّي في نظريات الترجمة قبل اللسانيات ..... ص 83
- التلقّي في ضوء نظريات الترجمة الحديثة و المعاصرة ..... ص 114
- في ضوء النظريات اللسانية ..... ص 116
- في ضوء النظرية التواصلية ..... ص 124
- في ضوء النظرية الثقافية ..... ص 133
- في ضوء النظرية التأويلية ..... ص 143
- **الفصل الثالث – التلقي في ضوء تقنيات الترجمة**
- تمهيد ..... ص 150
- الاقتراض .....ص 152
- دواعي الاقتراض ..... ص 157
- تطبيع الألفاظ المقترضة ..... ص 160
- المحاكاة ..... ص 166
- الترجمة الحرفية ..... ص 173

- التعديل ..... ص 181
- التكافؤ ..... ص 184
- التصرّف ..... ص 186
- الخاتمة ..... ص 188
- قائمة المصادر و المراجع .....ص 190
- الفهرس ..... ص 200

ملخص:

تنطلق إشكالية هذا البحث من فرضية أن الفعل الترجمي هو أساسا فعل تأويلي قائم على القراءة و التفسير، و أن الترجمة مذ وُجدت قد ارتبطت في علاقة حميمة مع التلقّي، إذ مهما يكن من فعل ترجمي إلا وهو يحمل بيت طياته فعل التلقي، حتى ليمكن الجزم أن كل ترجمة إنما هي تلقٍّ، و في مسعى لبلوغ الأهداف المرجوّة من الدراسة يقتفي البحث مواقع التلقي في الفعل الترجمي ابتداءً من تحليل التعريفات اللغوية للترجمة، ثم استعراض التعريفات الاصطلاحية للترجمة في مختلف المدارس ومناقشتها، وانتهاء إلى تقنيات الترجمة و أساليبها لدى ممارسة الترجمة، كل ذلك من أجل استظهار التلقي في مجموع مسار الفعل الترجمي ، و استجلاء العلاقة بين الترجمة و التلقي، و استكناه طبيعة هذه العلاقة و أهم محدداتها.

الكلمات المفتاحية:

الترجمة – التلقي – نظريات الترجمة – تعريف الترجمة – نظرية القراءة – التأويل – تقنيات الترجمة

abstract

The problematic of this research is that the translating activity is primarily an interpretative act based on reading and interpretation, and that the translation since antiquity was associated in an intimate relation with the reception, since every translation implies an act of reception, to the point where it can be said with certainty, that each translation is somehow, no more than a reception. And in an effort to achieve the desired goals, the research launches into the pursuit of the "notion": « reception », its position and its manifestations, first through the lexical definitions of the translation, then through the terminological definitions of translation in the various recognized big schools, and finally, through the analysis of the methods and techniques in the practice of translation, to make it clear that reception is there throughout the translation process, and to clarify the relation reception/ translation, and accentuate the most important determinants of this relationship.

Keywords :

- Translation – Reception theory - Translation theories - Translation definition - Reading theory - Interpreting - Translation techniques -

résume

La problématique de cette hypothèse de recherche estime que l'activité traduisante est en premier lieu un acte interprétatif basé sur la lecture et l'interprétation, et que la traduction depuis l'antiquité fut associée dans une relation intime avec la réception, étant donné que toute traduction implique un acte de réception, jusqu'a point ou on peut dire avec certitude que chaque traduction n'est au fond qu'une réception. Et dans un effort pour atteindre les objectifs de souhaités, la recherche se lance dans la poursuite de la « nuance » : réception, sa position et ses manifestations, d'abord à travers les définitions lexicales de la traduction, puis a travers les définitions terminologiques de la traduction dans les différentes grandes écoles reconnues, et en fin à travers l'analyse des méthodes et techniques dans la pratique de la traduction, pour faire apparaitre que la réception est omniprésente tout au long du processus de la traduction, et clarifier la relation entre la traduction de réception, et accentuer les déterminants les plus importants de cette relations.

Mots clés :

Traduction - Réception - Théories de traduction - Définition de la traduction - Théorie de la lecture - Interprétation - Techniques de la traduction -